المركز القومى للترجمة

الكراسة الأفغانية

تأليف : ليونيد بجدانوف

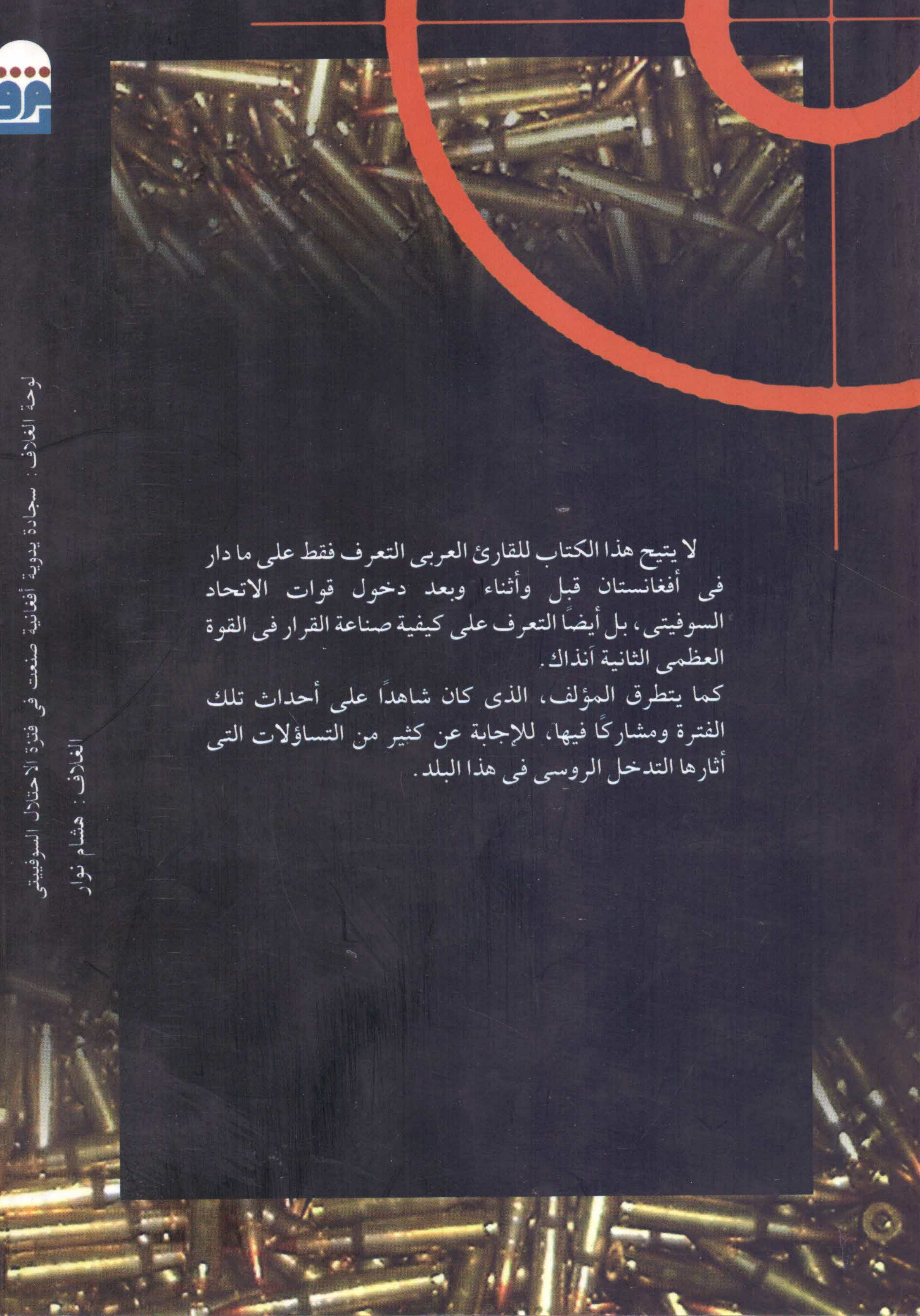
ترجمة وتقديم : على فهمى عبد السلام

مراجعة: أوليج إيفانوفيتش فومين

المشروع القومى للترجمة

1283





لا يتيح هذا الكتاب للقارئ العربى التعرف فقط على ما دار فى أفغانستان قبل وأثناء وبعد دخول قوات الاتحاد السوفيتى، بل أيضاً التعرف على كيفية صناعة القرار فى القوة العظمى الثانية آنذاك.

كما يتطرق المؤلف، الذى كان شاهداً على أحداث تلك الفترة ومشاركًا فيها، للإجابة عن كثير من التساؤلات التى أثارها التدخل الروسى فى هذا البلد.

لوحة الغلاف: سجادة يدوية أفغانية صنعت فى فترة الاحتلال السوفييتى
الغلاف: هشام نوار

الكراسة الأفغانية

المركز القومى للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: ١٢٨٣
- الكراسة الأفغانية
- ليونيد بجدانوف
- على فهمى عبد السلام
- أوليج إيفانوفيتش فومين
- الطبعة الأولى ٢٠٠٩

هذه ترجمة:

АФГАНСКАЯ ТЕТРАДЬ

Л.П.Богданов

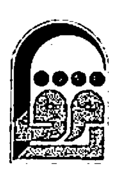
شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦، فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

EL Gabalaya st. Opera House، El Gezira، Cairo

E-mail: egyptcouncil@yahoo.com 27354524 – 27354526. Fax: 27354554

الكراسة الأفغانية

تأليــــــف: ليونيـد بجدانـــوف
ترجمة وتقديم: على فهمى عبد السلام
مـراجعــــة: أوليج إيفانوفيتش فومين



٢٠٠٩

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

بجدانوف، ليونيد.
الكراسة الأفغانية: تأليف: ليونيد بجدانوف؛ ترجمة وتقديم: علـى فهمى عبد السلام؛ مراجعة: أوليج إيفـانوفيتش فـومين. ط١ - القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠٠٨.
٣١٢ص؛ ٢٤ سم
١- أفغانستان - تاريخ - العصر الحديث
أ- عبد السلام، على فهمى (مترجم ومقدم)
ب- فومين، أوليج إيفانوفيتش (مراجع)
العنوان ٩٥٨,١٠٤

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/١٧٦٨١
الترقيم الدولى: 977- 437 - 889 - x
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

تقديم 7

تقديم دار النشر"آراء وطنية".. 9

مقدمة المؤلف.. 11

التكليف.. 13

بضع كلمات عن مخابرات جمهورية أفغانستان الديموقراطية.. 25

التكون.. 33

بدء العمل.. 45

الانشقاق فى قيادة جمهورية أفغانستان الديموقراطية.. 117

عملية "رادوجا".. 145

وصول حفيظ الله أمين إلى السلطة.. 151

نهاية حكم حفيظ الله أمين، انقلاب ديسمبر.. 171

ى.ف.أندروبوف فى كابول.. 241

آخر شهور فى أفغانستان.. 261

بدلاً من الخاتمة.. 281

بضع كلمات.. 391

تقديم

تقع أفغانستان فى منطقة ساخنة من العالم، حيث يحدها من الشرق والجنوب باكستان، ومن الشمال الشرقى الصين، ومن الغرب الجمهورية الإسلامية الإيرانية وتركمستان. ومنذ انفصال أفغانستان عن إيران وهى تعتبر جدارًا منيعًا بين الإمبراطوريات فى الشرق والغرب (فى العصر الحديث على حدود الاتحاد السوفييتى).

كانت أرض أفغانستان على مر التاريخ معبرًا للوصول إلى الهند، فقد عبرتها الكثير من الجيوش مثل جيوش "الإسكندر المقدونى" و"تيمور لنك" وغيرهم، كما كانت تعبرها القوافل التجارية من الشرق إلى الغرب والعكس، وكذلك قوافل الحرير.

ويسكن أفغانستان عدد كبير من الطوائف والقبائل، منها البشتون، والطاجيك، والهزارة والنورستان، والأوزبيك، والمغول والفرس وغيرهم الكثير. وكانت الحكومات التى حكمت أفغانستان منذ عام ١٧٤٧ قبلية وعنصرية، وقد حكم البشتون هذا البلد لفترة طويلة. وهذا الأمر كان واحدًا من جذور المنازعات والصراعات داخل أفغانستان حيث كانت جميع الامتيازات والإمكانيات المتاحة فى البلد لخدمتهم.

ونقدم هنا سردًا سريعًا لبعض الأحداث التى كانت مقدمة لتطور الأمور فى هذا البلد بالكيفية التى يرويها مؤلف الكتاب كشاهد عليها. فقد حكم أفغانستان الجنرال "محمد داود خان" (وهو من البشتون) كرئيس للوزراء من عام ١٩٥٢ إلى عام ١٩٦٣، ثم قام بانقلاب فى يولية ١٩٧٢ على الملك "ظاهر شاه" أثناء سفر الأخير إلى إيطاليا للنقاهة. وتبع ذلك إعلان داود خان أنه أصبح رئيسًا للجمهورية ورئيسًا للوزراء. وقد كانت أول دولة باركت هذا الانقلاب هى "الاتحاد السوفييتى"،

وقد يكون ذلك بسبب مشاركة عدد من العسكريين الذين تلقوا تعليمهم بروسيا فيه، مما قد يؤدى إلى تقارب بين البلدين. وقد حدث فعلاً هذا التقارب نظرًا لحاجة داود للسوفييت فى المساعدة على تنمية بلاده. ثم حاول اعتبارًا من عام ١٩٧٥ تقليل النفوذ السوفييتى فى بلده بالاتجاه إلى الدول الغربية والدول الأخرى. ثم بدأ فى تصفية أعضاء حزبَى الشعب (الذى كان يعتبر ذا أفكار يسارية قائمًا على الأفكار الماركسية اللينينية تأسس فى عام ١٩٦٥، وكان مؤسسوه هم نور محمد تاراكى، وبابراك كارمال وحفيظ الله أمين وغيرهم) والراية من الحكومة، وعزل العسكريين الذين تلقوا تعليمهم فى الاتحاد السوفييتى. وقد أدى ذلك إلى اتحاد حزبى الراية والشعب، ثم القيام بانقلاب فى أبريل عام ١٩٧٨ تزعمه "نور محمد تاراكى" و"بابراك كارمال" و"حفيظ الله أمين". وبعد ذلك توالت الأحداث التى يرويها شاهد عليها، هو مؤلف هذا الكتاب. ويمكن أن نشير إلى أن مؤلف هذا العمل لم يكن شاهدًا فقط على الأحداث فى هذه الفترة، بل إنه شارك فيها.

ومن الملفت للنظر أنه، ومن خلال قراءة هذا العمل، لا يتعرف القارئ العربى فقط على ما دار من أحداث فى أفغانستان، قبل وأثناء وبعد دخول قوات الاتحاد السوفييتى إلى أفغانستان، بل إنه يتعرف على كيفية صناعة القرار فى هذه القوة العظمى. وقد أدى هذا التدخل إلى جدل عالمى كبير، فهل كان بدعوة من السلطة الأفغانية، أم لخدمة المص

الح السوفييتية.. أم لأهداف أخرى؟ يقدم المؤلف تحليلاً لهذا الأمر، من وجهة نظره، أترك للقارئ العربى الحكم عليه.

وأرجو أن يستمتع القارئ بهذا العمل، كما استمتعت به أثناء قيامى بترجمته، وبمناقشة المؤلف فى بعض ما جاء به.

على فهمى عبد السلام

تقديم دار النشر "آراء وطنية"

تُلقِي مذكرات اللواء ليونيد ب. بجدانوف، الذى رأس ممثلية لجنة أمن الدولة بالاتحاد السوفييتى (كى.جى.بى.) بجمهورية أفغانستان الديموقراطية فى الفترة من ١٩٧٨ إلى ١٩٨٠، الضوء على الوضع فى هذا البلد وعلى موقف القوى السياسية وصراع الجماعات الحزبية على السلطة. وتضيف تقديراته وأحكامه إلى التصورات التى تكونت عن الأحداث السابقة لدخول القوات المسلحة السوفييتية فى أراضى جمهورية أفغانستان الديموقراطية وتلك التى تبعتها، كما أنها تصحح هذه التصورات.



مقدمة المؤلف

في يوم ١٦ يناير ١٩٨٠ حضر الرئيس السابق لجهاز أمن الدولة الأفغانى "أسد الله سارفارى" إلى غذاء عمل فى البيت الذى كان مقرًا لرؤساء ممثلية لجنة أمن الدولة بالاتحاد السوفييتى المعروفة بالكى.جى.بى. كان يشغل فى ذلك الوقت مركز نائب رئيس الوزراء، ومركز الأمين العام الثانى لحزب الشعب الديموقراطى الأفغانى[1]. كما أنه كان عضوًا فى المكتب السياسى للّجنة المركزية للحزب وعضو مجلس قيادة الثورة.

وقد بدأ أسد الله سارفارى بالحديث عن الوضع فى رئاسة الدولة وعن المشاكل التى واجهها بابراك كارمال والقادة الآخرون بعد أحداث ديسمبر ١٩٧٩.

وفى خلال الحديث قال سارفارى: "أيها الرفيق بجدانوف، أنت تعرف الأحداث وتعرف الناس، اكتب كتابًا عن أفغانستان".

قلت بعد لحظة تفكير قصيرة: "أيها الرفيق أسد الله، يبدو أننى لن أكتب مثل هذا الكتاب لثلاثة أسباب: أولاً، أنا لست كاتبًا، لذلك وببساطة لن يُكتب بمستوى أدبى جيد. ثانيًا، إذا كتبته، فإن الشباب سيقرؤه ككتاب بوليسى خيالى، بدون أن

---

(١) عقد الاجتماع التأسيسى للحزب فى ١ يناير ١٩٦٥ بكابول. وتم اختيار "نور محمد تاراكى" سكرتيرًا أول للّجنه المركزية، وكان نائبه هو"بابراك كارمال". وحدثت خلافات خطيرة في الحزب بعد سنة واحدة، وفى عام ١٩٦٧ حدث انقسام داخله إلى جماعتين: "خلق" (الشعب) برئاسة ن.م.تاراكى، و"بارشام" (اللواء) ويرأسها "بابراك كارمال". كان كل من الجماعتين يعترفان بالبرنامج الموحد وبالنظام الداخلى للحزب، ولكن كان يوجد صراع فى الرئاسة بخصوص المواضيع التنظيمية والتكتيكية. فى عام ١٩٧٧ توحدت الجماعتان بعد وساطة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعى وكونا هيئات موحدة لقيادة الحزب. فأصبح نور محمد تاراكى مرة أخرى هو السكرتير الأول للّجنة المركزية لحزب الشعب الديموقراطى الأفغانى، وبابراك كارمال سكرتيره الثانى. وحدث انقلاب ٢٢ أبريل عام ١٩٧٨ أساسًا بقوات جماعة "خلق" المسلحة السرية. وبعد أحداث أبريل، تأزم مرة أخرى الصراع على الزعامة بين أنصار جماعتى "خلق" و"بارشام". وقد أدى هذا الصراع فى النهاية إلى اضطهاد أنصار بارشام.

يفكر فى البلد الذى وقعت به الأحداث. ثالثًا، أما إذا قرأ البالغون هذا الكتاب، فإنهم لن يصدقوا إمكانية حدوث ذلك، حتى عندنا هنا فى أفغانستان.

***

مرت سنوات عديدة على هذا الحديث، وأمسكت بالقلم. لذلك أريد أن أوضح - لماذا؟

لقد نشرت الكثير من الكتب والمقالات عن الأحداث الأفغانية، وتمت صياغة دواوين الشعر وكتابة الأغانى عنها. لم أجمع بصفة خاصة ما كتب عن هذا البلد، ولكنى قرأت بتمعُّن المواد التى نُشرت فى الدوريات الخاصة بالفترة من عام ١٩٧٨ إلى عام ١٩٨٠. كان مؤلفو هذه المواد ممن شاهدوا مباشرة أحداثًا محددة، أو ممن كتبوا اعتمادًا على أحاديث مع من شاركوا فيها أوعلى بعض الوثائق. طبقًا لهذه المواد فقد أصبحت بعض الأمور معلَنَة على الملأ وهى التى لم تُنشر من قبل أو لم تكن ظاهرة.

ولكن لفتت نظرى قاعدة موجودة، فقد سُردت الأحداث بطريقة صحيحة فى بعض المؤلفات، وبعد ذلك كان يبدأ تقييمها وتحليلها فى اتجاه آخر، مما كان يؤدى إلى تشويه الحقائق. وعلى العكس، كانت تحتوى بعض المؤلفات على تحليل سليم، ثم كانت تُجرى محاولات لربطها بأحداث غير حقيقية. كما كانت تتكون ثغرات، وحلقات مفقودة عند عرض أحداث تلك الفترة.

لذلك قررت أن أملأ بشكل ما هذه الثغرات، وأن أصف الأحداث بدورى كما رآها رئيس ممثلية الكى.جى.بى. السوفييتية الملحقة بهيئة الأمن القومى بجمهورية أفغانستان الديموقراطية، خاصة أن القدر جعلنى متداخلاً فى دوامة تلك الأحداث كما أنى شاركت مباشرة فى صنع بعضها.

التكليف

عدت من إيران إلى موسكو في يناير ١٩٧٧ بعد مهمة صعبة وطويلة نسبيًا. وقد تم تعيينى فى مارس من نفس العام ضمن مجموعة المستشارين برئاسة المخابرات. لذلك ابتعدت عن النشاط فى العمليات الملموسة، وأصبحت مشغولاً بالمواضيع المهمة الكبيرة، كما أنى سافرت عدة مرات خارج وداخل الاتحاد السوفييتى فى مهمات قصيرة الأجل.

علمت عن ثورة أبريل فى أفغانستان من الجرائد، ولكنى كنت أعرف بعض الأخبار والتفاصيل عن انقلاب ٢٧ أبريل عام ١٩٧٨ من الحديث مع رئاسات قسم أفغانستان. كنت أعرف أيضًا أن مجموعة عمل من المخابرات السوفييتية قد طارت إلى كابول فى ٢ مايو ١٩٧٨ وأنها كانت تتكون من خمسة أفراد برئاسة متخصص خبير فى هذه المنطقة هو "أ.أ.يرشوف".

ولكن استمرت حياتى هادئة نسبيًا حتى يولية ١٩٧٨ لأن سفير الاتحاد السوفييتى فى أفغانستان "أ.م.بوزانوف" أرسل برقية فى يونية تفيد بأن ن.م.تاراكى يطلب إرسال مستشارين من الكى.جى.بى للعمل الدائم بجمهورية أفغانستان الديموقراطية للمساعدة فى إنشاء هيئات لأمن الدولة بها. وبسرعة اتُخِذ قرار فى موسكو بتلبية هذه الرغبة.

فجأة دعانى نائب رئيس المخابرات المسئول عن الكوادر فى بداية شهر يولية. بدأ الحديث كالعادة بعبارة "يجب تبادل الأفكار"، وأشار إلى الأحداث الجارية فى أفغانستان، وإلى ضرورة المساعدة على حماية الثورة، وسألنى عن رأيى فى السفر إلى كابول. عرضت عليه رأيى والذى يتلخص فيما يلى:

أولاً: لقد عدت منذ فترة قصيرة نسبيًا من مهمة صعبة طويلة، وطبقًا للقواعد المتبعة يجب منحى فترة لالتقاط الأنفاس لا تقل عن عامين.

ثانيًا: كان الوضع فى أسرتى صعبًا، فقد مرضت كل من والدتى وابنتى مرضًا خطيرًا، كما أن صحة زوجتى كانت سيئة، وأنه من المشكوك فيه أن يسمح لها الأطباء بالسفر فى الوقت الحالى. كما أن القومسيون الطبى قد لا يسمح لى أنا بالسفر مرة أخرى للعمل فى ظروف مناخية صعبة. لم أكن أتصنّع أى شىء، بل كل ذلك كان حقيقيًا. ونظرًا لهذه الظروف طلبت أن يتم اختيار مرشح آخر، خاصة أن عدد العاملين فى الجهاز المركزى يسمح بذلك. قال لى رئيس الكوادر إنه يتفهّم موقفى وإنه قد تحدث معى فقط من باب "جس النبض". انصرفت من عنده وأنا واثق تمامًا بأن هذا الموضوع قد انتهى.

مر أسبوع. وفى يوم ما كنت أتناول غذائى فى المطعم، فإذا بالنادلة تنادى علىَّ باسمى طالبة منى الذهاب إلى الهاتف. كان من يطلبنى هو نوبتجى الإدارة. قال إن "ف.أ.كريوتشكوف" عاد من لقاء مع ى.ف.أندروبوف[1] وطلب أن أكون بمكتب رئيس المخابرات عند وصوله.

أكملت غذائى بسرعة وذهبت إلى غرفة استقبال مكتب ف. أ.كريوتشكوف. وصل بسرعة قادمًا من لوبيانكا[2] ودعانى إلى مكتبه. قال لى ف.أ.كريوتشكوف بدون أية كلمات زائدة إن رئاسة اللجنة قد اتخذت قرارًا بإرسالى إلى الممثلية بكابول كرئيس لها. حاولت أن أرجع إلى الحديث مع نائبه المختص بالكوادر وبدأت فى تقديم الأسانيد. قاطعنى ف. أ.كريوتشكوف وأعلن أنه يعرف كل ذلك ولكن الموقف فى أفغانستان صعب وأننى أنسب شخص للقيام بهذا الدور نظرًا لمميزاتى الشخصية وقدراتى على العمل. طلبت منحى ولو فرصة لكى أفكر قليلاً فى ذلك، وقلت له إننى سوف أتصل به هاتفيًا فى اليوم التالى فى العاشرة صباحًا. أجابنى ف. أ.كريوتشكوف بأنه يمكننى بالطبع الاتصال به ولكن هذا الموضوع قد تم حسمه. وأضاف أن هذا تكليف من الحزب ومن رئاسة الكى.جى.بى. رويت فى

---

(١) كان فى ذلك الوقت رئيسًا للكى.ج.بى.

(٢) ميدان فى وسط موسكو به مبنى الكى.جى.بى

المساء لأهلى ببيتى ما دار فى هذا الحديث. بالطبع لم يلق هذا التكليف أى حماس من أى واحد منهم. بدأت فى قراءة معلومات عن أفغانستان وذهبت تدريجيًا للكشف عند القومسيون الطبى. وجد طبيب العيون أن الضغط داخل عينى اليمنى عالٍ وأعرب عن قلقه من ذلك. عند ذهابى إلى رئيس العيادة سألنى وهو يستعرض تشخيص طبيب العيون إن كنت راغبًا فى السفر فى هذه المهمة أم لا. أجبته بصراحة بأنه لا توجد عندى مثل هذه الرغبة. عندئذ قال إن الأطباء لن يسمحوا لى بالسفر نظرًا لحالتى الصحية.

دعانى ف. أ.كريوتشكوف إلى مكتبه مرة أخرى فى يوم ٢٨ يولية، وكان عائدًا لتوه من عند ى.ف.أندروبوف، وأخبرنى فورًا بأننى سوف أسافر معه فى يوم ٢ أغسطس إلى كابول. كان سوف يوقع هناك اتفاقية خاصة مع الجانب الأفغانى، وفى نفس الوقت يقدمنى له. عبَّرت له عن أملى فى العودة معًا إلى موسكو بعد توقيع الاتفاقية، وبأننى سوف أقوم بإجازتى ثم بعد ذلك سأسافر إلى مكان عملى الجديد. ولكن ف. أ.كريوتشكوف أعلن هنا أننى سأبقى فورًا فى كابول، وأنه يمكننى العودة إلى موسكو بعد شهرين أو ثلاثة للقيام بإجازة. انتهى الحديث. الشىء الوحيد الذى طلبته كان هو أن يصاحبنى إلى هناك اثنان من العاملين فى اللجنة ممن أعرفهم جيدًا بحيث أتمكن من الاعتماد عليهما تمامًا. وافق ف. أ.كريوتشكوف على ذلك.

وبذلك لم أتمكن لا أنا ولا زوجتى من القيام بالكشف فى القومسيون الطبى، كما أن أحدًا لم يكن يهمه ذلك.

تمكنت من الحديث مع قسم الكوادر حتى يقوموا بعمل إجراءات سفر سائق كفء كان قد صاحبنى فى مهمات سابقة، وكذلك مستشار متخصص فى موضوع الحدود هو صديقى القديم ذو الخبرة العقيد "ف.أ.كيريلوف". وقد صحبت معى فورًا موظف اللجنة الكفء "ب.ن.كابانوف".

هكذا طرنا إلى كابول فى صباح يوم ٢ أغسطس عام ١٩٧٨ من مطار "فنوكفا" على متن طائرة فى رحلة خاصة. رأس المجموعة ف. أ.كريوتشكوف. بالإضافة لى وإلى ب.ن.كابانوف، طار معنا رئيس قسم مكافحة الجاسوسية فى الإدارة العامة الأولى[٣] "أ.د.كالوجين" ومساعده ف. أ.كريوتشكوف وإحدى الشخصيات المسئولة باللجنة. تم شحن هدايا فى الطائرة لتقديمها للقادة الأفغان – بندقية صيد صناعة يدوية من نسخة واحدة بمصنع مدينة "تولا" مع بطاقة تعارف من "ليونيد اليتش بريجنيف" لنور محمد تاراكى، وبندقية صيد ومسدس من طراز "ماكاروف" لحفيظ الله أمين، وبندقية صيد أيضًا ومسدس من طراز "ستيتشكينا" لوزير الدفاع "أ.قدير"، وبندقية صيد ومسدس من طراز "ستيتشكينا" أيضًا لرئيس جهاز الأمن القومى "أسد الله سارفارى" مسدس من نوع "ستيتشكينا". وبالإضافة إلى ذلك كانت توجد كميات من المواد الغذائية فى صناديق منفصلة لإهدائها لنفس هذه الشخصيات: فودكا، كونياك، شمبانيا، جبن، سجق ومختلف أنواع المعلبات.

حدثت واقعة غير سارة فى الطائرة أثناء الرحلة. فقبل الصعود إلى الطائرة أعطى رئيس سكرتارية الإدارة العامة الأولى لب.ن.كابانوف حقيبة – صندوق تحتوى على مستندات مرجعية سرية ومذكرات خاصة لف.أ.كريوتشكوف. كانت الحقيبة – الصندوق مجهزة بآلية تدمر بها نفسها، وكان يلزم لفتحها معرفة كيفية إدخال مسمار محورى فيها. وقد بين رئيس السكرتارية لب.ن.كابانوف على عجل كيفية عمل ذلك. ولكن عندما طلب ف.أ.كريوتشكوف إعطاءه بعض المستندات أثناء الطيران، تبين أن ب.ن.كابانوف قد نسى فى أى جانب يجب إدخال المسمار. لم يكن من المريح ذكر ذلك لف.أ.كريوتشكوف. أرسلنا ب.ن.كابانوف إلى ذيل الطائرة، حيث حاول بكافة الطرق فتح الحقيبة وهو غارق فى عرقه البارد. وقد انتهى ذلك على خير.

(٣) إدارة المخابرات

هبطت الطائرة فى حوالى الساعة ١٢:٠٠ فى مطار طشقند. كان فى استقبالنا فى المطار السكرتير الثانى للّجنة المركزية للحزب الشيوعى بأوزبكستان "ل.أ.جريكوف". كانت مائدة منصوبة فى جناح الحكومة. أفادنا ل.أ.جريكوف باعتذار ش.ر.رشيدوف(٤)، الذى لم يتمكن من الحضور لاستقبالنا حيث إنه كان فى مكان ما فى الريف.

طرنا إلى كابول بعد أن توقفنا لمدة ساعة. مررنا فوق ممر "سالانج"، وبدأنا فى الهبوط، ثم ما لبث أن ظهرت فى الضباب الرمادى منازل طينية مختلطة بالأبنية الحديثة لعاصمة أفغانستان. ناديت على ب.ن.كابانوف وأشرت بيدى إلى أسفل قائلاً: "انظر هنا، هذا هو المكان الذى ستضطر للعيش فيه لمدة أربع سنوات".

أريد هنا أن أرجع قليلاً إلى الوراء. يرجع الأمر إلى أنى كنت حتى نهاية عام ١٩٧٠ متخصصًا فى منطقة جنوب وجنوب شرق آسيا. وقد سافرت فى عدة مهمات طويلة الأجل إلى الخارج، إلى كلٍّ من الهند وإندونيسيا. وأثناء وجودى فى موسكو فى ديسمبر ١٩٧٠، دعانى نائب رئيس المخابرات "ب.أ.سولوماتين" وعرض علىَّ الانتقال إلى منصب نائب رئيس قسم الشرق الأوسط والشرق الأدنى. كان "ب.أ.سولوماتين" يرى أن علىّ التركيز على الشرق الأوسط، الذى كان يضم أفغانستان أيضًا. تحدث معى رئيس القسم قبل توقيع أمر تعيينى. أوضح فى أثناء الحديث أنه سيكون علىَّ بالطبع بعد فترة زمنية ما أن أذهب للإقامة فى إحدى بلاد هذه المنطقة رئيسًا لمحطة المخابرات. كنت متفهمًا لهذا الرد، ولكنى اشترطت ألا أسافر أبدًا فى مهمة طويلة إلى أفغانستان. واتفقنا على ذلك.

بدأت أعمل فى هذه المنطقة منذ عام ١٩٧١. وقد ظهرت أسماء "تاراكى" و"بابراك كارمال" وغيرها خلال المراسلات. اضطررت للسفر إلى أفغانستان فى

---

(٤) السكرتير الأول للحزب الشيوعى بجمهورية أوزبكستان الاشتراكية السوفييتية.

أبريل ١٩٧١ لتقديم المساعدة والتفتيش على عمل مجموعة الاستخبارات المقيمة هناك. كان الوضع هناك هادئًا، وكان التعامل مع السوفييت هناك حسنًا. ذهبت مع رئيس محطة المخابرات هناك إلى "جلال أباد"، ثم عبرنا الحدود حتى أننا وصلنا إلى "روالبندى" عاصمة باكستان. كان الطريق يمر عبر ممر "خيبر" الشهير بالمنطقة التى تسكنها قبائل "الباشتون". مرت رحلة الثلاثة أيام بدون أية حوادث. سافرنا بالطبع بدون أية أسلحة. بالمناسبة كان كل الباشتون بدءًا من الأطفال فى سن ٩-١٠ سنوات يحملون البنادق والمسدسات والبنادق الآلية...إلخ. توقفنا عند أحد الأماكن بالجبل فى كيشلاك (قرية بوسط آسيا) حيث دخلنا محلاً صغيرًا لكى نشرب كوكاكولا. رأيت مدفع رشاش إنجليزى الصنع من نوع "طومسون" فسألت البائع الملتحى عن ثمنه. أجاب بأنه مستعد لأن يعطيه لى مقابل ٥٠٠ روبية. تبينت أن ذلك غالٍ جدًا. أعتقد أننى بدأت كما هو متبع فى الشرق فى الفصال، فعرض علىَّ شراء مدفعين رشاشين مقابل ٨٠٠ روبية. أتذكر هذا الوضع الهادئ نظرًا لأنه بعد عدة سنوات بدأت هنا حرب أهلية عنيفة ودموية.

توجهنا من المطار إلى السفارة. خصصت شقة صغيرة خاصة بالمراسلين لف.أ.كريوتشكوف. أما أنا وب.ن.كابانوف، فقد أخذنا أ.أ.يرتشوف فى سيارة إلى فيلا على بعد ٢٠٠ متر من السفارة، والتى تمكن من استئجارها وتجهيزها بطريقة مناسبة. كانت بها قاعة كبيرة فى الطابق الأول، وحجرة الطعام ومطبخ. أما الطابق الثانى، فكان يضم أربع حجرات نوم صغيرة. استقررنا هناك.

فى الساعة ١٥:٠٠ تقريبًا دعانا السفير "ف.أ.بوزانوف" كلنا، ف.أ.كريوتشكوف وأ.د.كالوجين وأنا وأ.أ.يرشوف على الغذاء عنده. قدمنى ف.أ.كريوتشكوف إلى السفير، وروى له قليلاً عن عملى السابق. اهتم ألكسندر مينجايلوفيتش بمدى اهتمامى بصيد السمك. كنت أعرف أنه مغرم جدًا بصيد الأسماك. فقلت له إنى لم أحضر معى زوجتى بعد، ولكنى أحضرت أدوات صيد الأسماك. كان السفير راضيًا حيث إنه كان ينوى أن يأخذنى معه لصيد الأسماك.

كان قد تم الاتفاق قبل ذلك على مقابلة "حفيظ الله أمين"(٥) الذى كان عضوًا باللجنة المركزية للحزب الوطنى الديموقراطى الأفغانى، وعضوًا بمجلس قيادة الثورة ونائبًا لرئيس الوزراء ووزيرًا لخارجية جمهورية أفغانستان الديموقراطية. كما أنه كان يشرف على هيئة الأمن القومى.

جرى الحديث فى مبنى وزارة الخارجية، وحضره كل من أ.م.بوزانوف وف.أ.كريوتشكوف وأ.أ.يرشوف وقام بالترجمة "د.ب.ريوريكوف". قدمنا السفير لحفيظ الله أمين الذى أخذ مبادرة الحديث فى يديه. كان للحديث سمة العمومية إلا أنه بعد المقابلات التحضيرية مع رؤساء هيئات الأمن العام سوف نكون جاهزين للتوقيع على اتفاقية سرية للتعاون فى هذا المجال.

قلت لف.أ.كريوتشكوف بعد عودتنا للسفارة إننا يجب أن نقابل حفيظ الله أمين مرة أخرى بدون السفير لكى نناقش أكثر تفاصيل عدد من المواضيع المتعلقة بمبادئ اتجاهات شراكتنا.

---

(٥) حفيظ الله أمين من الباشتون، ولد فى عام ١٩٢٧ فى منطقة "باجمان" بالقرب من كابول. وبعد تخرجه فى جامعة كابل عمل كمدرس. وفى عام ١٩٥٧ وفى عام ١٩٦٢ درس فى الولايات المتحدة الأمريكية. وبدأ بعد عودته إلى أفغانستان نشاطًا سياسيًا كبيرًا. وفى عام ١٩٦٥ أقام علاقة حميمة مع ن.م.تاراكى رئيس حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى. وفى الفترة التى انقسم فيها الحزب إلى جماعة "خلق" و"بارشام" ساند ن.م.تاراكى ونال إعجابه الشخصى وأصبح أقرب المقربين إليه بجماعة "خلق". وبعد اتحاد "خلق" و"بارشام" فى عام ١٩٧٧ تم انتخابه عضوًا فى اللجنة المركزية لحزب الشعب الديموقراطى الأفغانى الذى تم تكوينه من جديد، وفى الوقت نفسه تم تعيينه رئيسًا لهيئة العسكريين "الخلقيين" لحزب الشعب الديموقراطى الأفغانى بالجيش. وبعد وصول حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى إلى الحكم فى أبريل عام ١٩٧٨، تم تعيينه نائبًا لرئيس الوزراء ووزيرًا للخارجية بقرار من مجلس قيادة الثورة، كما أصبح عضوًا بالمكتب السياسى للجنة المركزية للحزب، كما تم ضمه إلى سكرتارية اللجنة المركزية للحزب، وأصبح فى سبتمبر ١٩٧٨ وزيرًا للدفاع. وقد نظم الرقابة على هيئات الأمن القومى بجمهورية أفغانستان الديموقراطية. وفى أغسطس عام ١٩٧٩ عزل ن.م.تاراكى من كل مناصبه، ثم قام بتصفيته وركز كل السلطات فى يديه.

قابلنا فى النصف الأول من يوم ٣ أغسطس رئيس إدارة الأمن العام "أسد الله سارفارى". وقد حضر المقابلة نائبه الأول "يوسف" وكذلك قائد فرقة الجيش الأفغانى "موزدوريار".

قرأ ف.أ.كريوتشكوف ما يشبه المحاضرة عن الأوضاع الدولية، وقدم تقييمًا للوضع فى المنطقة. وبعد ذلك قدم لأسد الله سارفارى مشروع نص الاتفاقية. وتم الاتفاق على توقيعها فى يوم ٥ أغسطس.

وبعد ذلك عقد اللقاء الثانى مع حفيظ الله أمين، ولكن هذه المرة بدون السفير. تمت مناقشة عدد المشاركين فى الممثلية واتجاهات العمل...إلخ. وقد رسم حفيظ الله أمين باختصار الوضع فى البلد من وجهة نظره. استغللت لحظة معينة وسألت: "أيها الرفيق أمين، وما هى الخلافات التى لديكم مع مجموعة "البارشام" بحزب الشعب الديموقراطى الأفغانى؟. أعلن حفيظ الله أمين أنه لا توجد أية خلافات، وأنهم يعملون معًا...إلخ. ثم انتقل الحديث إلى مواضيع أخرى.

عدت فى نهاية الحديث مرة أخرى إلى "البارشام" وطرحت سؤالاً: "أيها الرفيق أمين، على أية حال هل لخلافكم مع "البارشام" سمة عقائدية أم سياسية، أم أنها تكتيكية؟".

مرة أخرى بدأ حفيظ الله أمين إثبات عدم وجود خلاف، حتى أنه استند على أنه يوجد فى الحكومة أنصار "البارشام" وبصفة خاصة وزراء مثل "لايق" و"كيشتمند".

بعد عودتنا إلى السفارة، قال لى ف.أ.كريوتشكوف إنه لم يكن من الضرورى توجيه سؤال محرج مرتين عن علاقة حفيظ الله أمين بالبارشام.

اعترضت قائلاً لف.أ. كريوتشكوف ما يلى حرفيًا: "أنت يا فلاديمير ألكسندروفيتش سوف تسافر، وسوف تقوم رئاسة "خلق" ممثلة فى "أمين" و"تاراكى" بالاستمرار فى اضطهاد البارشام. وسوف يكون ذلك بمساعدة هيئة الأمن القومى.

ويمكن لحفيظ الله أمين أن يجر ممثليّتنا إلى هذا الصراع أو أن يتصنع كما لو كان الاضطهاد يجرى بموافقتنا. أما الآن فعندما أكد حفيظ الله أمين أنه لا توجد أية خلافات، فسيكون قيامه بذلك صعبًا جدًا. وإذا حدثت بعض المحاولات فإننا نستطيع دائمًا أن نعلن أن تلك هى شئونهم الداخلية الحزبية وأننا لا نستطيع أن نتدخل".

قبل وصولنا إلى كابول كان قد تم إرسال أهم زعماء البارشام إلى خارج البلاد. فقد تم إرسال بابراك كارمال كسفير إلى براج، وكان "أناحيتا" سفيرًا فى يوجوسلافيا، و"نجيب الله" سفيرًا فى إيران، و"نور أحمد نور" سفيرًا فى الولايات المتحدة الأمريكية...إلخ. وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت عندنا معلومات عن القبض على عدد من "البارشام" وإلقائهم فى السجون. وقد بينت الأحداث التالية أن تخوفاتى التى ذكرتها لف.أ.كريوتشكوف كانت صحيحة تمامًا.

استقبلنا ن.م. تاراكى فى النصف الأول من يوم ٤ أغسطس. وكان اللقاء فى الروضة الصغيرة الملحقة بقصر الملك السابق "ظاهر شاه"، والذى حمل اسم "قصر الشعب" بعد ثورة أبريل. كانت هناك مائدة مستديرة ومقاعد مجدولة من القش تحت شجرة دلب كثيرة الأغصان. حضر اللقاء من جانبنا السفير أ.م. بوزانوف وف.أ.كريوتشكوف وأنا أ.أ.يرشوف ومترجم. ظهر ن.م.تاراكى بصحبة ضابطه المساعد وقائد الحرس الشعبى "يعقوب".

قدم أ.م.بوزانوف ف.أ.كيوتشكوف وقدمنى إلى ن.م.تاراكى. اتسمت الدقائق الأولى من الحديث بالمظاهر البروتوكولية، وبعد ذلك أخذ ف.أ.كريوتشكوف زمام المبادرة. أخطر ن.م.تاراكى بأن قيادة الاتحاد السوفييتى قد درست طلبه لإنشاء ممثلية كى.جى.بى. الاتحاد السوفييتى فى جمهورية أفغانستان الديموقراطية، وإننا قد أحضرنا مشروع اتفاقية سرية قدمناها لأسد الله سارفارى. وإذا لم يكن لدى قادة جمهورية أفغانستان الديموقراطية اعتراضات فإن الجانب السوفييتى على استعداد لتوقيعه فى يوم ٥ أغسطس. ثم تحدث عنى بعد ذلك ف.أ.كريوتشكوف بتفاصيل أكثر، وذكر له إننى عملت منذ فترة قريبة فى طهران، وكيف أنه قال كأنه يمزح

بأنه لو علم شاه إيران أن ل.ب.بجدانوف وصل إلى أفغانستان فإنه غالبًا لن يكون مسرورًا. هنا كان رد فعل تاراكى بجملة: "نحن سعداء بحضورك إلى أفغانستان، وأنا أعرف دبلوماسيتكم الليلية. ولكننا هنا على أية حال عملنا أحسن مما عملتم أنتم فى إيران. وأنتم (كان يقصد الرفاق السوفييت) أثنيتمونا عن الثورة".

قدم ف.أ.كريوتشكوف البندقية إلى ن.م.تاراكى فى صندوق خشبى مع بطاقة تعارف ل.أ.بريجنيف. ظهر بوضوح تأثر ن.م.تاراكى وأمر ضابطه المساعد بشىء ما. شاهدنا فورًا خادمة تعد مائدة تحت شجرة أخرى. دعانا ن.م.تاراكى لشرب الشاى. كان على المائدة برادات وأقداح شاى وسكر وكعك تبين فيما بعد أنه تم شراؤه فى السوق. لم ألمس الكعك، ولكن ف.أ.كريوتشكوف لم يكن على دراية جيدة بالشرق فقرر تذوقه. قرب المساء، ندم على ذلك حيث ظهرت عليه أعراض التسمم.

جرت مباحثات فى يوم ٥ أغسطس، وبعد ذلك وقّع ف.أ.كريوتشكوف وأسد الله سارفارى الاتفاقية السرية. تم الاتفاق على بقائى فورًا فى كابول كأول رئيس لممثليتنا فى جمهورية أفغانستان الديموقراطية. وقُدمت هدايا تذكارية باسم حفيظ الله أمين إلى جميع السوفييت الذين شاركوا فى المباحثات.

فى يوم ٦ أغسطس أقام الجانب الأفغانى مأدبة غذاء لرفاقى فى أحد المنازل الملكية خارج المدينة.

طلبت من ف.أ.كريوتشكوف أن يتحدث مع أ.م.بوزانوف لكى يوفروا لنا ولو حجرة واحدة فى السفارة لكى نعمل فيها. ولكن طلبى ظل كأنه لم يكن.

ودعنا ف.أ.كريوتشكوف وباقى الرفاق المرافقين له فى ٧ أغسطس لكى يسافروا إلى موسكو.

وهكذا أصبحت ممثلاً للكى.جى.بى. السوفييتية بدون أن يكون لى مكان للعمل أو شقة لأسرتى أو سيارة أو تمويل للعمل. كان الشىء الوحيد الذى عندنا هو إمكانية الحصول على راتب حيث إن اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى

ووزارة الخارجية الروسية قررا أن يتم إنشاء ممثلية الكى.جى.بى. السوفييتية فى أجهزة الأمن القومى لجمهورية أفغانستان الديموقراطية والمكونة من ١٩ فردًا تحت "سقف" سفارتنا فى كابول.

بضع كلمات عن مخابرات جمهورية أفغانستان الديموقراطية

كان تصورنا عن مخابرات جمهورية أفغانستان الديموقراطية قبل إنشاء الممثلية الرسمية للكى.جى.بى. السوفييتية على الشكل التالى:

بعد قيام انقلاب أبريل عام ١٩٧٨ تم فورًا إنشاء إدارة للأمن القومى. وقد تم الاحتفاظ بهذا المسمى تقليديًا من عهد الملك ظاهر شاه وداود. ولكنها فى الواقع كانت تمثل مخابرات حزبية أو على الأصح إدارة لمكافحة الجاسوسية مكونة من مجموعة صغيرة (١٢-١٥ فردا) من ضباط الجيش السابق، اختارهم حفيظ الله أمين وأرسلهم إليها قبل أحداث ٢٧ أبريل، وكانت مسئولة أمام المكتب السياسى للحزب الوطنى الديموقراطى الأفغانى عن العمل فى الجيش وفى هيئة الأمن القومى. بالطبع لم تكن عندهم خبرة أو معرفة فى مجال العمل الفعال، وكانوا ينفذون أية أوامر صادرة من ن.م. تاراكى وحفيظ الله أمين. وكانوا عامة يعملون على مسئوليتهم. وكان الهدف الرئيسى لإدارة الأمن القومى هو مكافحة أى نوع من المعارضة بما فيها المعارضة داخل الحزب. كانت هذه المجموعة تلقى القبض على الأفراد وتقوم بالتحقيق معهم وتحكم عليهم وتنفذ الأحكام بنفسها. فى الواقع، كانت إدارة الأمن القومى هى الأداة التى بدأ ن.م.تاراكى بواسطتها تنفيذ شعاره الذى أعلنه بعد انقلاب أبريل وهو ينص على: "سوف نعبر أفغانستان على هراس حديدى".

كان رئيس إدارة الأمن القومى رائدًا شابًا من سلاح الطيران هو "أسد الله سارفارى". وهو فارع الطول، ضخم البنية، ولا يقل وزنه عن ١٢٠ كيلوجرامًا. كان متزوجًا وعنده طفلان. وكان فى البداية يرتدى خفًّا (صندل) وبنطلونًا وقميصًا بلا كرافتة وبلوفرًا.

كان أسد الله سارفارى يتميز بشجاعة غير عادية، وكان متمرسًا فى الطيران. وكان كل من ظاهر شاه وداود يعاملانه معاملة حسنة آنذاك. وقد جذبه حفيظ الله أمين للعمل السرى ثم بعد ذلك إلى الحزب الوطنى الديموقراطى الأفغانى (خلق). وقد تعلّم الطيران عندنا فى أكاديمية الطيران بمدينة فرونزى. كان يجيد الطيران على أنواع مختلفة من طائراتنا ومروحياتنا. كما أنه كان يجيد اللغة الروسية بدرجة ما.

وفى لحظة الانقلاب فى يوم ٢٧ أبريل ١٩٧٨ ارتفع بطائرته فى الجو وقصف قصر داود.

وقد بقيت فى ذاكرتى فقرتان من روايات سارفارى عن حياته.

حضر قائد طيراننا إلى قاعدة سلاح الطيران فى باجرام فى عهد ظاهر شاه، فتم تنظيم بيان طيران تدريبى. قاد أسد الله سارفارى طائرة مقاتلة فى الظلام وبدون خريطة وبأجهزة الملاحة مطفأة وفى حالة إطفاء الأنوار على ممرات الطيران والهبوط، فصعد بها ووصل إلى المنطقة المحددة وقام بالمهمات التى كُلِّف بها، ثم عاد بالطائرة وهبط بها فى نفس المطار. وبعد هذا الطيران أعلن قائدنا أنه كان يمكن أن يُمنح لقب بطل الاتحاد السوفييتى بسبب هذا العمل فقط.

أما القصة الأخرى، فطبقًا لرواية سارفارى، فمن زمن بعيد، عرض نور محمد تاراكى عدة مرات القيام بانقلاب فى عهد حكم داود. وكانت خطته كما يلى: فى يوم معين سوف يذهب إلى مكتب داود ويجلس فى مقعد بالقرب من المكتب. ثم سيتصنع بعد ذلك أنه يبحث عن شىء ما على الأرض وبذلك سوف يجعل داود ينحنى. عندئذ سوف يضربه بقبضته الضخمة على رأسه ثم يخفى جسده فى دورة المياه. وبعد ذلك سوف يضغط على زر الجرس للنداء على الضابط المساعد ثم يقف بسرعة بجانب الباب ماسكًا مسدسًا فى يده. ثم يدعوالضابط المساعد تحت

تهديد السلاح كلاً من وزير الدفاع ووزير الداخلية ورئيس إدارة الأمن القومى بالترتيب.

وعند دخولهم إلى المكتب واحدًا بعد الآخر، سوف يتعامل معهم سارفارى بنفس الطريقة التى تعامل بها مع داود. ثم يقوم بمساعدة الضابط المساعد بتجهيز أمر باسم داود بتعيين أشخاص آخرين فى هذه المراكز المهمة طبقًا لاقتراح سارفارى وبموافقة كل من ن.م.تاراكى وحفيظ الله أمين. ويعلن هذا الأمر من الإذاعة وفى الصحف. يحتل أنصار ن.م.تاراكى المراكز الجديدة ويتخذون الإجراءات اللازمة لتجريد رجال داود القريبين منه من قوتهم. كانت هذه هى كل الثورة.

قدمت هذين المثالين من حياة أسد الله سارفارى لجذب الانتباه من ناحية إلى شجاعته، ومن ناحية أخرى إلى ميله للمغامرة مع وجود عناصر تدل على سذاجة ما عنده.

كان النائب الأول لرئيس إدارة الأمن القومى هو أيضًا رائد شاب اسمه "يوسف". كان قد درس الطيران فى مدينة "كراسنودار" بالاتحاد السوفييتى. كان تخصصه هو "ضابط ملاحة"، وكان يعرف اللغة الروسية.

كانت قامة يوسف صغيرة وجسمه متوسط البنية، كما أنه كان يشكو من قرحة مزمنة فى المعدة. لم يكن كثير الحديث، بل كان مظهره خجولاً. كان عضوًا بحزب الشعب الديموقراطى الأفغانى وينتمى إلى جماعة "خلق". كان متزوجًا وله طفلان. كما أنه كان منفذًا جيدًا للأوامر، ويعتبر اليد اليمنى لأسد الله سارفارى. وعامة كان قد شاركه فى تنفيذ أصعب الأمور. وبعد وصول بابراك كارمال إلى السلطة أصبح يوسف مساعدًا للملحق العسكرى بسفارة جمهورية أفغانستان الديموقراطية بموسكو.

بقيت وزارة الداخلية بعد ثورة أبريل، حيث كانت تتكون من جزأين: مدنى- عبارة عن المحافظين وأجهزتهم الإدارية، وعسكرى - يمثل الشرطة التى حملت اسم "تسارندة" (الشرطة الوطنية) بكل ما يتبعها. كان يوجد فى النظام قسم عام للأمن. وكان هذا القسم بالذات يقوم لدرجة ما بدور مكافحة الجاسوسية. كما أنه كان يقوم بحراسة السفارات الأجنبية كما أنه كان يجب أن يمارس مكافحة الجاسوسية من حيث المبدأ.

كان يوجد قسم فنى فى الشرطة، حيث كانت تتركز الأنواع المختلفة من أجهزة اللاسلكى ومعدات التصوير والمعدات الأخرى وهى كانت إما صناعة يابانية أو أوروبية غربية.

كان حرس الحدود يتبع رئاسة الشرطة أيضًا. والتى لم يكن لها قيادة واحدة، حيث إنها كانت تتكون من عدة سرايا ومراكز حراسة منفصلة موزعة على الجزء الغربى من الحدود مع إيران، وجزئيًا على الحدود مع باكستان. كان قسم حرس الحدود هو أكثر الأقسام المهملة وأكثرها فقرًا. لم تكن توجد بها إدارة تموين مركزية. وفى بعض الأحيان كنت تجد لديهم بندقية واحدة من نوع "بور" فى مركز حراسة به ٨-١٠ أفراد. وكثيرًا ما كان جنود حرس الحدود يأكلون ويعيشون على ما ينجحون فى أخذه من المهربين الذين كانوا يسعون ذهابًا وإيابًا عبر الحدود بانتظام.

ويجب أن أضيف أنه بعد إنشاء ممثلية الكى.جى.بى. السوفييتية فى كابول وممثلية وزارة الداخلية السوفييتية فى كابول بوزارة داخلية جمهورية أفغانستان الديموقراطية، استمرت مجموعة صغيرة من المستشارين من ألمانيا الغربية تعمل لمدة ثلاثة - أربعة أشهر تحت رئاسة ضابط برتبة عقيد.

بعد الثورة أصبح الرائد "فاتاندجار" وزيرًا للداخلية بجمهورية أفغانستان الديموقراطية. كان يبلغ من العمر ٣٠ سنة. ولد فى أسرة فقيرة عاشت فى كيشلاك

وكان عدد أفرادها ٦٠ فردًا. كان هو الوحيد الذى تمكن من الوصول إلى "صفوة الناس". درس بالمدرسة الحربية وأصبح ضابطًا بسلاح الدبابات. تم ضمه إلى جماعة الضباط السرية المرتبطة بحزب الشعب الديموقراطى الأفغانى (خلق). قبل أبريل ١٩٧٨ قاد فاتاندجار كتيبة دبابات بلواء المدرعات الرابع. وكان هو الذى حرك كتيبته بأمر من حفيظ الله أمين فى ٢٧ أبريل ١٩٧٨ فى اتجاه كابول إلى مقر داود. وقد تخلفت عدة دبابات فى الطريق، ووصلت إلى القصر سبع دبابات فقط حسمت مصير الانقلاب.

كان فاتاندجار هادئًا وخجول المظهر ومتواضعًا. كان قصير القامة ونحيفًا وعينيه لونهما أزرق فاتح. كان يطلق عليه ى.ف.أندروبوف اسم "إنسان الثلج"[1]. وفى نفس الوقت تميز فاتاندجار بشجاعة شخصية وكان يُعتبر -على حق- أحد أهم أبطال ثورة أبريل.

أما الشرطة الوطنية المعروفة باسم "تسارندة" فقد رأسها الرائد "س.تارون" كان سنه أصغر قليلاً من أربعين سنة وكانت قامته صغيرة ومنكباه عريضين، كما أنه كان كثير الحركة. درس فى معهد علم الأرصاد الجوية بمدينة لنينجراد. وعند عودته إلى أفغانستان التحق بالعمل فى إدارة الأرصاد الجوية بالقوات الجوية. تم ضمه إلى جماعة الضباط السرية المرتبطة بالحزب الوطنى الديموقراطى الأفغانى (خلق)، وكان يعرف جيدًا اللغة الروسية. كان شخصية قاسية جدًا وكان يحب الأحاسيس الحادة. كان يمارس عمليات القبض على الأفراد واستجوابهم وتعذيبهم وتصفية المقبوض عليهم بسعادة كبيرة. وقد بدا لى أنه فى ذلك الوقت كان أقرب إلى ن.م.تاراكى منه إلى حفيظ الله أمين. كان يحب الأسلحة جدًا، وكان يرتدى الزى العسكرى ويرتدى حزامًا به طلقات من الرصاص على كتفه ويحمل مسدس "بولدوج".

---

(١) فى الأساطير الروسية إنسان بدائى لم يره أحد.

كان "عزيز أكبرى" هو رئيس القسم العام لأمن الشرطة فى هيكل وزارة الداخلية. كان يبلغ الخامسة والعشرين من عمره، وكان مظهره لطيفًا بل أنه كان شابًا جميلاً. كان دائمًا يرتدى بذلة أوروبية جيدة جدًا وكرافتة. كان تعليمه متوسطًا، وكان يعرف القليل من الإنجليزية. كان أعزبَ وكان مغرمًا بالنساء. كان يحترم تمامًا من هم أكبر منه. كان منفذًا جيدًا للأوامر. وكما عرفت فيما بعد كان قريبًا لأسد الله سارفارى. وأنا لست متأكدًا إن كان حفيظ الله أمين على علم بذلك. ولكنه كان هو بصفة خاصة من كان يكلفه حفيظ الله أمين بأدق الأعمال، عندما تولى منصب رئيس قسم مكافحة الجاسوسية. وبعد عدة سنوات قال لى عزيز أكبرى عندما قابلته فى مدينة "صوفيا" إن حفيظ الله أمين قال له فى يوم ما: "لقد قتلت رميًا بالرصاص ٥ آلاف شخص فقط، عليك أن تصل بهذا الرقم على الأقل إلى ١٠ آلاف كما فعل أسد الله سارفارى".

كان قسم مكافحة الجاسوسية العسكرية تقليديًا ضمن القوات المسلحة. كان ذلك مريحًا فى مرحلة محددة لأن أقارب الملك كانوا يشغلون المناصب القيادية فى الجيش، ولذلك كانت كل المعلومات بالطبع تصب عندهم. كانت توجد أيضًا إدارة لمكافحة الجاسوسية العسكرية وأقسام لمكافحة الجاسوسية فى الفيالق العسكرية الثلاثة، وفى الفرق وحتى فى سلاح الطيران وفى سلاح الدفاع الجوى.

كان رئيس قسم مكافحة الجاسوسية العسكرية هو العقيد "عبد الحق". وقد شغل هذا المنصب أيضًا فى نظم الحكم السابقة. كان عبد الحق طويل القامة. وكان نحيفًا ومتناسق البنية، ودائمًا مشدودًا ويرتدى بذلة عسكرية. كان رقيقًا، بل يمكننى أن أقول إنه كان شخصًا مثقفًا. كان منذ عهد الملك داود عضوًا بمجموعة ضباط حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى (خلق) السرية. كانت له خبرة كبيرة فى العمل فى مكافحة الجاسوسية. كان يتعامل بحرص مع حفيظ الله أمين، ولم يكن مؤيدًا لسياسة الاضطهاد الجماعى.

كان الحرس الشعبى مسئولاً عن الحراسة الداخلية والخارجية لمجمع القصور فى كابول. وقبل ثورة أبريل كان يسمى فقط "الحرس" وكان عدده حوالى ألفى فرد. وبعد الثورة احتفظ الحرس بهيكله السابق وبأفراده البسطاء ولكن تم تغيير غالبية الضباط والقيادة.

كان الرائد "يعقوب" يرأس الحرس الشعبى. كان وسيمًا منسق البنية، ويشبه أهل جمهورية جورجيا السوفييتية. درس يعقوب بالأكاديمية العسكرية بموسكو، وكان يتحدث الروسية بطريقة مقبولة. كان متزوجًا وعنده أربعة أولاد. وفى ذلك الوقت كان أحد الضباط المخلصين تمامًا لنور محمد تاراكى. كان يرافقه دائمًا فى الاحتفالات الرسمية، كما أنه كان عضوًا بحزب الشعب الديموقراطى الأفغانى (خلق). وفيما بعد أصبح يعقوب رئيسًا لأركان الحرب ولجأ إلى حفيظ الله أمين وأنهى حياته بطريقة تراجيدية فى يوم بعد ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩.

أريد فى هذا الباب أن أشير إلى شخصين آخرين لم يكن لهما فى صيف ١٩٧٨ أية علاقة مباشرة بالمخابرات، ولكنهما فيما بعد رأسا على التوالى لبعض الوقت وزارة الداخلية. أحدهما هو الرائد "جوليابزوى"، وهو شاب قصير القامة عريض المنكبين نشيط وشجاع جدًا. كان قبل الثورة عضوًا بجماعة ضباط حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى (خلق) السرية. شارك بنشاط فى أحداث أبريل. كان إخلاصه بلا حدود لنور محمد تاراكى. وقد أصبح اعتبارًا من ٢٧ أبريل ١٩٧٨ الضابط المساعد والحارس الخاص لرئيس أفغانستان. وبعد وصول بابراك كارمال إلى الحكم أُرسل كسفير لجمهورية أفغانستان الديموقراطية بالاتحاد السوفييتى بسبب الخلافات فى الرأى التى ظهرت.

أما الثانى فهو الرائد "موزدوريار" عضو حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى (خلق). فبعد انقلاب أبريل أصبح فورًا قائدًا للفيلق المركزى بالجيش الأفغانى. ثم أصبح بعد ذلك وزيرًا لشئون الحدود. كان رجل نور محمد تاراكى. وكان كل من موزدوريار وأسد الله سارفارى وفاتاندجار وجوليابزوى أصدقاء

قريبين من بعضهم البعض. وكانوا معًا ضمن المعارضين لحفيظ الله أمين. وقد قابلت كل الشخصيات التى ذكرتها بانتظام لتقرير المواضيع المتعلقة باختصاصهم.

وبذلك لم يكن يوجد فى أفغانستان قبل شهر أغسطس ١٩٧٨ فعليًا هيكل موحد يسمح بتنظيم وأداء نشاط تحقيق أمن الدولة فى البلد.

التكون

هكذا طار ف.أ.كريوتشكوف إلى موسكو. وبقيت أنا فى كابول وكذلك أ.أ.يرشوف ومجموعة الاستخبارات التى حضرت معه منذ شهر مايو. كان من المقرر أنه بعد تعرفى على الوضع سيعود أ.أ.يرشوف إلى موسكو. أما باقى أعضاء مجموعته فسيدخلون فى تكوين الممثلية. وبذلك كانت الممثلية مكونة فى أغسطس – سبتمبر ١٩٧٨ من رئيس ومستشار لشئون مكافحة الجاسوسية ومستشار لشئون مكافحة الجاسوسية العسكرية ومستشار لشئون الحدود ومستشار للمعدات الفنية للعمليات ومستشار لشئون حراسة رئاسات الدولة ومترجم واحد. وإذا أضفنا لهم ب.ن.كابانوف الذى جاء معى فإن إجمالى عدد العاملين فى الممثلية يكون ثمانية أفراد.

عمليًا كان يوجد أمامى هدفان: مساعدة الجانب الأفغانى فى إنشاء أجهزة أمن جمهورية أفغانستان الديموقراطية وتنظيم عملها، وتكوين أول ممثلية للكى.جى.بى.السوفييتية وتنظيم عملها وتقديم نشاطها فى إطار أجهزة أمن هذا البلد.

كان من الواضح أنه سوف يكون علىَّ تحقيق هذين الهدفين فى ظروف سياسية داخلية صعبة جدًا.

بالطبع كنا فى ظروف أصعب من تلك التى كان فيها مستشارونا من وزارة الدفاع السوفييتية. كان التعاون العسكرى مع أفغانستان قد بدأ منذ الخمسينيات. وأصبح الجيش الأفغانى مجهزًا خلال الخمس وعشرين سنة الماضية أساسًا بأسلحتنا ومعداتنا بما فيها أسلحة الدفاع الجوى. كانت القوات البرية الأفغانية تتكون من ثلاثة فيالق عسكرية وفرقتين منفصلتين (فى هرات ومزار الشريف). كان قد تم تكوين كل مجموعة القوات المسلحة ونظام الإدارة. وفى الحقيقة كانت موجهة منذ

عهد ظاهر شاه للعمليات الدفاعية والهجومية ضد باكستان. وبعد ثورة أبريل تم فقط تغيير القيادات العليا للقوات المسلحة. أما باقى الأفراد فقد بقوا فى أماكنهم. كان مستشارونا موزعين منذ زمن بعيد فى المواقع المختلفة واستمروا فى العمل فى مختلف عمليات الإعداد العسكرية كما كان يحدث فى عهد الملك وفى عهد داود. وقد تغيرت مجموعة المرءُوسين الأفغان فقط لدى كبير الخبراء العسكريين وبعض ضباطنا. كان قد تم حل المشاكل الحياتية للمستشارين العسكريين والمشاكل الاجتماعية الأخرى جذريًا. وطبقا للاتفاق كان يجب أن يكون عدد المستشارين العسكريين ٤٠٠ فرد. ووصل عددهم فى أفغانستان قبل صيف ١٩٧٩ إلى حوالى ١٢٠٠ فرد. كان كبير المستشارين العسكريين هو اللواء "ليف نيكولاييفيتش جوريلوف" الذى كان قد عمل فى أفغانستان عدة سنوات.

وقَّع النائب الأول لوزير داخلية الاتحاد السوفييتى "بابوتين" فى كابول اتفاقية لإنشاء ممثلية لوزارة الداخلية السوفييتية بجمهورية أفغانستان الديموقراطية. وقد قام وزير الداخلية "ن.أ.شيلوكوف" بذلك بالاتفاق مع "ليونيد أليتش بريجنيف" وبدون مناقشة هذا الموضوع مع ى.ف.أندروبوف. فى العادة كان يتم إنشاء ممثلية مشتركة، أو كان يتم ضم مستشار من وزارة الداخلية ضمن ممثلية الكى.جى.بى السوفييتية فى البلاد الصديقة لنا. ثم حضرت فى يوليو ١٩٧٨ إلى كابول بسرعة مجموعة (٧-٨ أفراد) من مستشارى وزارة داخلية الاتحاد السوفييتى برئاسة الرئيس السابق لإدارة وزارة الداخلية بالاتحاد السوفييتى الخاصة بإقليم "كيروف" اللواء "فسيلكوف". وقد تم إنهاء إجراءاتهم عن طريق اللجنة الحكومية للتعاون الاقتصادى، ولم يكن عندهم شفرة للاتصال بموسكو، لذلك كانوا يقومون بذلك عن طريق السفير "أ.م.بوزانوف".

تقريبًا فى نفس هذا الوقت، ظهرت فى كابول مجموعة أخرى مكونة من ٥-٦ مستشارين حزبيين، وكان يرأسها السكرتير الثانى للإدارة الإقليمية للحزب الشيوعى السوفييتى بجمهورية باشكيريا "س.م.فيسيلوف".

وبعد ذلك بدأ المستشارون فى مختلف المجالات يطيرون كالغربان إلى جمهورية أفغانستان الديموقراطية. ظهروا فى الطرقات وفى المكاتب، تقريبًا فى كل الهيئات المركزية بأفغانستان بما فيها وزارة الخارجية. حضر المستشارون من مختلف أنحاء الاتحاد السوفييتى: من موسكو ولنينجراد وروسيا البيضاء وأوكرانيا وسيبيريا ومن جمهوريات آسيا الوسطى. وكانوا عامة من ذوى المراكز المهمة فمنهم نواب وزراء بل ووزراء. وزاد عددهم بسرعة عن ٢٠٠ فرد. وقد اندفعوا كلهم لبناء "الاشتراكية" على طريقتهم معتمدين على خبرة أقاليمهم وبدون مراعاة خصوصيات أفغانستان. وعندما أقبل خريف ١٩٧٨ كان يعمل فى داخل جمهورية أفغانستان الديموقراطية أكثر من ٥ آلاف من الخبراء السوفييت. وكما بدا لى كانت أهم مشكلة هى عدم وجود قيادة موحدة. لم يستطع السفير أن يتعامل بنجاح مع هذا الجيش الجبار. وقد قدمت تقريرًا عن ذلك إلى رئاستى.

قبل وصولنا إلى جمهورية أفغانستان الديموقراطية قامت أركان الحرب بالقوات المسلحة للاتحاد السوفييتى بإنشاء مركز اتصالات فى كابول أُطلق عليه اسم "ميكرون". كان هذا المركز يعمل عن طريق قمر صناعى تم إطلاقه، وكان يمكنه أن يوصل معلومات مشفَّرة عن طريق التلكس واللاسلكى والتليفون. كانت الأجزاء الكبيرة الحجم موضوعة فى داخل استاد على أرض نادى الضباط الملكى السابق. وقد تم توصيل خط التليفون فى مبنى صغير عند حمام السباحة. كانت توجد حراسة مشددة على أرض "ميكرون" بواسطة القوات الخاصة للجيش السوفييتى. كان دخول الأفغان إليها ممنوعًا. كان من المسموح فقط لكبير المستشارين العسكريين أو مساعديه المقربين بإرسال المعلومات إلى أركان الحرب. كان خط التليفون مُوصَّلاً بسويتش الاتصالات الحكومية بموسكو. وكان

مسموح فقط لكبير المستشارين والسفير ورئيس مركز المخابرات بالاتصال بهذا السويتش. أما موسكو فكانت تستطيع أن تدعو إلى الجهاز أشخاصًا آخرين. لم يكن من الممكن الدخول إلى أرض "ميكرون" إلا بتصريح خاص من رئيس مركز الاتصـال. عمليًا، كان يخدم فى هذا المركز عامل خاص من المخابرات العسكرية. أقمت معه علاقات حسنة. من الجدير بالإشارة أن المعدات الجديدة بمركز "ميكرون" كانت تتم تجربتها ولم يكن خط التليفون يعمل جيدًا دائمًا، فأحيانًا لم تكن تُسمع المكالمات بشكل واضح.

بالطبع حضر كل المستشارين إلى أفغانستان بناءً على طلب وموافقة قيادة هذا البلد. كان نور محمد تاراكى وحفيظ الله أمين يسيران على سياسة "فليبنِ لنا الرفاق السوفييت الاشتراكية". وقد ذكر لى حفيظ الله أمين فى أحاديثه معى، مرتين على الأقل، أنه قد تم بناء الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى فى ٦٠ عامًا، أما الأفغان، فعليهم أن يقطعوا هذا الطريق فى ست سنوات. كان هذا بالطبع خداعًا حقيقيًا منهم.

استغرق رفاقنا السوفييت فى العمل بحماس. كانت غالبيتهم لم تسافر خارج حدود الاتحاد السوفييتى قبل ذلك، وكانوا غير مدركين أبدًا أنهم موجودون على أرض دولة أخرى وأنه توجد فى هذا البلد ممثليات دول أخرى كثيرة. ولم يخطر ببالهم أن مخابرات عدد كبير من الدول تعمل بنشاط فى جمهورية أفغانستان الديموقراطية.

وقد ذكرت قبل ذلك أن مجموعة من أفراد شرطة ألمانيا الغربية كانت تعمل بوزارة داخلية أفغانستان بجانب مستشارينا لفترة ما.

وقد كنت على علم بالاتفاقية السرية لداود مع المخابرات الهندية. وبناء على هذه الاتفاقية تم إنشاء مراكز فى كل من "قاندهار" و"جلال أباد" للتنصت على خطوط الاتصال التليفونية واللاسلكية الباكستانية. وبناء على هذه الاتفاقية قدمت

أفغانستان الأرض والمبانى وبعض العمالة المساعدة، بينما قدمت الهند معداتها وخبراءها للتنصت وفك شفرة المعلومات التى يحصل عليها. ولم يكن من الممكن ألا تعرف المخابرات الإنجليزية ذلك فى إطار التعاون بين دول الكومنولث البريطانى. وبعد ثورة أبريل، كان يتم تقرير كل الأمور المتعلقة بعمل مراكز التنصت بمعرفة أسد الله سارفارى وسفير الهند فى كابول.

كان عمل المخابرات الباكستانية هو الأنشط على أرض أفغانستان. كان لها مقر كبير في كابول وشبكة من عملاء المخابرات شملت المصالح التى كان يعمل بها الخبراء السوفييت. بالطبع كانت تستفيد بمعلوماتها المخابرات المركزية للولايات المتحدة الأمريكية فى إطار اتفاقية سرية.

أظهرت إيران أيضًا بحماس اهتمامًا تقليديًا بأفغانستان. كان شاه إيران "رضا بهلوى" يتابع باهتمام الوضع فى هذا البلد. كان يقلقه دائمًا وجودنا وكذلك إمكانيات تنفيذ عمليات نشطة من أفغانستان تهدف إلى الاستيلاء على باكستان الغربية (كانت تحمل هذا الاسم عندما كانت توجد باكستان الشرقية، التى تحولت فيما بعد إلى دولة مستقلة تحمل اسم بنجلاديش) أو إلى القضاء عليها. كان يوجد فى الخمسينيات والستينيات والسبعينيات وفى بداية الثمانينيات من القرن العشرين افتراض أمريكى بأن روسيا تسعى للوصول إلى "البحار الدافئة". يرجع ظهور هذا الافتراض إلى عهد حكم "بطرس الأول". كان الشاه مؤمنًا بذلك بناء على كلام الأمريكان، خاصة أن أفغانستان كان من الممكن أن تكون رأس جسر لتنفيذ هذه الأفكار. ولكنى أعرف تمامًا أنه لم تكن توجد فى خططنا "نظرية البحار الدافئة". ولكن كان القادة الأفغان حتى قبل ثورة أبريل يفكرون فى القضاء على باكستان الغربية وإنشاء "أفغانستان الكبرى". كان الملك ظاهر شاه ينوى أن يستخدم لهذه الأهداف الخصومة القومية فى باكستان وكذلك ما يسمى بمشكلة "بوشتون". لم تعترف أفغانستان منذ عام ١٩٤٧ بقانونية خط "ديوراند" كخط حدود مع باكستان. لهذا السبب بالذات فإن القوات الرئيسية للجيش الأفغانى- ثلاثة فيالق عسكرية -

كانت دائمًا تشرف على الجزء الغربى من هذا البلد. كنت أعلم أنه بما أننا نتبع سياسة سلمية فقد أقنعنا ظاهرشاه بالتخلى عن الأعمال النشطة فى هذه المنطقة. يجب أن نضيف أن فكرة أفغانستان الكبرى لم تفارق القادة الجدد لجمهورية أفغانستان الديموقراطية. ففى خلال حديث شخصى ألقى وزير الداخلية "فاتاندجار" جملة تفيد بأنه يجب أن تكون أفغانستان فى المنطقة الواقعة بين "أموا" (يقصد نهر أموداريا- ل.ب.) و"هند" (نهر فى باكستان- ل.ب.). كما أن عبارة مماثلة أفلتت من حفيظ الله أمين أيضًا عندما قال "إننا سوف نسبح فى المحيط بالقرب من كاراتشى". يمكن أن أعلن بمسئولية تامة أننا لم نكن متفقين مع هذا الاتجاه، وأننا قد نصحنا الأفغان بأنه من الأجدى أن ينشغلوا بمشاكلهم الداخلية.

فلنعد للحديث عن إيران. نشط عمل مخابرات هذا البلد فى أفغانستان بعد ثورة أبريل. وقد اعتمدت على اللوبى المؤيد لإيران والذى تكون من قبل فى أفغانستان، كما أنهم أقاموا علاقات قوية مع مخابرات باكستان. كما أننى كنت أعرف منذ عملى السابق عن الاتفاقية السرية بين شاه إيران وقادة باكستان بخصوص "بيلودجستان"، حيث إن البيلودج موزعون فى منطقة تلاقى ثلاثة حدود: إيران وأفغانستان وباكستان. ولهذا الشعب حضارة ثرية وتاريخ. عامة مشكلة البيلودج تشابه مشكلة الأكراد الذين يعيشون فى منطقة تلاقى حدود تركيا وإيران والعراق. وقد ظهر دائمًا البيلودج كشعب يسعى للاستقلال القومى. وكانت توجد اتفاقية سرية بين شاه إيران وقادة باكستان تتعلق بإمكانية دخول القوات الإيرانية إلى أراضى "بيروجى" فى باكستان وأفغانستان فى حالة تعقُّد الوضع فى هذه المنطقة. وليس هناك شك فى أنه كان للأمريكان إمكانية الحصول على كل المعلومات التى تحصَّلت عليها كل من المخابرات الإيرانية والمخابرات الباكستانية. كما أنهم كانوا ينفذون عند الحاجة مهمات أخرى عن طريقهما.

كان عملاء مركز وكالة المخابرات الأمريكية أيضًا يعملون فى كابول. وبجانب حصولهم على مصادرهم فى أفغانستان كانوا يقومون بأعمال تستهدف الاتحاد السوفييتى خاصة فيما يخص تجنيد مواطنينا.

سوف أقدم مثالاً واحدًا فقط. عندما كنت ما أزال فى إيران، كان يعمل بسفارة الولايات المتحدة الأمريكية بطهران أحد عملاء وكالة المخابرات الأمريكية النشيطين جدًا نائبًا للقنصل هو "بيتر رينجلاند" (الاسم الحركى "جرمان"). كانت أصول أجداده من روسيا. وكان "جرمان" نفسه قد عاش فترة محددة من عمره فى جمهوريات البلطيق السوفييتية. كان يعرف تمامًا اللغة الروسية وتاريخ وثقافة بلدنا، بل أنه كان يعرف نكاتنا أيضًا. كان مشتركًا فى عدد كبير من مجلاتنا وصحفنا ويقرأها. كانت زوجته "فالنتينا" روسية. وتقول بعض المعلومات إنها كانت تعيش فى بداية الحرب العالمية الثانية فى روسيا البيضاء، ثم تم ترحيلها إلى ألمانيا. وبعد الحرب عمل القدر على أن يلتقيا، وتزوجا. كانت المهمة الأساسية لجرمان هى تجنيد عملاء من بين السوفييت. ويمكن كتابة بحث كبير أو حتى كتاب عن مغامراته فى طهران.

حصلنا فى طهران على معلومات تفيد بأن "جرمان" وزوجته سيطيران إلى كابول. كان من المعروف أن أفغانستان ليست ذلك البلد الذى يمكن الاستجمام فيه، خاصة فى الأيام الحارة. أرسلنا إخطارًا بذلك إلى موسكو أوصينا بمراقبته فى "كابول". جاءنا الرد بسرعة بأنه لم يُرصَد أى شىء مثير للشك فى تصرفات جرمان. وبعد فترة أخرى طار مع زوجته ثانية إلى أفغانستان. أرسلنا تحذيرًا ثانيًا. بعد فترة اتضح ما يلى: كان يعمل فى كابول فى مركز المخابرات المركزية الأمريكية سكرتير ثانٍ لسفارة الولايات المتحدة الأمريكية "ليسارد". يبدو أنه كان يقوم بدراسة تفصيلية لأحدِ خبرائنا عن طريق إمكانيات عملائهم. بعد كل الإجراءات الأولية كانت هناك حاجة لشخص يعرف اللغة الروسية ليقوم بعملية التجنيد حيث إن خبيرنا لم يكن متمكنًا من اللغة الإنجليزية. تم استدعاء "جرمان".

وفى اليوم المحدد تم لقاء كل من ليسارد وزوجته و"جرمان" وفالنتينا والخبير السوفييتى فى مطعم "مارك وبولو" بوسط كابول.

كان مركز مخابراتنا على علم بمكان عقد اللقاء وأرسلوا إلى هناك مجموعة من شرطة مباحث الجنايات الأفغانية. عندما اشتدت وطأة الحديث ظهر فى القاعة عدد من رجال الشرطة، واقتربوا من المائدة وطلبوا بناءً على حجة فكروا فيها من الجالسين أن يبرزوا بطاقات هويتهم. بدأ ليسارد فى التأفف ثم أبرز بطاقته الدبلوماسية كموظف يعمل بسفارة الولايات المتحدة الأمريكية بكابول. سُمح له أن يغادر القاعة. طلبوا من "جرمان" وزوجته أن يذهبا معهم إلى نقطة الشرطة. حاول الأخير أن يقاوم، فتم إخراجه هو وزوجته بالقوة من المطعم. وضعوا فالنتينا فى مكان على انفراد، وكتبت تحت تأثير ما حدث توضيحًا كشفت فيه بشكل ما عن هدف حضورهما إلى أفغانستان. حضر القنصل الأمريكى. استخدم الجانب الأفغانى اعتراف الزوجة لكى يعلن أن وجود "جرمان" غير مرغوب فيه على أرض أفغانستان التى ترتبط بعلاقات صداقة مع الاتحاد السوفييتى. وبذلك تم القضاء على محاولة تجنيد مواطن سوفييتى، أما "جرمان" فقد تقبل ذلك كإنذار آخر.

ولكن هذه الحالة لم تكن وحيدة. فقد أدى وجود جالية سوفييتية كبيرة منتشرة فى كل البلد، وحرية الحركة وفى نفس الوقت عدم وجود وسائل اتصال جيدة جعلت من أفغانستان ميدانًا مناسبًا للقيام بمثل هذه الأعمال التخريبية الموجهة لبلدنا.

كما لا يجب أن ننسى نشاط المخابرات الإنجليزية أيضًا، تلك التى كان لها دائمًا وضعًا مستقرًا تمامًا فى أفغانستان.

عملت أيضًا مخابرات جمهورية الصين الشعبية بنشاط. فبعد ثورة أبريل اتبع هذا البلد سياسة مساندة لباكستان بعد ثورة أبريل.

كان يجب مراعاة كل ذلك حيث إن مخابرات مختلف الدول سوف تحاول أن يكون لها رجالها فى هيئات أمن دولة جمهورية أفغانستان الديموقراطية الجديدة.

ولكى لا أعلن عن نفسى صراحة، اتفقت مع المسئول فى سفارتنا عن البروتوكول بألا يسجل اسمى أنا واثنين من العاملين فى قائمة الدبلوماسيين التى تصدرها وزارة خارجية أفغانستان.

لم يكن من واجبات ممثلية الكى.جى.بى. توفير أمن المواطنين السوفييت. كان المسئول عن ذلك هو ضابط أمن السفارة وكذلك أربعة من العاملين بمخابراتنا العسكرية الذين كانوا ضمن مجموعة المستشارين العسكريين وكانوا متصلين بمركز المخابرات. ولكننا لم نستطع ألا نقوم بذلك حيث ظهرت إمكانية حقيقية لكى نعتنى بأمن مواطنينا باستخدام المخابرات المحلية.

قمت فى الأسبوع الأول بعد مغادرة ف.أ.كريوتشكوف بالتعرف على رؤساء الهيئات السوفييتية وكذلك على الأفغان الذين لهم علاقة بالمخابرات. قابلت مع أ.أ.يرشوف "طارون" و"أ.أكبرى".

قمنا أيضًا بزيارة وزير الداخلية "فاتاندجار" وسلمناه هدايا من رئاسة كى.جى.بى. الاتحاد السوفييتى. وفى يوم ١٥ أغسطس استقبلنا وزير الدفاع الجنرال قدير. وقد سلمناه هو أيضًا بندقية صيد ومسدسًا من نوع "ستوتشكين". كما كانت هناك بعض الأحاديث مع أسد الله سارفارى. من الأحاديث مع كل من أ.أ.يرشوف وأسد الله سارفارى عرفت عن مؤامرة الجنرال "شهبور" والدكتور "على أكبر"، التى تم اكتشافها قبل وصولنا إلى كابول. بعد ثورة أبريل، أصبح الجنرال شهبور رئيسًا لأركان حرب الجيش الأفغانى. أما الدكتور على أكبر فقد كان طبيبًا ، وشخصًا ثريًا جدًا. كان يمتلك منزلاً كبيرًا مكونًا من ثلاثة طوابق بالقرب من سفارتنا. لم أتمكن من الإلمام بأساس المؤامرة ولكن طبقا لرواية أسد الله سارفارى فقد تم إلقاء القبض على كل منهما على اعتبار أنهما عميلان للمخابرات الأمريكية.

كان يوم سفر أ.أ.يرشوف إلى موسكو محدَّدًا ليكون فى ١٧ أغسطس. فى اليوم السابق، أى يوم ١٦ أغسطس، نظم أسد الله سارفارى غذاء فى المطعم الفاخر الصغير "كارجا" بمناسبة سفر أ.أ.يرشوف. حضر الضيوف وبينهم سفيرنا فى الساعة السادسة مساء كان المطعم محاطًا بحراسة، حتى أنه كان يقف اثنان من حاملى الرشاشات فوق السطح. وصلت إلى المطعم تقريبًا فى نفس الوقت مع أسد الله سارفارى. تبادلنا بضع عبارات. وفجأة ذكَّرنى أسد الله سارفارى بشهبور وعلى أكبر، وقال إنه طبقًا للمعلومات المتوفرة فمن الأكيد أن القيادة العسكرية كانت تقف وراء هذه المؤامرة. فى أثناء الحفل فكرت فى هذه العبارة. من يمكن أن يكون قائدًا عسكريًا لمؤامرة رئيس أركان الحرب؟ وتعثرت – قدير. أصبح من الواضح لى أن الضحية التالية ستكون "وزير الدفاع".

بعد عودتى إلى السفارة، عرجت على أ.م.بوزانوف ورويت له تصورى. أعلن ألكسندر ميخيلوفيتش أن ذلك لا يمكن أن يكون أبدًا، وأننى جديد هنا وأنى لم أفهم الوضع تمامًا. اعتمد السفير على أنه منذ ثلاثة أيام فقط تم إدخال قدير فى اللجنة المركزية لحزب الشعب الديموقراطى الأفغانى، وأنهم قد شربوا بهذه المناسبة مع جنرالنا "جوريلوف" زجاجة شمبانيا. لم أناقش ولكنى أشرت فقط إلى أنه من الممكن أن يكون ضم قدير إلى اللجنة المركزية قد تم – فقط – لكى يتم "تنويم" حذره.

وصلنا إلى مطار كابول فى يوم ١٧ أغسطس فى الساعة ١٠:٠٠ لتوصيل أ.أ.يرشوف. غادرت الطائرة فى الساعة ١١:٠٠. ثم وصل أسد الله سارفارى بعد ذلك بفترة وجيزة. عند رؤيته لى اقترب منى وقال لى بصوت منخفض: "ألم أقل لك إنه توجد قيادة عسكرية لمؤامرة شهبور وعلى أكبر. تبين أنه "قدير". وقد تم القبض عليه صباح اليوم.

أشرت لأسد الله سارفارى على سفيرنا وطلبت منه أن يخطره بذلك بنفسه. أخذ أسد الله سارفارى أ.م.بوزانوف جانبًا وتحدث معه عن شىء ما. بعد ذلك

وجدنى أ.م. بوزانوف بسرعة وسألنى: "ليونيد بافلوفيتش، أتعرف أنه تم القبض على قدير؟".

أجبته بأنى أعرف، وبأنه قد تم القبض على قدير فى الساعة ٩:١٥ صباحًا فى دارالشعوب. جمع السفير رؤساء الهيئات الرئيسية السوفييتية وعقد اجتماعًا عن الوضع الحالى. حضر الجنرال جوريلوف. وقد أكمل الصورة ببعض التفاصيل. فكالعادة حضر جوريلوف فى الساعة ٨:٠٠ صباحًا إلى مكتب قدير. وفورًا رن جرس التليفون. طلب نور محمد تاراكى من وزير الدفاع أن يحضر إليه بصفة عاجلة. كان الطريق إلى مقر نور محمد تاراكى يستغرق عشر دقائق. طلب قدير من جوريلوف انتظاره، وتوجه إلى قصر الشعب بدون سلاح. تبين فيما بعد أن عملية القبض عليه قام بها تارون فى قوس البوابة الخشبية المؤدية إلى القصر. بقى جوريلوف منتظرًا. وفى حوالى الساعة ٩:٣٠ دخل المكتب فاتاندجار وأخطره بالقبض على قدير وتعيينه مؤقتًا وزيرًا للدفاع.

أرسل السفير إخطارًا إلى موسكو. ولكن دوت عبارة هناك بشكل غريب جدًا. فطبقًا لتقدير السفارة فإنه من المفترض أن القبض على قدير سوف يفيد تقوية وحدة اللجنة المركزية بالحزب الشعبى الديموقراطى لأفغانستان.

وبالفعل، اتضح لى بعد ذلك أنه بالقبض على قدير، تمكن حفيظ الله أمين من تنظيف طريقه نحو القيادة المباشرة للجيش.

بدء العمل

فى يوم ١٧ أغسطس وأنا فى المطار طلبت من أسد الله سارفارى أن ينظم لى لقاء مع حفيظ الله أمين. وقد تم هذا اللقاء صباح يوم ١٨ أغسطس فى مبنى وزارة خارجية أفغانستان.

عرضت على حفيظ الله أمين رأيى المبدئى تمامًا عن مخابرات جمهورية أفغانستان الديموقراطية، وطلبت منه التأكد من بعض الموضوعات. قلت له على وجه الخصوص إن عادة ممثلية كى.جى.بى. الاتحاد السوفييتى فى الدول الصديقة تكون موجودة فى هيئة أمن محددة ويكون رئيس الممثلية معتَمدًا عند رئيس هذه الهيئة. أما فى جمهورية أفغانستان الديموقراطية فلا يوجد بعد نظام موحَّد لأمن الدولة، لذلك يجب تحديد وضعى بدقة. كان رد فعل حفيظ الله أمين سريعًا بخصوص هذا الموضوع، فأعلن أننى شخصيًّا تابعًا لرئيس مجلس وزراء البلد. ونظرًا لأنه هو- حفيظ الله أمين- حاليًا هو نائب رئيس مجلس الوزراء المسئول عن هيئات الأمن، فسيكون علىَّ العمل بالتعاون معه.

قال حفيظ الله أمين فى خلال الحديث رأيًا شغلنى بعض الشىء. ففى رأيه، يعمل بجمهورية أفغانستان الديموقراطية عدد من الخبراء السوفييت الموجودين بأفغانستان من فترة طويلة. فقد كانوا هنا فى عهد الملك "ظاهر شاه"، وفى عهد "داود". وبالطبع هؤلاء الرفاق لا يفهمون سمة ثورة أبريل مما يؤدى إلى بعض الصعوبات. وقد يكون من الأحسن أن يتم استبدالهم. وقد أضاف حفيظ الله أمين عندئذ: "نحتاج لأشخاص جدد، مثلك على سبيل المثال".

لم أكن قد أدركت بعد فكرة حفيظ الله أمين، فقلت إن الاتحاد السوفييتى يرسل إلى أفغانستان وإلى الدول الصديقة الأخرى أحسن خبرائه، وأنه يوجد بينهم فى جمهورية أفغانستان الديموقراطية من يحمل لقب "بطل العمل الاشتراكى".

وعندما يرسل الاتحاد السوفييتي مثل هؤلاء الخبراء إلى أفغانستان، فإنه يضحي بشكل ما بمصالحه الداخلية. وأنا واثق من أن الخبراء السوفييت قاموا بعملهم ويقومون بواجباتهم بإخلاص فى الأماكن المنوطة بهم.

لم يحدث أى تطوير للحديث فى هذا الموضوع فى اللقاء الأول. وقد قال حفيظ الله أمين فى نهاية اللقاء إن أبواب مكتبه مفتوحة لى فى أى وقت. ولكن فى اللقاء الثالث اتضح فكر حفيظ الله أمين. فقد أعلن بشكل مباشر: "عندما تحدثت عن الخبراء السوفييت، كنت أقصد سفير الاتحاد السوفييتي أ.م.بوزانوف". ففى رأى حفيظ الله أمين أن أ.م.بوزانوف قد استهلك وأنه سوف يكون من الأفضل أن يوجد شخص جديد فى منصب سفير الاتحاد السوفييتى. ابتسمت وأفهمته بطريقة لطيفة أن هذا النوع من المواضيع لا يدخل ضمن صلاحيتى. وفى اللقاء التالى ذكر حفيظ الله أمين وكرر ذلك ولكن بخصوص كبير المستشارين العسكريين الجنرال "جوليلوف".

طبقًا لما هو مُتَّبع فى حالة قيام نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير العلاقات الخارجية مثل حفيظ الله أمين.بمثل هذا الإعلان لسفيرنا وبخصوص أيٍّ من خبرائنا السوفييت، كان يجب إرسال إخطار بذلك إلى موسكو فورًا. وأنا أعتقد أن جوريلوف نفسه كان سوف يقوم بذلك أيضًا بنفس الشكل. ولكنى لم أفعل ذلك. بل إننى حتى فى المناقشات الشفهية مع رئاسات الكى.جى.بى. لم أذكر أبدًا ماقاله حفيظ الله أمين عن ذلك. ولم ينته هذا الأمر على ذلك. بعد فترة زمنية قصيرة وعندما حضر إلىَّ أسد الله سارفارى لغذاء عمل، ذكَّرنى برغبة حفيظ الله أمين فيما يخص السفير أ.م.بوزانوف. كان من الواضح أن حفيظ الله أمين يتأكد هل أرسلت إشارة بذلك أم لا إلى موسكو. مرة أخرى أكدت موقفى وجعلته يفهم أننى لن أكون وسيطًا فى تقرير مثل هذه المواضيع.

ولكن حدث موقف مثير. كان السفير فى ذلك الوقت قد أبدى رأيًا جيدًا جدًا عن حفيظ الله أمين وكان ينتظر أن يُعامَل بالمثل. وكان كبير الخبراء العسكريين

على علاقة جيدة بأ.م.بوزانوف وكان شغوفًا بحفيظ الله أمين. كانا هما الاثنان بالطبع لا يتصوران مشاعر رئيس مجلس الوزراء الحقيقية نحوهما. لم أحدثهما عن أى شىء بخصوص ذلك. فقد كانت تحاك إحدى مكائد الشرق التقليدية.

كانت لقاءاتى بحفيظ الله بصفة دورية. كانت تصل معلومات من موسكو ذات صفة استخبارية وسياسية. كان علىَّ توصيلها إلى رئاسة جمهورية أفغانستان الديموقراطية. عادة كنت أحضر إلى أسد الله سارفارى، وكنت فى خلال حديثنا أطلب منه تنظيم لقاء مع حفيظ الله أمين فى اليوم التالى أو الذى بعده. كان أسد الله سارفارى يتصل فورًا بحفيظ الله أمين، وكان الأخير يقترح يومًا وموعدًا للّقاء. ولكن كنت أحيانًا بعد عودتى إلى السفارة أعلم أنه تم تحديد مقابلة للسفير معه فى نفس اليوم ولكن بعد ساعة واحدة بالضبط.

كنت دائمًا أسأل بعد وصولى عند حفيظ الله أمين عن الوقت المخصص لى للمناقشة. كان حفيظ الله أمين يجيب عادة بأن الوقت المخصص لى غير محدود بمدة. كنت أعرف فى أى ساعة يجب أن يحضر السفير، لذلك كنت أجتهد لكى أنصرف فى وقت مناسب. ولكن حفيظ الله أمين كان يلقى عبارة: "اجلس بعض الوقت"، مجبرًا السفير على الانتظار لمدة حوالى ١٥ دقيقة فى صالون الاستقبال. ثم كان يوصلنى إلى الباب ويفتحه. وهنا كنت ألتقى بالسفير أ.م.بوزانوف. وأعتذر له وأغادر مبنى وزارة الخارجية. كان ما يقصده حفيظ الله أمين واضحًا تمامًا جدًا لى. كان يريد إذلال أ.م.بوزانوف. هل فهم السفير ذلك أم لا؟ لا أعرف.

ولكن تمكَّن حفيظ الله أمين بعد عام تقريبًا من أن يحقق رحيل أ.م.بوزانوف من أفغانستان. وقد تم ذلك فى ظروف مختلفة بعض الشىء. وسوف أتحدث عنها فيما بعد.

يقولون "الشرق شىء حساس". وهو كذلك فعلاً. ولكن إذا تقابلتم كثيرًا مع شخص شرقى، حتى على نفس المستوى مثل حفيظ الله أمين، فإنك سوف ترى أن

بعض النماذج سوف تظهر فى كل تصرفاته الخبيثة. فإذا استطعت أن تلاحظها، فمن حيث المبدأ لن يكون من الصعب عليك أن تتعامل ببساطة مع الحركات التالية لشريكك.

فى أحد الأيام فى أواخر أغسطس طلب حفيظ الله أمين بناء على رغبة نور محمد تاراكى أن يتم وضع خطة لتنظيم هيئات أمن جمهورية أفغانستان الديموقراطية لكى تكون بنفس قوة كى.جى.بى. الاتحاد السوفييتى.

على مدى ثلاثة أيام عملنا لوضع المخطّط الرئيسي وترجمناه إلى اللغة الدارية. أعطيت الخطة لأسد الله سارفارى لدراستها عند رئاسة البلد. كما قدمت له البيانات التوضيحية.

كانت مقترحاتنا تتلخص فيما يلى:

أولاً: إنشاء إدارة للمخابرات ولو صغيرة، تكون جهودها موجهة لكل من باكستان وإيران. ويمكن فى المستقبل توسيع مجال نشاط المخابرات.

كنا نراعى أنه بعد إنشاء هذه الإدارة أن نستخدم إمكانياتها لصالح الاتحاد السوفييتى.

ثانيًا: أن يتم إنشاء إدارة قوية لمكافحة الجاسوسية على أساس إدارة الأمن القومى الموجودة حاليًا والقسم الرئيسى للأمن بوزارة داخلية جمهورية أفغانستان الديموقراطية. ويكون فى هذه الإدارة هياكل مناسبة لمكافحة كل من مخابرات باكستان وإيران والدول الأخرى التى تقوم بأعمال تخريبية ضد أفغانستان.

وبالإضافة إلى ذلك، فإنه سوف يتم التركيز فى مكافحة الجاسوسية على رجال الدين والقبائل. ولم يكن الهدف هو نشاط تأديبى ولكن كان كسب القيادة الدينية وزعماء القبائل إلى جانب النظام الجديد بهدف توسيع قاعدته الاجتماعية.

ثالثًا: نظرًا لأن كوادر الضباط القديمة قد بقيت فى الجيش، وأن فئة أعضاء حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى كانت قليلة، فيجب نقل مكافحة التجسس العسكرى من وزارة الدفاع إلى هيئة الأمن الحديثة التشكيل.

رابعًا: نقل الجزء الخاص بالقسم التنفيذى الفنى الأساسى بوزارة داخلية جمهورية أفغانستان الديموقراطية إلى هيئة الأمن.

خامسًا: إنشاء هيئة خاصة بالمراقبة الخارجية.

سادسًا: دراسة إنشاء قسم صغير للإعلام والتحليل بهدف تجهيز تقارير يومية ومواد أخرى لرئاسة البلد.

سابعًا: يُقترح إنشاء قسم تحقيق. وبالإضافة إلى ذلك فإن المخطط كان يضم إنشاء أقسام صغيرة فى عواصم المحافظات، وكذلك مواضيع تنظيم الاتصالات وقسم الشفرة، ومواضيع توريد المعدات الفنية والمواد، وإعداد الكوادر....إلخ.

نظرًا لصغر تعداد أعضاء حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى فقد اقترحنا أن يتم فيما بعد، بعد فترة وجيزة، إنشاء قسم سياسى فى جهاز الأمن بدلاً من إنشاء هيئة حزبية.

اعتمد نور محمد تاراكى فى ١٥ سبتمبر ١٩٧٨ مشروع هيكل هيئات أمن جمهورية أفغانستان الديموقراطية الذى اقترحناه.

بقى حرس الحدود فى الوقت الحالى ضمن هيكل الشرطة.

ظل الحرس الشعبى تابعًا لكل من نور محمد تاراكى وحفيظ الله أمين مباشرة.

كانت الصعوبة الرئيسية تتلخص فى اختيار وتدريب الكوادر. كان الأفغان أنفسهم هم الذين يقومون باختيار الكوادر. ولم نكن نتدخل فى ذلك. كان يتم التدريب المهنى للقادة فى الأوقات الأولى باستخدام إمكانيات الممثلية فى أماكن

عملهم مباشرة. وفي نفس الوقت كان يُراعَى تنظيم تدريجى لعمل دورات قصيرة الأجل يُستخدَم فيها مدربون من المركز. ثم بعد ذلك يتم تنظيم دراسات دائمة فى كابول للإعداد الخاص.

بعد فترة ظهرت مشكلة إنشاء مكتب للشفرة على مستوى الدولة. وقد تم وضع وتجهيز شفرات فى موسكو لهيئات الأمن ووزارة الخارجية ووزارة الداخلية، وجزئيًا لوزارة الدفاع. وقد تم منحها للجانب الأفغانى، كما تم تدريب الخبراء المناسبين.

وقد طلب حفيظ الله أمين فى إحدى المرات تنظيم شبكة لاسلكية صغيرة (لخمسة إلى سبعة أشخاص) ذات موجات قصيرة تُستخدم فى السيارات وكأجهزة محمولة. وقد قام اثنان من خبرائنا بإدارة الاتصالات الحكومية بعمل وتشغيل هذه الشبكة باستخدام محطات إذاعة "أفرورا" و"ستول" فى خلال ثلاثة أسابيع. وقد تم تركيب هوائيات آلية لهذا الغرض على قمم الجبال فى منطقة كابول.

وفى نهاية العام أعطينا أسد الله سارفارى ١١ سيارة ركاب، خمسًا منها من طراز "جاز ٢٤" لخدمة الرقابة الخارجية.

وفي بداية عام ١٩٧٩ توجه لنا حفيظ الله أمين بطلب لتوفير سيارة مصفحة لنور محمد تاراكى. لقد كان لسبب ما يعتقد أن أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى يتحركون فى سيارات مصفحة. ولكن صناعتنا لم تكن تنتج مثل هذه السيارات. وعندما عُرِض منحُهم إحدى سيارات أ.ف.ستالين عارض الأفغان وأعلنوا أن قيادة جمهورية أفغانستان الديموقراطية لا يناسبها ركوب سيارات قديمة. وقد طلبنا سيارة "مرسيدس-٣٥٠" بمواصفات خاصة سلمناها أنا والسفير أ.م. بوزانوف لنور محمد تاراكى.

تم بالتدريج استكمال تجهيز ممثليّتنا. فحضر بعض من مستشارينا ومعلمينا في مهمات قصيرة الأجل لمدة ٣-٤ شهور أو ٦. وبعد إنجاز مواضيع محددة عادوا إلى موسكو. كان ذلك ما فعلناه، ولكن ما الذى فعله الأفغان؟

كانت إدارة الأمن القومى فى المرحلة الأولى تتكون من مجموعة صغيرة من الضباط من أنصار "خلق". وكانت تعمل فى مبنى مكون من طابقين فى منطقة رئاسة الوزارة. ومنذ أول لقاء لاحظت أنا ومستشارونا الآخرون أنه توجد تحت مكاتب العاملين، بما فيهم الرئاسة، أجهزة هاتف ميدانية عسكرية. ثم اتضح فيما بعد أنها كانت كثيرًا ما تستخدم لتعذيب المقبوض عليهم بالتيار الكهربائى ذى التردد المنخفض.

كثيرًا عندما أحضر إلى أسد الله سارفارى فى الصباح كنت أراه هو ومساعد رئيس إدارة الأمن القومى يوسف فى حالة إرهاق، أشعثَى الرأس وعلى ملابسهما وأحذيتهما آثار قذارة. وأحيانًا كانت توجد على المكتب قوائم مكتوبة بلغة البوشتو عليها علامات "صح" و"صلبان".

وقد اتضح تدريجيًا أن حالة الرؤساء هذه كانت بسبب عمليات الإعدام رميًا بالرصاص التى تتم فى المساء فى المنطقة خارج كابول. كانت هذه "الإجراءات" تتم بأوامر شخصية من حفيظ الله أمين. عندما اعتاد علينا قادة إدارة الأمن القومى، لم يعودوا يحتفظون بكل ذلك سرًا معنا. كانت تصفية الناس تحمل اسمًا حركيًا "إرسال إلى باكستان". كان من الواضح لنا أن الإرهاب كان يأخذ أبعادًا متزايدة.

أثناء عرض أسس العمل الاستخبارى كنا بالطبع نقدم فكرًا يتلخص فى أن هيئات الأمن ليس عليها أن تحل أمورها بطريقة إلقاء القبض الجماعى والتعذيب والإعدام رميًا بالرصاص بدون محاكمة ولا تحقيقات. لم يكن الأفغان يستشيروننا أبدًا عند قيامهم بالقبض على شخصيات محددة إلا فى حالات فردية سوف أتحدث عنها فيما بعد. ولكننا أحسسنا أن عمليات القبض اجتاحت عمليًا ممثلى كل طبقات

المجتمع: التجار، والإقطاعيين، والطبقة المثقفة، والجيش، والزعماء الدينيين، وأنصار الأحزاب الأخرى والاتجاهات السياسية الأخرى. كان ذلك يخص أساسًا محافظة كابول. أما فى الأقاليم فكانت الأمور أكثر هدوءًا حيث إنه كان قد بدأ إنشاء هيئات أمن صغيرة. فى الحقيقة لم نكن نستطيع تلقّى معلومات من هناك حيث إن مجموعة خبرائنا كانت موجودة فقط فى العاصمة.

ولكن أزعجنى جدًا أنه سوف يتم تسريب معلومات عن وجود ممثلى كى.جى.بى. الاتحاد السوفييتى فى هيئات الأمن عن طرق العملاء المحليين وقنوات أخرى فى كابول وفى المحافظات الأخرى، وأنه سوف يتكون رأى فى أن الممثلين السوفييت يشرفون على عمليات الاضطهاد هذه. وكنت متأكدًا من أن هذا ما كان يريده حفيظ الله أمين.

لذلك أعطيت الكثير من الأوامر الصارمة لعاملينا بألا يشاركوا فى عمليات إلقاء القبض على الأفراد وألا يتواجدوا أثناءها وأثناء التحقيقات والإجراءات المحددة الأخرى التى تتم بمعرفة إدارة الأمن العام ثم جهاز أمن جمهورية أفغانستان الديموقراطية. وأيضًا عدم محاولة قيادة من تحت وصايتهم.

كنا عامة نقوم بأعمال التعليم والتدريب على أعمال المخابرات ونقدم أسس عمل هيئات الأمن، وطرق تجنيد العملاء وترتيبها وقيادة أعمالها، واستخدام قوى ووسائل أخرى، خاصة المراقبة الخارجية واستخدام التقنيات وصياغة الوثائق وأعمال الإعلام..إلخ.

كنا نختلف بذلك عن مستشارينا العسكريين الذين كانوا دائمًا موجودين مع رؤساء التكوينات القيادية والسياسية وتشكيلات أخرى فى الجيش، وكانوا يعملون مباشرة فى تخطيط النشاط الدراسى الحربى، وتجهيز الإرشادات والأوامر والتكليفات والوثائق الأخرى لرئاسة القوات المسلحة. بالرغم من أن ضباطنا كانوا يقومون بتعليم كوادر الضباط. أتذكر عندما أصبح حفيظ الله أمين وزيرًا للدفاع أنّ

كبير مستشارينا العسكريين كان يقوم بصفة دورية بتعليمه الإعداد للعمليات الاستراتيجية فى المساء لمدة طويلة.

ولكن كيف يمكن إيقاف موجة الإرهاب التى تسود فى كل البلد تدريجيًا؟ كان من الواضح أنه ليس فى إمكانى ولا فى قدرة المستشارين الآخرين أو حتى السفير إيقاف ذلك.

بسرعة حدثت واقعة أدت إلى اتخاذنا إجراءات إضافية من جانبنا. ففى يوم ما فى نهاية شهر سبتمبر عام ١٩٧٨ حضرت كالعادة فى الصباح إلى أسد الله سارفارى. كان يجلس أمام مكتبه ممسكًا رأسه بيديه. بالطبع، اهتممت بما كان يؤرقه. وقد أجابنى أسد الله سارفارى بأنه يجب أن يكون هناك قيادة سياسية لمؤامرة قدير وشهبور وعلى أكبر. أحسست بملعوب جديد لحفيظ الله أمين، ولكنى على الرغم من ذلك سألت: "هل توجد معلومات محددة؟". أجاب أسد الله سارفارى: "لا توجد معلومات محددة ولكن توجد بعض الدلالات على ذلك".

توقفت عن توجيه الأسئلة. وبعد حوالى ساعتين وأنا فى الطريق إلى السفارة أخذت أفكر فيما يمكن أن يعنى ذلك؟ فهمت أن الحديث يدور عن وزيرين هما "لايك" و"كيشتماند" المواليان "للبارشام"، واللذين مازالا يعملان فى الحكومة.

وصلت إلى السفارة وعرجت على أ.م.بوزانوف ورويت له ما قاله أسد الله سارفارى وعبرت عن اقتناعى التام بأنه سوف يتم القبض على كل من لايك وكيشتماند فى الأيام القريبة القادمة. مرة أخرى لم يصدق السفير هذا الافتراض تمامًا. ولكن بعد يومين أو ثلاثة، تم القبض على كلا الوزيرين وتم إلقاؤهما فى السجن الموجود فى مجمع القصر.

عرف السفير ذلك منى فجمع الرئاسات ومرة أخرى تم تحليل للوضع القائم غير دقيق تمامًا فى رأيى.

بعد الاجتماع بقيت مع السفير وجهًا لوجه وقلت إن هناك حاجة لحديث جاد مع نور محمد تاراكى وحفيظ الله أمين على مستوى أحد أعضاء المكتب السياسى للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى، وإلا لن يمكن إيقافهم أبدًا. بالطبع، فهم أ.م.بوزانوف مدى صعوبة الموقف الحالى وأرسل تلغرافًا به أدلة إلى موسكو.

بعد ثلاثة أو أربعة أيام قال لى السفير إنه طبقًا للمعلومات التى لديه فإن أحد قادتنا سوف يحضر إلى كابول. بدأنا نخمن من يمكن أن يكون القادم. لم يكن ى.ف. أندروبوف من بين من ذكرناه فى أحاديثنا حيث إن ذلك سيكون وجهًا معروفًا للغاية. كما افترضنا أن جروميكو لن يحضر حيث إنه ليس من طبعه خوض هذا النوع من المهمات. لسبب ما توقفنا عند ب.م.ماشيروف[1]. ولكن بقى لنا فقط أن ننتظر معلومات محددة من موسكو.

بعد عدة أيام، وفى أحد أيام الجمعة، دعانى السفير للذهاب لصيد السمك. كان أ.م.بوزانوف يذهب عادة فى أيام الإجازة الأسبوعية (الجمعة) فى الخامسة صباحًا مع السائق لصيد السمك فى منطقة "ناجلو" التى توجد بها محطة توليد كهرباء هيدروليكيًا قام خبراؤنا ببنائها. كان يوجد سد فى هذا المكان وتكوّن خزان ماء كبير. وعادة كان السفير لا يصطاد السمك فى الخزان ولكن عند أسفل السد. المسافة بين كابول وناجلو ٧٠ كيلومترًا. يمتد الطريق مسافة ٢٥ كيلومترًا فى منطقة مستوية جبلية ثم ينزل فجأة إلى أسفل فى الممر بين جبلين، كان الطريق الأسفلتى يتلوى مثل الثعبان على المنخفض الصخرى عابرًا العديد من الأنفاق والقناطر والكبارى الصغيرة.

يتم الانخفاض بمقدار حوالى كيلومتر ونصف على مدى ٣٠ كيلومترًا. وهذا هو الطريق الوحيد الذى يؤدى بعد ذلك إلى جلال أباد ثم إلى باكستان.

---

(١) سكرتير أول الحزب الشيوعى بروسيا البيضاء.

كنت أعرف منذ قيامى بمهمة عام ١٩٧١ أنه يوجد على شاطئ الخزان بالقرب من السد فيللا للملك ظاهر شاه تم بناؤها على الطراز الإيطالى. ولكنى لم أستطع فى ذلك الوقت الذهاب إلى هناك.

اقترحت على السفير أن نجرب صيد السمك فى منطقة الفيللا وذهبت مع المترجم إلى أسد الله سارفارى لكى نتفق معه على ذلك. قال إنه يعرف المكان وإن الفيللا عليها حراسة وإنها معروفة باسم "قصر الشعب". بعد ذلك اتصل سارفارى بمأمور المنطقة وتحدث معه عن شىء ما. وبعد ذلك قال لى إن كل شىء على ما يرام وإنه يمكن أن نذهب إلى هناك مطمئنين. بعد أن جلسنا فى السيارة أفادنى المترجم أن سارفارى أعطى التعليمات التالية: "غدًا صباحًا سيحضر إليكم شخص مهم جدًا. وسيحضر معه السفير السوفييتى. سيكون من واجبكم أن تستقبلوهما وأن تساعدوهما وأن توفروا لهما حماية".

فى الصباح التالى ذهبت أنا وب.ن.كابانوف وأ.م.بوزانوف مع سائق فى سيارتين إلى ناجلو. كان الطريق هادئًا وسافرنا بدون سلاح.

توقفنا عند مفترق الطرق، وسرنا فى الطريق الذى كان يؤدى إلى الفيللا الملكية. قال إ.م.بوزانوف إنه سوف يذهب على أية حال إلى الجزء السفلى من السد. ولكن إذا كان الصيد عندنا وفيرًا فعلينا أن نبلغه.

كانت كتيبة دفاع جوى للجيش الأفغانى تتمركز فى منطقة السد، وكانت مجهزة بمدافع مضادة للطائرات عيار ٣٧ و٨٥ مم سوفييتية الصنع وسَرية استكشاف.

لم يكن ينتظرنا أحد هناك. عبرنا تمركز هذه الوحدة بصعوبة ووصلنا إلى شاطئ الخزان، وهنا رأينا "دار الشعب". وكانت فيللا الملك كأنها ملتصقة بصخرة رأسية وكانت لا تبعد عن حد الماء. كانت تصل إليها مشاية حجرية ضيقة. وفوق الفيللا بقليل كان يوجد موقف صغير لوقوف السيارات. كان ينزل منها إلى أسفل

مشاية تتحول إلى درجات فى بعض الأماكن. كانت تنمو نباتات وزهور فى الأرض التى جلبت إلى هنا على جانبى الممشى والدرجات. كانت توجد شرفة واسعة معلقة مثل السقالة فوق الماء. وكانت تنزل من السقالة درجات منحوتة فى الصخر كان يمكن الهبوط بواسطتها إلى مغارة. كانت جدران المغارة مغطاة برسوم لعرائس البحر وكائنات بحرية أخرى. وكانت توجد مركب فى المغارة لنقل الركاب. كما كان يوجد هناك مكان للاستحمام. لم يكن يوجد أحد فى المنطقة إلا حارس واحد يقف عند الجزء العلوى من المنزل.

أوقفنا السيارة فى الموقف وخلعنا ملابسنا. ألقيت بإهمال بنطلونى وقميصى وفانلتى على المقعد الخلفى للسيارة، وخلعت ساعتى ووضعتها تحت الفانلة، ولكن كان جزء من الأسورة ظاهرًا. لم نقفل باب السيارة بالمفتاح ونزلت أنا وب.ن.كابانوف إلى الشرفة وألقينا بالصنانير. لم يكن الصيد جيدًا. وحوالى الساعة ١١ صعدنا إلى السيارة لكى نأكل شيئًا. ولكن بسرعة ظهرت سيارة المرسيدس الخاصة بالسفير الذى قرر الانضمام لنا. لم نتمكن من تناول الطعام إلا وظهرت سيارة جيب تسير بسرعة كبيرة وبها ثلاثة من العسكريين وعدد من الغلمان. قدم لنا النقيب – الذى خرج من السيارة – نفسه وأخبرنا بأنه قد حضر لمساعدتنا وضمان أمننا. بالطبع تم إفساد هدوء صيد السمك ومزاجنا. ولكننا بالرغم من ذلك نزلنا مرة أخرى إلى الماء وجهزنا معداتنا. ولكن بعد ٢٠ دقيقة اقترب النقيب وأخبرنا بأنه من المطلوب أن يحضر إلى التليفون الموجود فى المنزل أى من الرفاق السوفييت. تحدث ب.ن.كابانوف فى التليفون وقال لنا إن المكالمة كانت من كابول وإنه من المطلوب منا سرعة العودة إلى السفارة. وعندما بدأت أغير ملابسى فى السيارة لاحظت أن ساعتى قد اختفت. تعكّر مزاجى بدرجة أكبر، فقد كانت الساعة جيدة ماركة "زودياك" وكنت قد اشتريتها فى طهران.

عرفنا عند وصولنا إلى السفارة أنه قد جاءت برقية تفيد بوصول ب.ن.بونوماريوف المرشح لعضوية المكتب السياسى وسكرتير اللجنة المركزية

للحزب الشيوعى السوفييتى ورئيس القسم الدولى باللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى. وقد قيل إن زيارته مرتبطة بالاهتمام بالتطورات فى الوضع بجمهورية أفغانستان الديموقراطية وضرورة إجراء مباحثات جادة مع قيادات أفغانستان.

فى اليوم التالى، يوم السبت، ذهبت أنا والسفير إلى حفيظ الله أمين. وفى خلال النقاش أبلغه أ.م. بوزانوف بحضور ب.ن.بونوماريوف. انتبه حفيظ الله أمين فورًا. بدأ يسأل عن المواضيع التى تهم الرفيق بونوماريوف، ومن يريد لقاءه وما هو الهدف من الزيارة...إلخ. حكى السفير باختصار عن بونوماريوف مع التركيز على أنه يهتم بالمواضيع الخاصة بالحركة الشيوعية التحررية الوطنية الدولية وأن له خبرة كبيرة، وأنه غالبًا يرغب فى أن يشارك رئاسة الحزب الشعبى الديموقراطى الأفغانى أفكاره. وبالطبع هو يرغب فى لقاء الرفيق تاراكى. ويمكن التأكد من البرنامج النهائى للزيارة بعد وصول ب.ن.بونوماريوف إلى كابول. طلب السفير من حفيظ الله أمين أن يُعلم نور محمد تاراكى بذلك.

من الواضح تمامًا أن هذه الزيارة كانت غير متوقعة أبدًا من قادة الحزب الشعبى الديموقراطى الأفغانى. وقد تصورت أن كلاً من حفيظ الله أمين ونور محمد تاراكى قد وصلا إلى نتيجة تفيد بأن ب.ن.بونوماريوف سوف يثير موضوع الوضع داخل الحزب، بما فيها مطاردة واضطهاد "البارشام". لذلك لم يكن من قبيل الصدفة أن ظهرت فى اليوم التالى فورًا، يوم الأحد، مقالات كبيرة فى الصحف المحلية عن قيام بعض الأفراد من جماعة "البارشام" بأعمال موجَّهة ضد الحزب وأخرى تخريبية لكى يتم تفسير القبض على كل من "لايك" و"كشتماند". وقد تم فى المقالات ذكر أسمائهم بطريقة مباشرة.

قابلت أسد الله سارفارى قبل وصول ب.ن.بونوماريوف. قلت له عن الزيارة المرتقَبة للضيف الكبير القادم من موسكو وطلبت منه أن يتم بلا هرج تنظيم ولو

إجراءات بسيطة للأمن فى المطار. وفى أثناء الحديث مع أسد الله سارفارى اهتم بنتائج رحلة صيد السمك. شكرته على اهتمامه ولمَّحت إلى ضياع ساعتى.

ثم عرجت على رئيس الحرس الشعبى "يعقوب". وعلى غير انتظار قال:" لقد ضاعت ساعتك. لقد أمر أسد الله سارفارى بأنه إذا لم يتم العثور على الساعة قبل الصباح فسوف يتم إطلاق النار على كل كتيبة الدفاع الجوى التى تتكون من ١٢٠ فردًا.

لم يكن عندى شك فى أنه قد تمت سرقة الساعة ولكنى حاولت بحرارة إقناع يعقوب بأنه يبدو أننى قد فقدتها فى مكان ما. خرجت من عند يعقوب لكى أذهب مرة أخرى إلى أسد الله سارفارى وطلبت منه بإلحاح ألا يتخذ أية إجراءات قاسية. لقد توقفت عند تلك الحادثة لكى أبين كيف كانت أخلاق قيادات جمهورية أفغانستان الديموقراطية فى ذلك الوقت.

أتذكر أيضًا موضوعًا مماثلاً. ففى صيف ١٩٧٩ تم القضاء على تمرُّد فى فرقة مشاة. فحضر إلى هناك يعقوب رئيس هيئة أركان الحرب. وبأمر منه وقف أفراد الفرقة فى الحجرة صفًا واحدًا، وقام بنفسه بإطلاق الرصاص على حوالى ١٥٠ فردًا. كان ضابطه المساعد يناوله خزائن لمدفع رشاش من طراز كلاشينكوف جديدة محشوة بالرصاص.

وبذلك استقبلنا بونوماريوف فى يوم الاثنين. وصل على رحلة خاصة. وقد اتخذ قرارًا بوقوف الطائرة بعيدًا عن مبنى المطار فى الموقف الاحتياطى على بعد حوالى كيلومتر واحد من المحطة الجوية. استقبله من جانبنا كلٌ من السفير وأنا ورئيس القسم القنصلى بالسفارة، ومن الجانب الأفغانى كلٌ من أسد الله سارفارى وعضو المكتب السياسى للجنة المركزية للحزب الشعبى الديموقراطى الأفغانى "شاه والى".

كنت أعرف بوريس نيكولايفيتش بونوماريوف من زمن طويل نسبيًا. لقد قابلته منذ بداية الستينات فى "دلهى" التى سافر إليها لإجراء استشارات مع قادة الحزب الشيوعى الهندى. وفى النصف الثانى من الستينيات تمت دعوتى عدة مرات إلى القسم الدولى للّجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى بسبب مواضيع خاصة بإندونيسيا. وقد تطلّب حل عدد من المسائل على مستوى ب.ن.بونوماريوف.

فى كابول، أقام بونوماريوف فى شقة السفير. قرب المساء خرج إلى الفناء لكى يتجول. استدعانى، وتناقشنا لمدة حوالى ٣٠ دقيقة ونحن نتمشى فى طرقات مدينة السفارة. كان تقييمى للوضع يتلخص عامة فى أن القيادة الأفغانية تُظهر عجلة فى حل المشاكل الاجتماعية والسياسية، وتخطئ فى الحساب، ونتيجة لذلك بدلاً من أن توسع القاعدة الاجتماعية للثورة فإنها تؤدى إلى تضييقها. ونحن كمحترفين يقلقنا بشكل خاص الاضطهاد الجماعى الذى تقوم به رئاسة جمهورية أفغانستان الديموقراطية. وقد طال ذلك جميع طبقات المجتمع الأساسية وكذلك حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى نفسه. وتتم الكثير من عمليات الإعدام رميًا بالرصاص بدون محاكمة أو تحقيقات بأيدى هيئات الأمن التى تكونت والتى توجد بها ممثليتنا. بالطبع لا يستشيرنا ولا يخطرنا الأفغان بموضوعات الاضطهاد والتنكيل. ولكن يمكن أن يتكون رأى عند الكثيرين بأن كل ذلك يتم بناء على أوامرنا أو بناء على موافقتنا. وبالإضافة إلى ذلك فإنه يمكن أن تنتشر هذه الرواية المُصطنَعة بين الشعب وفى الخارج بواسطة المخابرات المختلفة والوسائل الأخرى للجهات المعادية للاتحاد السوفييتى.

أبديت رأيى فى ضرورة أن يتم الحديث عن ذلك بمنتهى الجدية مع نور محمد تاراكى وحفيظ الله أمين، وأن يتم إنذارهما بشكل ما بالعواقب التى يمكن أن تحدث للنظام الشاب، وأيضًا لسمعة الاتحاد السوفييتى.

في اليوم التالى، ذهب ب.ن.بونوماريوف مرتين للحديث مع رؤساء جمهورية أفغانستان الديموقراطية وحزب الشعب الديموقراطى الأفغانى. وقد ذهب معه مترجم فقط بدون مصاحبة السفير. وبعد ذلك عقد اجتماعًا صغيرًا مع قيادات السفارة وبعض الهيئات السوفييتية الأخرى. تحدث باختصار عن اللقاءات التى تمت وعن موقفنا الذى عرضه فى مناقشاته مع نور محمد تاراكى. وبذلك انتهت زيارة ب.ن.بونوماريوف الأولى إلى كابول.

استمرت عملية استكمال العاملين بممثليتنا لمدة عدة أشهر من عام ١٩٧٨. وصل سائق من إدارتنا. ثم حضر النائب الأول العقيد ف.أ.تشيتشوكين. تم استبدال مستشار شئون الحدود: سافر فيتالى ساخاروف إلى موسكو ووصل بدلاً منه صديقى القديم الذى أشرت إليه من قبل؛ العقيد ف.أ.كيريلوف. انشغلنا بموضوع السيارات، وصلَنا فى أكتوبر إخطار بأنه قد أُرسلت لنا ثلاث سيارات. كانت من طراز BAZ-2103، وهى سياراتنا من نوع "جيجولى" التى وصلت إلى ميناء "هيراتون". فى أحد أيام أكتوبر- نوفمبر ذهبت أنا وسائق الممثلية وسائق مقيم وى.كوتييوف ومستشار الشئون الإدارية (الحراسة) وب.ن.كابانوف لجلب السيارات. سرنا على الطريق الشهير الموصل من كابول عبر الفج البندشارى ثم عبر مضيق "سالانج" حتى "مِزار شريف". أمضينا الليل بمزار شريف فى المعهد الهندسى حيث كان يعمل خبراؤنا. ثم وصلنا إلى ميناء هيراتون فى اليوم التالى. لم يكن هناك كوبرى عبر "اموداريو" ولكن كانت توجد مَعدّية للعبور. لم يكن هناك أى نظام. ومن حسن الحظ أنه كان يوجد فى ذلك الوقت فى هيراتون رئيس قسم الإمداد والتموين بهيئة الأمن التى كانت تحت الإنشاء، والذى ساعدنا فى البحث عن سياراتنا وعمل الإجراءات اللازمة. عدنا إلى كابول بهذه السيارات على نفس الطريق. ولكن أثناء سيرنا فى الطريق فى مزار شريف قمت ببدء لعبة بناء على عادة قديمة: كان ب.ن.كابانوف ممسكًا بخريطة طبوغرافية بينما كنا نلاحظ أية أهداف موجودة على جانبى الطريق. أشرت مازحًا أنه عند خروجنا من هنا سيكون

من الضرورى إزالة الهدف الموجود على اليمين وتدمير الهدف الذى على الشمال، أما الجبل الذى يخفى الطريق من الفج البندشارى إلى سالانج فيبدو أنه يجب نسفه بقنبلة ذرية حيث إن سالانج سيكون مغلقًا بأعدائنا وأننا لن نتمكن من الخروج على هذا الطريق. وبذلك كانت تدور بيننا فى الممثلية مثل هذه الأحاديث عن خروجنا من أفغانستان. وحتى لو كانت على سبيل المزاح فهى كانت موجودة منذ أكتوبر- نوفمبر ١٩٧٨. وبعد ذلك وأنا فى موسكو فى مهمة قصيرة أقنعت الرئاسة بإرسال سيارة من مركز مخابراتنا فى إيران إلى كابول. أعددت بنفسى برقية لطلب منح رئيس مركز المخابرات إحدى السيارات "المرسيدس" التى كنت أستخدمها والتى كانت بالطبع "محروقة" بمعرفة المخابرات الإيرانية.

ولكن أفادنا رئيس مركز مخابراتنا فى إيران بأنه لا يستطيع إرسال هذه السيارة وأنه يستطيع أن يعطينا سيارة أخرى مرسيدس أيضًا، ولكنها أصغر، وكنت قد استخدمتها كثيرًا فى أثناء عملى فى خلال وجودى كعميل مقيم فى إيران. وقد تم القبض على اثنين من موظفينا العاملين بإيران، وكان أحدهما ب.ن.كابانوف، فى أثناء تنفيذ عملية اتصال لاسلكى مع أحد عملائنا المقيمين المهمين.

يمكن الآن الحديث عن ذلك. لقد تم القبض على هذا العميل واعترف بالعمل معنا. وتم إعدامه رميًا بالرصاص بأمر من الشاه. أتذكر الآن هذا الشخص حيث إننى قابلته لسبب خاص. لم يكن إيرانيًا، ولكنه عاش فترة طويلة فى هذا البلد وعمل معنا أكثر من ٢٠ عامًا. كانت المعلومات التى أوصلها لنا ثمينة؛ خاصة ما يتعلق منها بالسياسة الأمريكية وبالعمليات العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية فى إيران، وعامة فى هذه المنطقة. وقد تم تقليده وسام "العلم الأحمر" بناء على اقتراحى، كما أنى قمت بتسليمه له. تم تنفيذ عملية معقدة جدًا. لم يكن فقط مطلوب أن يتم تسليمه الوسام، ولكن كان من الضرورى تعليمه استخدام وسائل فنية جديدة للاتصالات اللاسلكية مع مركزنا للمخابرات. وكان ذلك بالطبع يحتاج لعدة ساعات. لذلك اقترحت بعد تفكير، وقد يبدو ذلك غريبًا لأول وهلة، أن يتم ذلك فى

السفارة، بل وفى مكتبى. ولكن بالطبع كان علىَّ أن أخطط لكل هذه الحيلة لكى يوصِّل هذا الشخص إلى هناك. وتم ذلك بنجاح. بالطبع كان التوتر كبيرًا جدًا حيث إنه كانت تقف حول السفارة حوالى ١٥ سيارة تابعة للرقابة الخارجية والتى كانت تنتظر خروجنا من السفارة لمراقبتنا لمعرفة إذا كنا سنقوم بعمل شىء ما فى المدينة.

وفى ذلك قمنا بعملية توصيل هذا العميل إلى السفارة. وقد نُفذت هذه العملية فعليًا فى أثناء الليل. تم تسليم الوسام. وقد جلس بهذا الوسام طوال المقابلة. أكلنا قليلاً. تحدثنا فى الأمور الحياتية وعن أعمالنا. ثم قام خبيرنا بالمعدات الفنية بتعليمه كيفية استخدام الأجهزة الحديثة. ثم تمكنًا فى حوالى الثالثة والنصف صباحًا من أن نوصله إلى المدينة سرًا وأن ننجح فى إنزاله من السيارة فى أحد الشوارع. وبالطبع لم يخلُ الأمر من بعض المشاكل. فعندما علقت الوسام على بذلته الرياضية التى كان يرتديها ثم قلت له بعد عدة ساعات بأنه يجب غالبًا نزع الوسام الآن وإرساله إلى موسكو حيث سيتم حفظه إلى أن يحين وقت مناسب أكثر، لاحظت علامات تدل على شىء من عدم الثقة على وجهه. عندئذ قلت له إنه يوجد على الوجه الآخر لهذا الوسام رقم، وأن هذا الرقم يخص فقط هذا الوسام الرسمى الذى تم تقليده له والذى يخصه. سألنى عما إذا كان يمكنه أن يسجل الرقم، وقد سمحنا له بذلك. وقد طلبنا منه أن يسجل أرقام الوسام؛ كلٌ فى صفحة مختلفة.

بعد ذلك بقليل، أحضر ضابط أمن مركز مخابراتنا بإيران السيارة المرسيدس. كان ذلك يعتبر إنجازًا، حيث إنه كان علىَّ حتى ذلك أن أستخدم سيارة "تويوتا" خصصها لنا الأفغان. كانت أولاً قديمة وبها خبطات، ثم أنه لم يكن من المستبعَد أنه قد تمت مصادرتها من أحد الذين تم القبض عليهم أو إعدامهم رميًا بالرصاص. وبالطبع لم أكن مستريحًا للتحرك بها فى شوارع كابول. حصلنا على حجرة فى السفارة، فأخيرًا اتفقنا على ذلك مع السفير. حصلنا أيضًا على بعض قطع الأثاث التى اشتريناها فى المدينة. فحصناها جيدًا للبحث عن أجهزة تنصُّت

بها. حضر خبيرنا فى السفارة. ثم بدأ وصول خبراء فى مختلف التخصصات فى مهمات قصيرة لكى يعلِّمُوا الأفغان الذين بدءُوا يلتحقون بالعمل فى أماكن عملهم.

بالطبع لم تسر عملية إنشاء الهيئات طبقًا للمخطط الذى وضعه نور محمد تاراكى فى ١٥ سبتمبر بسلاسة تامة. كان السبب يتلخص فى أن رئيس الشرطة "تارون" نفسه فى هيكل وزارة الداخلية كان معارضًا بالطبع لأن يتم فصل أهم أقسام الأمن والقسم الفنى الاستخباراى. وقد انتقل عدد كبير من الخبراء للعمل فى جهاز الأمن. وقد أدى ذلك إلى عدم رضاء تارون كما أن ذلك منع عنه بقدر ما إمكانية تنفيذ العمليات التى كان يحبها والتى أشرت إليها مسبقًا.. وبالإضافة إلى ذلك فقد قابلته مرة على غذاء. وقد ذكر فى خلال الحديث إنه لا يمكن فى ظل الظروف السائدة بأفغانستان أن تُركِّز كل هيئات الأمن فى أيدٍ واحدة، فهذا خطر جدًّا. أبديت تفهمى لهذا الموقف. قلت إنه غالبًا على حق بدرجة ما، ولكن بذلك يمكن أن يتم وضع هيئات الأمن تحت التحكم. وأنه يمكن أداء هذا التحكم فى ظل ظروف بلد جديد ونظام سلطة حكومية جديد فقط بواسطة الحزب ولجنته المركزية ومكتبه السياسى. وهذا يعنى أنه يجب العمل على أن تكون هيئات الأمن وخاصة رؤساء الهيئات تابعين للَّجنة المركزية والمكتب السياسى وتحت إشرافهم. ولكنه فى قرارة نفسه لم يكن موافقًا على ذلك. وبعد بعض الوقت أخطرنى تارون عن طريق مستشار شئون الحدود أن وزير الداخلية "فاتاندجار" يرغب فى مقابلتى. افترضت أنه يبدو أنه قد تحدث مع فاتاندجار وأن الأخير سوف يعرض علىَّ نفس الأفكار. كان لنا شخص واحد فى وزارة الداخلية هو خبيرنا فى شئون الحدود "ف.ساخاروف" فأخذته معى إلى هذا اللقاء. كان فاتاندجار قليل الكلام ومغلقًا على نفسه. ناقشنا باختصار الوضع داخل البلد. كان تارون حاضرًا، ولكن فاتاندجار لم يطرح أى مواضيع تتعلق بهيئات الأمن وهياكلها وإمكانية نقل مختلف الأقسام لهيئات أخرى.

ولذلك، على أية حال، تم حل هذا الموضوع بصعوبة. كان من الأصعب إيجاد حل لنقل إدارة مكافحة الجاسوسية الحربية لهيكل هيئة الأمن الجديدة. لقد ذكرت من قبل إنه فى عهد كل من الملك وداود كانت إدارة مكافحة الجاسوسية الحربية ضمن هيكل وزارة الدفاع ولكنها كانت تابعة لرؤساء البلد مباشرة. كما أن رئاسة جمهورية أفغانستان الديموقراطية قد حافظت لبعض الوقت على وجود إدارة مكافحة الجاسوسية الحربية خارج هيكل الهيئة العامة للأمن. وقد نجحنا فقط اعتبارًا من بداية عام ١٩٧٩ فى الوصول إلى أن تكون هذه البنية ضمن الهيكل الذى قدمناه نحن.

كانت زيارة نور محمد تاراكى لموسكو فى شهر ديسمبر من الأحداث المهمة فى عام ١٩٧٨. كانت تمثل أول زيارة رسمية له وأول لقاء مع قادة الاتحاد السوفييتى. تم توقيع معاهدة صداقة وتعاون مساعدة متبادلة. توجد هنا لحظة هامة حيث إنى كنت عند حفيظ الله أمين قبل بداية الزيارة. وقد ذكر حفيظ الله أمين فى خلال المناقشة إنه أيضًا سيطير "مختفيًا" مع نور محمد تاراكى لمدة يومين أو ثلاثة إلى موسكو فى زيارة غير رسمية. عبَّرت عن شكى الجاد فى جدوى هذه الخطوة فى ظل وضع معقد للغاية- ففى هذه الحالة يغادر البلد اثنان من القادة الأساسيين. ولكن على الرغم من ذلك أصر حفيظ الله أمين على ضرورة سفره ومقابلة ى.ف.أندروبوف والتحدث معه. وأوضح فى النهاية أننا نترك البلد على عاتق ثلاثة أشخاص، يقصد سارفارى وفاتاندجار ومزدوريار. ثم أضاف: "أيها الرفيق بجدانوف، نحن نطلب منك المعاونة فى حل المواضيع الخاصة بالبلد وقيادته أثناء فترة تغيبنا. كنت بالطبع لا أستطيع أن أشارك فى قيادة البلد. ولكن إذا ظهرت مواضيع من اختصاصنا فيمكن أن يعولوا على معاونة الممثلية.

حضرت طائرة "أليوشن-٢" سوفييتية إلى كابول لتقل نور محمد تاراكى فى يوم سفره. بما أن الزيارة كانت رسمية فقد تمت دعوة كل السلك الدبلوماسى وكبار الموظفين للحضور إلى المطار لتوديعه، كما تم تجهيز حرس الشرف والفرقة

الموسيقية..إلخ. استعرض نور محمد تاراكى حرس الشرف بخطوات بطيئة، ثم صافح وودع أعضاء السلك الدبلوماسى. كانت الطائرة واقفة على بعد حوالى ٧٠ مترًا على يمين مبنى المطار ولم يلاحظ الكثيرون كيف ركض حفيظ الله أمين عبر السلم إلى أعلى ممسكًا بمعطف أسود واختفى فى الطائرة بينما كان نور محمد تاراكى يودع الموجودين.

وبذلك غابا عن البلد ثلاثة أيام، وكان علىَّ أن أذهب كل يوم إلى القادة الذين بقوا. كانت تعاملاتى غالبًا مع أسد الله سارفارى، وكنا نتابع معًا الوضع الذى استتب فى ذلك الوقت فى الريف وفى كابول. لم أحصل على أى توجيه من موسكو بخصوص نتائج الزيارة. ولكن ذات مرة فى أحد لقاءاتى مع أسد الله سارفارى، قال لى إن حفيظ الله أمين، الموجود فى موسكو، التقى بى.ف.أندروبوف. ناقشا بعض المواضيع. وبصفة خاصة نصح ى.ف.أندروبوف بإخراج قوات حرس الحدود أيضًا من هيكل وزارة الداخلية ونقلها إلى هيئات أمن البلد. وقد علق أسد الله سارفارى على ذلك "بأنه بالطبع ى.ف.أندروبوف على حق، ولكن ما زالت الأقسام الأساسية لهيئات الأمن فى مرحلة التنظيم والإنشاء. وأنه لم يتم بعد تقرير الكثير من المواضيع. وأنه إذا أخذنا أيضًا قوات حرس الحدود الآن، فسوف تظهر مشاكل إضافية معقدة جدًا مثل تدريب الضباط وصف الضباط، ومشاكل التموين والنقل والتسليح والتغذية...إلخ. وببساطة يغرق الأفغان فى هذه المشاكل، ولن يوجهوا انتباههم لحل تلك المشاكل الحادة التى أمام هيئات الأمن الآن. لذلك كنت لن أفعل ذلك الآن، ولكنى كنت سأفكر فى نقل قوات حرس الحدود لوزارة الدفاع وليس لهيئات الأمن. ذلك لأن كل المشاكل التى سردتها الآن يتم حلها هناك. فتوجد مدرسة خاصة لدى العسكريين، وكذلك أكاديمية باخانتون، وقاعدة تموين، وموارد، وسلاح...إلخ. ومن الأسهل تشكيل قوات حرس الحدود فى إطار هذا الهيكل وتقوية تنظيمها وتنظيم تدريبها وتموينها. وبعد ذلك يمكن التفكير فى نقلها مباشرة إلى هيئات الأمن". وفعلاً حدث ذلك فيما بعد: فقد تم نقل قوات حرس الحدود إلى

وزارة الدفاع، فقد تم إنشاء إدارة بها وتم تعيين قائد لقوات حرس الحدود، وقبل مغادرتى لكابول فى عام ١٩٨٠ كانت قوات حرس الحدود قد أصبحت فى إطار وزارة دفاع جمهورية أفغانستان الديموقراطية.

فى تلك الفترة كانت سمة عملى تتلخص فى أن مستشارينا كانوا موزعين فى مختلف الإدارات والهيئات، لذلك كان علىَّ فعليًا عقد مقابلات يومية وليست دورية مع أسد الله سارفارى فى الأساس. فى ذلك الوقت كانت وما زالت قوات حرس الحدود ضمن وزارة الداخلية، وكان مستشارنا مُعتمدًا لدى رئيس الشرطة تارون الذى كان يقود قوات حرس الحدود. بالطبع كان علىَّ مقابلة كل من تارون ووزير الداخلية فاتاندجار لمناقشة المواضيع المتعلقة بحرس الحدود. كان حرس قادة البلد، وفى الأساس حرس نور محمد تاراكى يعيشون حياتهم. وكان يوجد هناك أيضًا مستشارنا الرائد "ى.كوتيبوف" من الإدارة التاسعة لكى.جى.بى. الاتحاد السوفييتى. لذلك كان علىَّ أن أتعامل وأن أقرر كافة المواضيع مع قائد الحرس، الرائد يعقوب فى ذلك الوقت، والذى أصبح فيما بعد رئيس أركان الحرب.

كان خبراؤنا فى حراسة الحدود يعملون لضبط العمل فى مناطق الحدود. فى ديسمبر ١٩٧٨ ذهب خبيرنا فى حراسة الحدود "ف.أ.كيريلوف" مع مجموعة صغيرة مكونة من ٤-٥ أفغان لاستكشاف الحدود الدولية بين أفغانستان وباكستان فى المنطقة الجنوب غربية. ولم يكن هناك أى اتصال بهم. بالطبع، كنت فى حالة قلق معينة لمدة أسبوعين لأنى لم أكن أعرف شيئًا عن مصير كيريلوف. عاد قبل ليلة رأس السنة الجديدة ١٩٧٩، فى نهاية ديسمبر. كنا نعيش معًا فى نفس المنزل. كما كانت زوجتانا موجودتين أيضًا فى كابول. وقد استقبلنا العام الجديد معًا.

حكى لى كيريلوف ما يلى عن رحلته. بالطبع الحدود فى المنطقة غير محددة بأعمدة أو علامات. حُدِّد مكانهم عدة مرات اعتمادًا على خريطة. وقد اكتشف ف.أ.كيريلوف أن مجموعته قد دخلت فى أرض باكستان بعمق ٥٠-٨٠ كيلومترًا. وقد اضطروا للعودة إلى أفغانستان عبر التلال والكثبان. وقد التقوا كثيرًا

بمهربين يقومون بتهريب المخدرات فى هذه المنطقة وكذلك بعض أنواع المنتجات الغذائية. وقد عثروا فى الرمال على مخازن للسكر والملح والمخدرات. ولم تكن العصابات مشكلة فقط من السكان المحليين، ولكنها كانت تضم أيضًا أفرادًا "شاحبى الوجه". وفي بعض الأحيان كاد يصل الأمر إلى تبادل إطلاق النيران ولكن فى النهاية تم تجنُب ذلك.

بعد عودة ف.أ.كيريلوف إلى كابول فكر حرس الحدود فى إمكانية إغلاق الحدود تماما مع كل من باكستان وإيران من حيث المبدأ. تم استعراض بدائل مختلفة. كان يتم إعداد بنية قوات حرس الحدود. ولكنى بصراحة لم أكن واثقًا تمامًا فى إمكانية تنظيم حراسة للحدود يُعوَّل عليها. كان السبب هو أن عددًا كبيرًا من الرحالة البدو كان يعبرها، وكان عددهم يصل إلى مليونين. كانوا يحضرون فى الصيف من ناحية باكستان وجزئيًا من إيران إلى أرض أفغانستان. وكانوا يسيرون مع الماشية وكل أمتعتهم حتى المناطق الشمالية، كما أنهم كانوا يظهرون حتى بالقرب من الحدود السوفييتية الأفغانية. أما فى الخريف، عندما كان البرد يبدأ، كانوا ينزلون من المناطق العالية ويتوجهون إلى الجنوب وإلى الشرق إلى الأطراف الدافئة تاركين اللحم والصوف فى أراضى أفغانستان، وكانوا يعبرون الحدود مرة أخرى. وكانت توجد بينهم قبائل تحمل السلاح، وكان لا يمكن التحكم فيهم عمليًا. كانت هذه تقاليد منذ عدة قرون. وبالإضافة إلى ذلك، وكما قلت لكيريلوف فإن أفغانستان مرتبطة تمامًا اقتصاديًا بباكستان بالرغم من أنه كانت توجد أيضًا تجارة نشطة مع إيران. ولكن غالبية البضائع من مواد غذائية ومنتجات صناعية كانت تُجلَب إلى أفغانستان من باكستان. لذلك أضفت بأنه عند الرغبة فى إغلاق الحدود مع باكستان يجب إخطارى قبل ذلك على الأقل بأسبوع وسوف أسافر إلى موسكو قبل ذلك بيومين بطائرة لأنه إذا تم إغلاق الحدود مع باكستان تمامًا فسوف ينهار اقتصاد أفغانستان فورًا. وفى نفس الوقت كان العمل يتم على تقوية حراسة الحدود. وسوف أتحدث عن ذلك فيما بعد.

سلمنا بعض الأجهزة الفنية لهيئات الأمن. يمكن أن أقول إنه تم منح ١١ سيارة لخدمة المراقبة الخارجية، وكانت ٦ منها من طراز "جاز-٢٤"، أما السيارات الباقية فكانت من ماركة "جيجولى". وقد طلب منى الأفغان ذات مرة أن أوفر لهم ١٠ مسدسات كاتمة للصوت. منحناهم هذه المسدسات ولكنها كانت صناعة أجنبية. وكانت وزارة داخلية الاتحاد السوفييتى تتمتع بإمكانيات أكبر. وقد سلم وزير الداخلية ن.أ.شيلوكوف بإذن من حكومة الاتحاد السوفييتى لوزارة داخلية جمهورية أفغانستان الديموقراطية ٢٠٠ سيارة ماركة "نيفا" وعدد من السيارات الخاصة تضم سيارات إطفاء وغيرها.

كانت هناك أيضًا طلبات أكثر حساسية. حدث ذلك بصفة خاصة عندما تأزم الموقف إلى أقصى حد فى عام ١٩٧٩. فقد طلب حفيظ الله أمين عن طريق أسد الله سارفارى أن نُقدِّم لهم أنواع مختلفة من أجهزة التفجير والتى كان يمكن استخدامها لأعمال التخريب المختلفة، بل يمكن أن أقول لأغراض الإرهاب. وقد رفضنا ذلك بشكل قاطع وأعلنا لهم بأنه لا توجد عندنا هذه النوعية من المعدات جاهزة. ولكن نظرًا لإصرارهم على الطلب قلنا لهم إنه يمكننا تعليم شخصين أسس صناعة هذه المعدات. وافقوا على ذلك. وصل إلى كابول اثنان من خبراء التفجير، وقد كانا أخصائيين من ذوى الخبرة الكبيرة من قواتنا الخاصة. أقاما فى فيللا صغيرة، وفى خلال عدة أيام قاما بتعليم شخصين فقط هما رئيس هيئة الأمن وأحد نوابه. ولم يتم إلحاق أى أحد آخر بهذا العمل. تم شراء عدة ساعات لصناعة أجهزة تفجير. تم جلب عدد بسيط من المتفجرات من الوطن. وبعد تعليم هذين الاثنين، تم تدمير كل شىء بما فيها المفجرات التى تبقت. يجب أن أقول إنه منذ عام ١٩٧٩ كان الأفغان يخبئون بعض الأشياء عنا. ولكن أسد الله سارفارى كررسؤاله عن موقفنا إذا قاموا بتنفيذ أعمال تفجير نشطة فى باكستان بما فيها تنظيم تفجير قطارات وأسواق...إلخ. كنت معارضًا تمامًا لذلك وقلت إنه بالطبع ليس من الممكن حل مشاكل باكستان بهذه الطريقة.

لقد ذكرت من قبل إنه كانت ترد معلومات ذات سمة سياسية واستخباراتية من موسكو دوريًا وأننى كنت أبلّغها لحفيظ الله أمين شفاهةً. كانت العلاقة بيننا طبيعية تمامًا. كان هناك انطباع بأنه كان يتعامل معى باحترام. ولكنى كنت مدركًا أن ذلك لا يعنى أن حفيظ الله أمين يتعامل معنا بصراحة تامة وأنه يستطيع أن يتخابث بشكل ما لتحقيق أغراضه. ويجب أن أقول إننى سرعان ما اصطدمت بموقف غير عادى. وصلت فى يوم ما إشارة من موسكو موقَّعة من ى.ف.أندروبوف تطلب مقابلة حفيظ الله أمين وإبلاغه بأنه طبقًا لمعلوماتنا يوجد فى الوقت الحالى فى سجون أفغانستان أحد الأشخاص. ذكر اسمه ولقبه. وجاء فى الإشارة بعد ذلك أن هذا الشخص قد قدَّم لنا مساعدة هامة منذ عهد الملك داود فى مجال المعلومات، وبصفة خاصة بما يتعلق بنشاط وأفعال الأمريكان فى أفغانستان. كما جاء بعد ذلك فى إشارة موسكو أنه نظرًا لعمله بإخلاص وللخدمات التى قدمها لنا فإننا نطالب بإطلاق سراحه من السجن ومنحه إمكانية ممارسة حياته الطبيعية.

ذهبت إلى حفيظ الله أمين ومعى هذه الإشارة. تعامل بحرص واضح وقال إنه يعلم عن هذا الشخص، وأنه فعلاً فى الوقت الحالى فى السجن، وأنه قد تم القبض عليه بحجة أنه كان مشاركًا فى جماعة عسكرية إرهابية كانت على وشك القيام بخلع نور محمد تاراكى وحفيظ الله أمين نفسه من السلطة. كانت هنا سمة هذا الموقف غير العادى، لذلك سيكون من الصعب عليه أن يحل هذه المشكلة إيجابيًا. (أخرج من الحديث مع حفيظ الله أمين، فيجب علىَّ أن أقول إننى كنت أعرف هذا الشخص. لقد كان أحد مصادر معلومات لممثلية عمل استخباراتنا بأفغانستان، وكنت أعرف بأمره منذ عام ١٩٧١. وعندما حضرت فى أبريل عام ١٩٧١ إلى كابول لكى أساعد مجموعة الاستخبارات المقيمة، أرانى مرة نائب رئيس مجموعة الاستخبارات المقيمة المسئول عن مكافحة التجسس بشكل ما هذا الشخص فى إحدى الهيئات العامة. ثم بعد عودتى إلى موسكو حصلنا على ملفه من إدارة مكافحة التجسس بالخارج إلى قسم المخابرات السياسية). وبالرغم من ذلك قلت

لحفيظ الله أمين إننى لا أعرف شيئًا عن هذا الشخص المقبوض عليه وإننى لا أعرف بأمره. وإننى أنفذ فقط ما كُلفت به وإننى أوصل طلب موسكو فقط. قال حفيظ الله أمين إن هذا الشخص المقبوض عليه ينتمى فعلاً لمجموعة إرهابية. ثم أضاف: "وإذا قلت لى الآن إنه يجب تحريره فسوف نطلق سراحه. بل أكثر من ذلك إذا قلت أن نعينه وزيرًا، فسوف نعينه، ولكن فقط تحت مسئوليتك الشخصية، أيها الرفيق بجدانوف". كررت مرة أخرى أننى لا أعرف هذا الشخص ولكننى فقط أنقل طلب موسكو. كرر مرة أخرى إنه يمكن أن ينظروا فى هذا الأمر فقط تحت مسئوليتى الشخصية. وانتهى الحديث على ذلك. بالطبع أرسلت نتائج الحديث إلى موسكو. مضى بعض الوقت، ثم تمكنت مجموعة الاستخبارات المقيمة من الحصول على معلومات تفيد بتعذيبه وضربه فى السجن. وأعتقد أن مجموعة الاستخبارات المقيمة كانت محافظة على الاتصال بزوجته.. لذلك بعد فترة ما وصل تكليف مماثل. ذهبت مرة أخرى إلى حفيظ الله أمين. دار حديث مماثل تقريبًا لما تم فى المرة الأولى. كرر مرة أخرى إن هذا الشخص ينتمى لمجموعة عسكرية إرهابية...إلخ. ولكنهم على استعداد لإطلاق سراحه على مسئوليتى الشخصية. بالطبع لم أستطع أن أقبل هذه الشروط، فلم يتم حل المشكلة. ثم وصلنى أمر من موسكو بعدم الحديث فى ذلك الطلب مرة أخرى حاليًا طالما رد فعله على هذا الأمر بهذا الشكل.

فى اليوم التالى للحديث الثانى كنت ذاهبًا كالعادة إلى مقابلة أسد الله سارفارى وأخطرته مسبقًا عن طريق المترجم بأننا سنكون عند الساعة العاشرة فى مصلحة الأمن. كان لأسد الله سارفارى مكتب أمامه صالون استقبال. كان يوجد دائمًا به البواب، وهو شخص هادئ متواضع وكان فقط أحيانًا يقدم الشاى للزوار ويفتح ويغلق الباب. فى هذه المرة عندما دخلت أنا والمترجم إلى هذا الصالون رأينا شخصًا ثانيًا شابًا ممسكًا بجهاز فى يديه. اقترب منى هذا الشاب وأخذ يتكلم باللغة الدارية. قام المترجم فورًا بترجمة أنه يجب أن يفتشنى بواسطة هذا الجهاز

للتأكد من عدم حملى لسلاح. نظرت إليه باندهاش وسألت عما يعنى كل ذلك، ثم استدرت للبواب الذى أعرفه وسألته أين أسد الله سارفارى. عندما رأى الأخير الموقف وسمع نبرة صوتى اندفع إلى باب المكتب وفتحه وأدخل فيه رأسه ثم دعانى لدخول المكتب. عند دخولى إلى سارفارى كان يجلس إلى مكتبه. سألته عما يعنيه كل ذلك، عما يحدث فى صالونه ومن هذا الشخص الذى اقترب منى لكى يفتش عن وجود سلاح معى. بدأ يجيب بصوت غير واضح. قلت له فورًا إننى أعتبر ذلك استفزازًا يجب علىَّ أن أحتج عليه. ثم قلت له بعد ذلك إنه لو تكررت هذه المحاولة لتفتيشى ولو مرة واحدة معى أو مع أى من العاملين الآخرين فى الممثلية، فسوف أعطى أمرًا للعاملين بها بأن يتوقفوا عن الحضور إلى من تحت وصايتهم من العاملين بمصلحة الأمن، كما أننى سأخطر موسكو بما حدث. ارتبك أسد الله سارفارى بوضوح. ولكنى حوّلت الحديث إلى موضوع آخر. ناقشت أنا وهو بعض المواضيع. ولكنى عدت مرة أخرى بعد انتهاء الحديث عن الأعمال إلى ما حدث فى صالون استقباله، وأكدت مرة أخرى أننى أعتبر ذلك استفزازًا وأنه فى حالة تكراره سوف أتخذ إجراءات مناسبة. ضغط على زر ونادى على هذا الشاب، ولكن حديثهما كان باللغة البوشتية التى لم يكن مترجمنا يفهمها. وقد التقط المترجم فقط كلمات "اخرج من هنا" التى كانت موجهة للشاب. وقد خرج الأخير. وانتهى بذلك هذا الحدث.

ولكن فى أثناء الغذاء عندما حضر موظفو الممثلية، سألت مستشارنا للشئون الفنية الاستخبارانية عن هذا الشاب. قال إنه أحد العاملين فى إدارة المعدات الفنية. وبعد ذلك روى إنه فى حوالى العاشرة صباحًا دق الهاتف، وقد تم استدعاء هذا الموظف إلى الهاتف، وأنه بعد ذلك أخذ الجهاز وذهب إلى مكان ما. اتضح لنا كل شىء: بعد مكالمتى بخصوص حضورى فى العاشرة، استدعى أسد الله سارفارى هذا المتخصص إلى صالون استقباله. وهكذا قاموا بهذه العملية وكانت موجهة ضد موقفنا من مصدرنا السابق لمجموعة الاستخبارات المقيمة الذى تم القبض عليه.

كان من الواضح أن ذلك تم بناء على أمر شخصى من حفيظ الله أمين. كانوا يريدون بذلك أن يبينوا أننا نحمى إرهابيين، وأنهم يجب أن يتأكدوا من أننا لا نمثل نحن خطرًا ما. وكان هذا حدثًا مميزًا بشكل عام لأسلوب تعامل حفيظ الله أمين.

كما كانت هناك مواقف حساسة فى أثناء لقاءات أخرى. كان لحفيظ الله أمين مفكرة سوداء اللون. وكان إذا تناول هذه المفكرة من مكتبه عند حضورى إليه، كنت أدرك مسبقًا أنه سوف يكون هناك حديث حاد عن حدث له علاقة ببعض السوفييت.. كان يفتح المفكرة ويقول: "يعمل فى سفارتكم هذا الموظف. يجب أن أقول لكم إنه يقوم بنشاط تخريبى موجَّه ضد بلدنا". فى مرة ذُكر اسم أحد موظفى مجموعة الاستخبارات المقيمة ممن عملوا بالقسم القنصلى. قلت له إننى سمعت فعلاً أن هذا الشخص يعمل، ولكنى لست الآن على علاقة وثيقة بالعاملين فى السفارة، لذلك فأنا لا أتعامل مع هذا الموظف. ولكنى أستطيع أن أعلن رسميًا أن لا أحد من السوفييت العاملين فى السفارة وفى الهيئات الأخرى على أرض جمهورية أفغانستان الديموقراطية يمكن أن يقوم بأعمال تخريبية ضد أفغانستان. هناك خطأ ما، أو سوء فهم. قال مرة أخرى إنه طبقًا لمعلوماتهم، هذا الشخص يتقابل مع أشخاص يعملون ضد النظام الحالى. كنت مدركًا أن حفيظ الله أمين يقصد "البارشام".

بعد أحد هذه الأحاديث، عندما ذكر حفيظ الله أمين لقب موظفنا، ذهبت إلى السفارة واستدعيت هذا الموظف إلى مكتبى وسألته عما إذا كانت قد تمت أية لقاءات بينه وبين أحد العملاء وأفراد الاتصال الموثوق بهم فى الأيام الأخيرة أو ما شابه ذلك. أجاب بأنه لم يحدث شىء من هذا. قلت له: "حاول مرة أخرى أن تتذكر مع من يمكن أن تكون قد تحدثت عن الوضع أو عن "البارشام". وتذكَّر: "نعم يا ليونيد بافلوفيتش، حضرت سيدة، مواطنة سوفييتية متزوجة من أفغانى. كان يشغل منصبًا رفيعًا ولكنه لا يعمل فى هيئة حكومية. وقد دار حديث بيننا". قلت للموظف إن حفيظ الله أمين قد لمَّح برغبة أن يترك البلد حيث إنه يمارس نشاطًا تخريبيًا.

وبذلك كان لهم عملاؤهم الذين بالطبع لم يفصحوا عنهم لنا، والذين كانوا يراقبون بدقة اتصالات رجالنا بالأفغان الآخرين، خاصة بممثلي جماعة "بارشام". وفي مرة أخرى أخرج أمين هذه المفكرة السوداء وقال: "عندكم في المركز الثقافي، يعمل شخص ما مديرًا للمركز الثقافي، وهو يمارس نشاطًا تخريبيًا ضد أفغانستان". وهذا الشخص لم يكن له أية علاقة بممثلية عمل الاستخبارات.

أعلنت مرة أخرى أن ذلك لا يمكن أن يحدث، وأنه لا يمكن أن يقوم سوفييتي بنشاط تخريبي ضد أفغانستان، وأشرت إلى أن مئات بل آلاف الأفراد يحضرون إلى مدير المركز الثقافي. يمكن ألا يكون عارفًا ما هي أفكار أي من هؤلاء الأشخاص الذين يحضرون للدراسة أو إلى معرض أو عرض سينمائي. لذلك أنا واثق أن هناك خطأ. عرفنا فيما بعد أن حفيظ الله أمين قد كوَّن مجموعة خاصة من حوالي ٢٠ من الضباط الذين كانوا يذهبون بعد انتهاء يوم العمل في الهيئات الحكومية إلى الأماكن التي تُحدَّد لهم، والتي عمل فيها مستشارونا جنبًا إلى جنب مع الأفغان في مجالات مختلفة. هؤلاء الضباط كانوا يجمعون معلومات عن تصرفات وأحاديث رجالنا عن طريق من يثقون بهم وعملائهم. وكانت هذه المعلومات تصاغ في شهادات خاصة وتقدَّم لحفيظ الله أمين شخصيًا. كان يقوم بهذا العمل بعض التابعين لحفيظ الله أمين بناءً على أوامر شخصية منه.

كانت هناك محاولات حاول فيها حفيظ الله أمين جرَّنا إلى أعمال استخباراتية مثيرة للريبة. كان يعيش في كابول زعيم ديني كبير هو "مجددي"، وهو شقيق أحد الزعماء الدينيين بالمملكة العربية السعودية. كان مجددي يمتلك أرضًا واسعة بها مسجد ومدرسة تضم ١٥٠-٢٠٠ فرد. كان يحضر إليه الكثير من الحجاج. وفي ذات مرة عند حضوري إلى هيئة الأمن، قال لي أسد الله سارفاري: "نحن نراقب هذه الأرض التي خلف منزل مجددي، وقد ظهرت عندنا الكثير من الشكوك. خاصة أنه تحضر إليه كل يوم حتى ٦٠ سيارة، وبعض الناس من جميع أنحاء البلد. ونحن لا نعرف عما يتحدثون، ولكن من الواضح أن هذه

معارضة للنظام القائم. ونحن نعتبر أنه يجب أن نقبض على هذا المجددى. قلت له: أنت تعرف الوضع أحسن منى. وتعرف أحسن منى ما هو الإسلام عامة وما هو الدين فى أفغانستان. ولكن إذا كنت تسألنى عن ذلك، فيجب أن أقول إنه من المحظور الإقدام على ذلك. على العكس، هدف السلطة الجديدة والتيار الجديد يتلخص فى جذب أكبر عدد ممكن من الشخصيات الدينية إلى جانبهما وليس القبض عليهم.

مر بعض الوقت، وفى إحدى المقابلات عاد أسد الله سارفارى إلى هذا الموضوع مرة أخرى قائلاً إن بعض العناصر المشبوهة تجتمع عند مجددى، وأن نشاطهم موجه ضد الجمهورية...إلخ. وبالإضافة إلى ذلك قال إنه قد تحدث فى هذا الموضوع مع حفيظ الله أمين وأن الأخير قد أمر بأن يستشيروا مرة أخرى بجدانوف وأن يفعلوا ما سوف يقوله. قلت رأيى السلبى مرة أخرى وأشرت إلى أن ذلك سوف يؤدى فقط إلى تأزُّم الموقف فى كابول نفسها. وفى المحافظات الأخرى، كما أن ذلك يمكن أن يؤدى إلى فضيحة عالمية حيث إن اسم مجددى معروف تمامًا فى العالم الإسلامى بما فيه المملكة العربية السعودية. ثم مر على ذلك بعض الوقت، قد يكون أسبوعين، وكالعادة فى حوالى العاشرة صباحًا حضرت إلى سارفارى. كان يجلس هائجًا وأشعث وقال لى إنه قد تم تنفيذ عملية القبض على مجددى وأسرته فى الصباح. وفى تلك اللحظة دخل رئيس قسم مكافحة الجاسوسية "عزيز أكبرى"، وكان إصبع فى يده اليمنى مضمدًا. لقد تمت هذه العملية بأن مجموعة من الجنود أحاطت بأرض مجددى فى صباح ذلك اليوم، ثم دخلت مجموعة القبض عليه متسلقة السور وتوجهت إلى بيت مجددى نفسه. كان يقود المجموعة عزيز أكبرى. وقد قابلهم فجأة قرب المنزل أحد الخدم أو الحرس وحاول أن يصرخ بصوت عالٍ، ولكنهم لم يقوموا بقتله ولكن أجبروه على الصمت. ثم دخلوا المبنى. كانت الأسرة كلها جالسة فى حجرة كبيرة تشاهد التليفزيون. وعند محاولة أخذ مجددى من الحجرة هاجمت كل الأسرة أفراد

مجموعة القبض عليه، وتناولت إحدى السيدات سكينًا وبترت طرف إصبع عزيز أكبرى. ولكن أفراد المجموعة سحبوا مجددى من الحجرة ودفعوا به داخل سيارة. تم قذفهم بالحجارة وبأشياء أخرى. وفى ذلك الوقت حضر أسد الله سارفارى ونائبه الأول يوسف أيضًا إلى مكان العملية وقاموا بمساعدة المجموعة فى القبض على عائلة مجددى. لا أذكر الآن تمامًا ولكن يبدو أنه تم القبض على حوالى ١٨ شخصًا. استمعت إلى أسد الله سارفارى ثم قلت إننى قد سبق أن قلت رأيى فى ذلك وما زلت مصرًا عليه الآن. يجب الآن انتظار قيام الصلاة فى المساجد وسوف تنتشر الأحاديث، وتوقعوا تعقيدات ومظاهرات. هكذا كان الأمر. وعرفنا بعد يومين، أنهم فعلاً خافوا من التعقيدات فأخذوا العائلة إلى خارج المدينة وأعدموها رميًا بالرصاص.

كما توقعنا تسبب كل ذلك فى رد فعل سلبى كبير داخل أفغانستان وفى الدول الأخرى. وكما أذكر جرت محاولة لمناقشة هذا الموضوع فى الأمم المتحدة. يجب أن أقول إن تلك كانت حالة نادرة عندما كانوا يستشيروننا ويسألوننا عن رأينا فى إلقاء القبض على شخص ما. أتذكر أيضًا حالة واحدة مماثلة عندما انشغل الأفغان بممثلية عمل الاستخبارات الباكستانية فى كابول، وكانت لهم شبكة من العملاء السريين وبدءوا في دراسة حالة أحد موظفى المخابرات الباكستانية. سألونى أيضًا فى هذه الحالة عن رأيى فيما إذا تم القبض على هذا الموظف. نصحتهم مرة أخرى بألا يتعجلوا الأمر وأن يكثفوا المراقبة. كان قد تم تكوين جهاز للمراقبة الخارجية، ولو أنه كان ضعيفًا، وكان يجب أن تُكتشَف الاتصالات والعملاء ويمكن أن يتم إلقاء القبض على المشتبه فيه فقط عندما تتوفر دلائل لا يمكن إنكارها على نشاط تخريبى، بحيث إن الموظف لن يستطيع إنكارها. مرت عشرة إلى اثنى عشر يومًا على هذا الحديث. حضرت فى الصباح إلى أسد الله سارفارى. كان الأفغان جالسين هائجين ويتحدثون عن أنه فى الصباح عندما كان يتجه موظف السفارة الباكستانية من منزله إلى عمله، تم القبض عليه. أوضحت له بشكل ما كيف يمكنهم احتواء

هذا الموضوع وأن يستخدموه فى صالحهم. لقد نفذوا المرحلة النهائية لهذه العملية بنجاح: فقد تم الكشف عن تسعة عملاء. لم يعثروا على واحد منهم بينما تم القبض على ثمانية. تمكنوا من تجنيد موظف سفارة باكستان الذى تم القبض عليه للعمل معهم. وقد وجهت هذه العملية ضربة مؤثرة لممثلية عمل الاستخبارات الباكستانية فى كابول. وقد لاحظ الأفغان الذين كانوا يراقبون السفارة أن عددًا من العاملين بها والذين كان يُشكُّ فى أنهم من عملاء المخابرات الباكستانية قد غادروا البلد مع عائلاتهم بصفة عاجلة مستقلين سيارات عن طريق جلال أباد. من الواضح أن جزءًا من العملاء المقيمين قد تم "تعليبهم". تم إيقاف العمل النشط لفترة ما بخصوص ذلك. وقد أكدت ممثلية عمل الاستخبارات بباكستان في رسائلها لموسكو بعض المعلومات التى حصلنا عليها فى أفغانستان.

لجئوا إلىَّ بمواضيع أخرى لم تكن بالطبع متعلقة مباشرة بنشاطى، ولكنى أحسست بأن حفيظ الله أمين يحاول اختبار موقفى عن طريق أسد الله سارفارى. عامة كان تصرفه سليمًا. فقد قدم هذه الأسئلة لبعض رفاقنا من الهيئات المختلفة. وبصفة خاصة قال لى سارفارى: أيها الرفيق بجدانوف، ما هو رأيك إذا قمنا بقطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة الأمريكية؟ فهم يقومون هنا بنشاط تخريبى نشط، ولهم هنا عملاء مقيمون، كما أن دعايتهم واسعة جدًا.

قلت إنه يحظرعمل ذلك. بل على العكس، يجب الآن إخراج أفغانستان من عزلتها، التى وجدت بها، وأن يتم توسيع إمكانياتها على المسرح الدولى، وأوّلاً بالطبع استخدام الدول العربية ودول عدم الانحياز ولكن لا يجب تقليص نشاطها على المسرح الدولى. ولكن فلنفرض أن هيئة الإعلام الأمريكية التى تمتلك مركزًا ثقافيًا فى البلد، نشطة جدًا. فلتبحثوا عن حجة لغلقه. أغلقوه أو قلّصوه قليلاً، ولكن لا يجب قطع العلاقات. بدءوا أيضًا السؤال بخصوص الصين، حيث إن جمهورية الصين الشعبية كانت تقف فى جانب باكستان فى ذلك الوقت.

كان أمين يلجأ أحيانًا لى ببعض الأسئلة التى لم تكن فى إطار اختصاصى. فعلى سبيل المثال، فى إحدى المرات فى أحد اللقاءات أشار إلىَّ أنه سوف يكون شيئًا جيدًا إذا أهدى الاتحاد السوفييتى نور محمد تاراكى طائرة. وقد تم تفسير ذلك بأنه عندما كان يوجد الملك، أهداه الاتحاد السوفييتى طائرات. أما الآن فنحن نبنى الاشتراكية مع الاتحاد السوفييتى... وفى إحدى المرات قال لى إن الاتحاد السوفييتى يقدم لهم طائرات مروحية قديمة من طراز "مى-٨". وطبقا للمعلومات التى حصلوا عليها من الطيارين الذين تدربوا فى الاتحاد السوفييتى، فإن الجيش السوفييتى يمتلك طائرات مروحية حديثة من طراز "مى-٢٤" و"مى-٢٥"، ولكن تُورِّد لنا طائرات قديمة، وهلُمَّ جرا. فى عام ١٩٧٩، عندما تعقد الوضع فى البلد بشكل خطير، فقد قال أثناء الحديث: سيكون من الجيد أن يتم العمل على أن تكون أطقم الطائرات والمروحيات والدبابات مختلطة، أى أن تكون مكونة من عسكريين "أفغان وسوفييت". قلت إنه لا يجب عمل ذلك، وإنه محظور أن تشارك قواتنا فى العمليات الحربية. أجاب على ذلك: "ولكن مستشاريكم العسكريين على أية حال يحاربون". قلت: "ولكن من الخطأ أن يفعلوا ذلك". كانت تثار مثل هذه المواضيع، ولكنى كنت مدركًا أن حفيظ الله أمين كان يحاول إثارتها أيضًا عن طريق قنوات أخرى، وأننى لم أرسل مثل هذه الطلبات أبدًا إلى موسكو. وعندما طلبت سيارة مصفحة لنور محمد تاراكى، أخذنا على عاتقنا هذا الموضوع وتم توفير سيارة مصفحة. يجب أن أقول إن الأشهر الأخيرة من عام ١٩٧٨ كانت هادئة نسبيًا فى البلد. كانت توجد عصابات، ولكنها كانت فى الأساس عصابات مجرمين. كانت تحدث عمليات نهب فى الطرق، وكانت تُوقف السيارات، وكان يُقتل بعض الناس. ولكن بدأ الوضع يتوتر بالتدريج بسبب الإصلاحات التى تم استحداثها وبسبب النتائج السلبية التى كنا كثيرًا ما حدَّثناهم عنها. هنا أتذكر حديثى مع فاتاندجار. قلت له:

– أنا لست ملمًا بشكل جيد بأمور الأرض، ولكنك أنت أيضًا لست قويًا تمامًا فى هذا المجال. وعندى إحساس بأن رأسينا أنا وأنت، أيها الرفيق فاتاندجار، ما زالتا تقفان رأسيًا على كتفينا، ولكن بمجرد أن تبدءوا الإصلاحات المتعلقة بالأرض، فسوف تتحول رأسانا إلى شىء يشبه الشمام ولكنها فى وضع أفقى وذلك تحت تأثير ضغط الأحداث.

لم يتسبب الإصلاح الزراعى فقط فى غضب الإقطاعيين الذين صودرت أراضيهم، ولكن غضب أيضًا الفلاحون الذين كان يبدو أنهم تملّكوا هذه الأراضى. فأولاً طبقًا للقرآن يحظر الحصول على ما يملكه الآخرون. ثانيًا، سافر الإقطاعيون الذين صودرت أراضيهم مع رجالهم إلى الخارج وقاموا هناك بتنظيم جماعات وعصابات كبيرة أصبحت ذات سمة بسماتشية[1] وسياسية. بدأت هذه العصابات تقوم بتنفيذ بعض عمليات الهجوم فى مختلف المناطق الريفية وبعض العمليات الموجهة ضد السلطة الموجودة حاليًا وضد تلك القاعدة الاجتماعية التى كانت ما زالت موجودة فى أفغانستان بالرغم من ضيقها.

يجب أن أقول إن بعض قادة جمهورية أفغانستان الديموقراطية كانوا ينظرون إلى بعض الأمور بأسلوب مبسَّط تمامًا. كنت أحيانًا أندهش من ذلك. أتذكر بصفة خاصة حديثى مع أسد الله سارفارى عن الإصلاح الزراعى عندما قال: "لا توجد عندنا أية مشاكل. أنا أعرف أنه يوجد فى محافظة "فاراح" ستة إقطاعيين كبار. أستقلُّ مروحية وأطير إلى هناك، أجمعهم كلهم وأخرجهم من المحافظة. وبعد ذلك نقسم الأرض. ويبدأ الفلاحون العمل فيها. وبعد ذلك أُعيدُ مُلاَّك الأرض السابقين إلى فاراح وأقول لهم: اذهبوا حيثما شئتم". كان يتصور بعض سمات الإصلاح الزراعى تقريبًا بهذا الشكل. ولكن ليس ذلك مضادًا للقرآن فقط، ولكن أيضًا لم يكن الفلاحون يملكون أدوات الإنتاج ولا الحبوب لبذرها. فى

---

(١) عصابات مضادة لثورة أكتوبر فى آسيا الوسطى بالاتحاد السوفييتى.

السابق كانوا يحصلون على كل ذلك كقروض، عندما كانوا يعملون أجراء فى الزراعة عند الإقطاعيين. لم يكن عندهم ما يفلحون به الأرض. لم تكن الصناعة تقدم لهم جرارات ولا جواريف ولا فؤوس. كما لم يوجد حل لمشكلة استخدام الماء. وبذلك فإن هذا الموضوع مع مواضيع أخرى مثل إلغاء النقاب واشتراك المرأة فى الحياة الاجتماعية قد أدّت إلى ظهور مشاعر سلبية بين الطبقات العريضة للشعب. أتذكر لقائى مع نور محمد تاراكى فى يوم ٥ أغسطس عام ١٩٧٨. قال لى بخصوص الإصلاحات: "سوف ترون: بعد عام، لن يذهب أحد عندنا إلى المساجد". بالطبع كان ذلك تصرفًا غير جاد.

أتذكر أيضًا من الأمثلة التى كان لها عواقب حادة بعد ذلك، حفل الاستقبال الذى أقيم عند السفير بوزانوف على شرف السفير الأمريكى "دابس". كان قد عمل من قبل فى الاتحاد السوفييتى حيث كان مستشارًا للسفارة الأمريكية فى موسكو. كان يجيد اللغة الروسية وفى ديسمبر ١٩٧٨ حضرت إليه زوجته إلى كابول. كان أ.م. بوزانوف فى ذلك الوقت عميدًا للسلك الدبلوماسى وقرر إقامة حفل غذاء بهذه المناسبة، تمت دعوة السفير الأمريكى دابس وزوجته والمستشار التجارى وزوجته إليه. ومن جانبنا حضر الحفل عدة أزواج منهم أنا وزوجتى. وعندما تناولنا القهوة، أتذكر أنى سألت المستشار التجارى: "وما هى اهتمامات الولايات المتحدة الأمريكية فى أفغانستان؟".

نظر إلىَّ وقال: "لا توجد". فسألته:" وفيم تتلخص علاقاتكما التجارية، ما الذى تشترونه هنا؟". قال:

- نشترى هنا منتجات المستعمرات من فول سودانى ورمان وتوابل... إلخ.
- وما الذى تبيعونه لأفغانستان؟

أجاب: نبيع السجائر والأشياء المستعملة. فعلاً كانت الأسواق مغمورة ببدلهم وبالملابس المختلفة المُنتَجة فى أمريكا، والتى سبق استخدامها. أعتقد أن الأمريكان

قدموا طائرة DC-9 فى عهد داود. وهذا أدى فورًا إلى زيادة التبادل التجارى بنسبة ٥٠%. كان الأمريكان يتظاهرون بأن هذه هى مصالحهم فى أفغانستان. ولكننا كنا نعرف اتجاهات أخرى لنشاطهم، وقد تحدثت عنها من قبل، وبالطبع كانوا يعتبرون أفغانستان رأس جسر لكى تقوم المخابرات الأمريكية بصفة خاصة بتجنيد المواطنين السوفييت، ومنهم ممثلو جمهورياتنا بوسط آسيا. ولكن عامةً كان يهمهم من كانوا يتعاملون مع المسئولين فى موسكو وفى المراكز الصناعية الأخرى فى الاتحاد السوفييتى.

جاء عام ١٩٧٩ واستقبلناه مع المجموعة العامة فى السفارة. الشتاء، كابول مغطاة بالثلج، والجو قارص البرد. لم تكن تُدفأ منازلنا. عندما كنا نستيقظ فى الصباح كنا نجد أن الماء قد تجمد فى أحواض الحمامات. سافرت فى الأيام الأخيرة من شهر يناير فى مهمة إلى موسكو. وأثناء وجودى هناك، فى ٢-٣ فبراير وصلت برقية تفيد بقتل سفير أمريكا فى كابول "دابس". أرسلت بعض التفاصيل. لقد قبض عليه بعض المجهولين أثناء سيره بسيارته واصطحبوه إلى فندق "كابول" فى وسط المدينة. حضر تارون من وزارة الداخلية ثم أسد الله سارفارى. أُخطرنا أيضًا أن مستشارينا بوزارة الداخلية كانوا هناك. ثم عرفت أن ضابط أمن السفارة "س.باختورين" ومستشارنا من الإدارة التاسعة "ى. كوجيبوف" كانا أيضًا هناك. كما روى لى باختورين بنفسه، جاءوا بهدف إخراج المواطنين السوفييت من المبنى، حيث كان يعيش حوالى ٣٠ خبيرًا سوفييتيًا فى الطابقين الثانى والثالث. طبقًا للمعلومات القادمة من كابول، بدا أن مستشارى وزارة الداخلية ساعدوا على حل مشكلة تحرير السفير الأمريكى. وقد حضر أيضًا إلى هناك اثنان من الأمريكان ومنهما نائب القنصل الذى كان يعرف الروسية. وقد ورد بالبرقية أن الأمريكان قد اشتكوا من أن مستشارينا مذنبون حيث إنهم لم ينجحوا فى إطلاق سراح السفير دابس، وإنه تم قتله. بل إن الأمريكان أرسلوا بعد ذلك مذكرة رسمية. وأنا أعرف أنه قد تمت مناقشة هذا الموضوع فى تلك الأيام فى المكتب السياسى.

وبعد انتهاء اجتماعه اتصل ى.ف.أندروبوف بف.أ.كريوتشكوف وبنائب رئيس قسم الكوادر بالكى.جى.بى. وأخبره بأنه يجب أن يتم بسرعة تجهيز خطاب للّجنة المركزية للحزب به اقتراح بأن تكون ممثلية وزارة داخلية الاتحاد السوفييتى بكابول تابعة لنا (ممثلية الكى.جى.بى.) فيما يخص الأعمال الاستخبارانية.. وقد تم اتخاذ هذا القرار.

عند عودتى إلى كابول، بعد انتهاء مهمتى، روى لى ضابط الأمن باختورين وكذلك أسد الله سارفارى بالتفصيل كل ما حدث. كانت صورة ماحدث أساسًا كما يلى: كان السفير وسائقه غير بعيدَيْن عن المبنى الذى كان يوجد به المركز الثقافى الأمريكى. أوقفهما شخص يرتدى ملابس الشرطة عند تقاطع. لم يكن السائق حريصًا ففتح الشباك لكى يتحدث. وفى هذه اللحظة اقترب شخصان آخران وفتحا باب السيارة وجلسا خلف السفير ثم أمرا السائق بالتوجه إلى فندق كابول. وعند وصولهم، أخذ أحد الإرهابيين مفاتيح الأبواب العمومية للفندق وأقفلها بها. وقام اثنان من المتآمرين باصطحاب السفير إلى الطابق الثانى وحبساه فى إحدى الغرف. أما الإرهابى الثالث فقد بقى فى البهو. كانت طلباتهم غريبة. فقد طلبوا مقابلة تاراكى كما طلبوا منحهم إمكانية التحدث فى الإذاعة. وقد حكى ذلك أسد الله سارفارى حيث إنه حضر هو أيضًا إلى الفندق عندما علم بما حدث. حاولوا التحدث مع السفير بالإنجليزية من خلف الباب، حيث أرادوا أن يقولوا له أن يدخل إلى دورة المياه لفترة ما قبل أن يبدأ اقتحام هذه الغرفة. ولكن طلب الإرهابيان اللذان كانا فى الغرفة التوقف عن التحدث بالإنجليزية، وإلا فسوف يقتلان السفير.

على أية حال فقد قرر الأفغان أن يقتحموا الغرفة. أحضروا كتلة خشبية. ثم كما رُوِى لى، نادى سارفارى على أحد الإرهابيين. وعندما رأى من خلال ثقب الباب أن الأخير قد اقترب، تم اطلاق النار من الرشاشات عبر الباب المغلق وكسروه فى نفس اللحظة بالكتلة الخشبية. قُتِل الإرهابى الذى كان عند الباب فورًا، أما الثانى الذى كان جالسًا بجانب مقعد السفير فقد تمكن من إطلاق الرصاص على

رأس السفير. وتم قتل الإرهابي نفسه فورًا. طبقًا لتقدير أسد الله سارفارى فإنه لو كان السفير قد دخل إلى دورة المياه حتى ولو لعدة دقائق لكان قد بقى على قيد الحياة. كان الأمريكان يعرفون أن ثلاثة أشخاص قد خطفوا السفير وأن اثنين منهم قد بقيا فى الغرفة معه وأنهما قُتِلا. سألوا: "أين الثالث؟". كما قال سارفارى، أُعطِى أمر سريع بإحضار أحد المجرمين من سجن "بوليشارخا" من المحكوم عليهم بالسجن المؤبّد، وقتله وإحضار جثته ووضعها بجانب الجثث الأخرى. بينوا للأمريكان أن الإرهابيين الثلاثة قد قُتلوا. بالطبع بقيت عدة أسئلة غامضة. من كان هؤلاء الإرهابيون؟ وماذا كانوا يريدون؟ لم نعرف ذلك أبدًا.

جاء شهر مارس. وبقى الوضع فى البلد صعبًا. ولكننا بالطبع لم نكن نعرف كل ما يحدث فى خارج العاصمة، حيث لم يكن لدينا ممثلون هناك، كما أن السلطة لم تكن قوية ومنظمة إلى تلك الدرجة التى تسمح بتصور دقيق عن كل ما يقع من أحداث. كما أنهم فى الأرياف لم يكونوا يدركون الوضع فى كابول. فطبقًا للشائعات التى انتشرت فى الأماكن المتفرقة أصبح يحكم فى كابول ملك جديد اسمه تاراكى.

يجب أن أشير إلى أننا لم نكن مشغولين بأى شيء فى كابول إلا بعملنا. أريد أن أقول كلمتين عن الكيفية التى كنا نستريح بها وماذا كنا نعمل لذلك. فى الشهرين الأولين من عام ١٩٧٨، كما ذكرت من قبل، ذهبت مع السفير عدة مرات لصيد السمك فى أيام الجمعة إلى منطقة ناجلو التى تقع قبل جلال أباد. كنا نسير إلى هناك بهدوء وبدون سلاح بسيارتين. كان للسفير حمام بخار تحت حمام السباحة فى حديقة السفارة. كان لا يُسمح لأحد بدخوله، حيث إنه لم يكن يُستعمل بتوسع. ولكن سُمح لى باستخدام هذا الحمام. وبالإضافة إلى ذلك كان يوجد فى مركز الاتصالات "ميكرون"، الذى تحدثت عنه من قبل، رئيس لطيف جدًا وهو ضابط برتبة مقدم. كان يعمل هناك رفيق لطيف، أحد موظفى مكافحة الجاسوسية العسكرية بالكى.جى.بى. هو الرائد "موزيكا". كانت قد تكونت علاقات جيدة بيننا. وكنا أحيانًا نذهب إلى هناك للاستمتاع بحمام بخار.

قررنا مرة فى الشتاء أن نذهب لصيد الطيور. كنا أربعة من الممثلية، وكان معنا من الجانب الأفغانى النائب الأول لرئيس المخابرات يوسف ورئيس إدارة مكافحة التجسس بقوات الدفاع الجوى. ذهبنا إلى الجنوب فى اتجاه "جازنى" ثم انحرفنا إلى مكان ما فى الجبال وعبرنا المركز السكنى "مايدان"، وبعد ذلك حاولنا أن نتسلق الجبل إلى أعلى بجانب فرع النهر. ولكن كان قاع النهر وجانباه مغطيَيْن بالحجارة والصخور الكبيرة الملساء. لم نتمكن من الاستمرار فى التقدم بالسيارة وأكملنا السير مشيًا. تعبت بسرعة وعدت مع السائق إلى السيارة. عادت كل المجموعة. فجأة اقترب منا ٦٧ من الملتحين المسلحين. كانوا ينظرون إلينا بشكل ودّى. حاولنا ضيافتهم. جرَّب أحدهم شرب الويسكى مخالفًا بذلك تعاليم الإسلام. كانت توجد قرية بالقرب من المكان الذى توقفنا فيه عند سفح الجبل. قررنا ألا نعود إلى كابول منفضى اليدين، لذلك اشترينا من القرية دجاجتين منظفتين. عندما عدنا إلى كابول ذهبت مع كابانوف إلى حمام البخار فى ميكرون. كان عندهم طباخ. قلنا له إننا أحضرنا طائرين بريين طازجين. بدأ فى طهيهما. ولكن عندما اختفينا فى حمام البخار قال الطباخ لرئيس مركز الاتصال إن هاتين دجاجتان. فصاح فيه الأخير بقسوة: "قيل لك إنهما طائران بريان، إذًا هما طائران بريان".

سوف أقدم مثالاً على أنه كانت توجد لدينا بعض الأوقات للراحة. ولكن عامة كان كل شيء يؤدى بالطبع إلى العمل. كان الموضوع يتلخص فى أن يوم الإجازة الأسبوعية الرسمية فى أفغانستان هو يوم الجمعة، أما عندنا فى موسكو ففى أيام الجمعة كانت تصفًّى الأعمال المتراكمة على مدى أسبوع، وبالطبع كانت تُرسَل لنا تكليفات، وطلبات...إلخ. أما أيام السبت والأحد فكانت أيام عمل عند الأفغان، لذلك كنا مضطرين أن نذهب فيها إلى أماكن عمل التابعين لنا. لذلك كنا عمليًا نعمل بدون إجازات أسبوعية. ولكن كان الوضع قبل مارس يسمح لنا بالراحة بعض الشيء. فأذكر أننا فى يوم ١٢ مارس ذهبنا لآخر مرة أنا وباختورين وكابانوف وأحد موظفى مجموعة الاستخبارات المقيمة، كنت أعرفه من

أيام عملى بطهران، للصيد وصيد السمك فى منطقة "ساردى" على الطريق المتجه من كابول إلى الجنوب. كانت توجد هناك مجموعة من الخبراء من أوزبكستان يعملون فى مجال شبكات الرى. ذهبنا إليهم وتناولنا الغذاء. كان عندهم قارب. عُمنا فى المجرى المائى، أطلقنا النار على البط (ولكن البط كان رديئًا، فقد كان أسود اللون)، وصدنا السمك، ثم أمضينا الليل وعدنا إلى كابول. أثناء العودة واجهنا حادثًا. كان الطريق سيئًا وثقب مسمار من المروحة، رادياتير السيارة. خرّ منه الماء فاضطررنا أن نعرج على جازنى. قابلَنا هناك شخص مثير. كان طبيبنا البيطرى وزوجته يعيشان هنا منذ ثمانى سنوات. لم يكن يوجد أى خبراء وأى روس هناك غيرهم. استضافانا وقدما لنا الشاى بينما كان يتم إصلاح السيارة.

عشنا هكذا حتى يوم ١٤ مارس ١٩٧٩ الذى أعتبره يوم تحوّل لكل الأحداث التى جرت بعد ذلك فى أفغانستان. فهكذا، فى هذا اليوم، فى الساعة ١١-١٢ اتصل بى السفير وقال لى إنه طبقًا للمعلومات التى لديه (لم يكن لنا رجال عاملون هناك)، منذ الصباح قامت مظاهرات شعبية كثيرة فى "هرات". وأنه قد اتصل به الآن كبير المستشارين العسكريين وأنه سيحضر إلى السفارة الآن. طلب منى السفير الذهاب إلى مكتبه. عادة عندما كان يتوجه جوريلوف إلى السفارة، كان السفير يدعونى إلى مكتبه.. وبالإضافة إلى ذلك عرف أن أحد العاملين فى الممثلية التجارية فى هرات قد اتصل بالسفارة. أظن أنه كان من يتلقّى الجلود. كان يعيش هناك هو وزوجته. تمكن من أن يقول أن كتلاً من الجماهير تسير فى الشوارع وهى تهتف: "اضرب الكفار! فلتسقط السلطة الحالية!"، ثم انقطع الاتصال معه. وقد اتضح بعد ذلك أن هذا الموظف قد قُتِل. كان لقبه هو "بجدانوف" مثلى. وقد ضُربت زوجته بوحشية. وقد أخفاها أحد الأفغان من معارفهم، لذلك فقد بقيت على قيد الحياة، وتم العثور عليها فيما بعد. كان ذلك يوم جمعة. بالمناسبة، كانت كل المظاهرات التالية التى قامت فى كابول وفى المدن الأخرى تقوم عادة فى أيام جمعة. حضر جوريلوف، كالعادة، هائجًا وقال إن فرقة المشاة الموجودة فى هرات قد انضمت إلى جانب

المتمردين. فمن الصباح بدأت مظاهرات ضخمة فى المدينة، ثم بدأت تتدفع الجماهير من القرى القريبة على الأربعة طرق الموصلة إلى هرات. كما قال جوريلوف، تم إطلاق المدافع على المتظاهرين بناءً على أوامره. وبالإضافة إلى ذلك فقد أُصدر أمر لقاعدة الطيران الموجودة فى "شنداندى" بالقرب من هرات بأن تطير الطائرات على ارتفاع منخفض بسرعة أكبر من سرعة الصوت لمحاولة تفريق الكتل البشرية. ولكن حدث شيء غير متوقع: فعندما بدأ إطلاق الرصاص على القوم العُزّل المتوجهين ناحية هرات، فقد انضم كل من قيادة الفرقة الأفغانية والجنود حاملى البنادق إلى الجماهير الغفيرة التى كانت ضد النظام. أداروا مدافعهم وبدءوا يطلقونها على الأجزاء الأخرى من الفرقة. كانت آلياتها موجودة فى قلعة على أطراف جيراط. وبذلك فقد انتقل جزء من الفرقة إلى جانب المتمردين. وكما عرفت فيما بعد، كانت نتيجة إطلاق النار الذى بدأ أولاً فى اتجاه الجماهير، فقد قُتل وجرح أكثر من ٣,٥ آلاف شخص. وللأسف كانت القيادة لمستشارينا العسكريين.

بدأ ثلاثة من مستشارينا بالفرقة ينصرفون فى سيارتين فى اتجاه "كوشكا"(٢) إلى الحدود السوفييتية. ولكن تأخرت السيارة الثانية فى مكان ما فى مضيق جبلى. كان يستقلها أحد المستشارين. لذلك اضطر من كانا فى الأمام للتوقف. انتظرا قليلا، ثم قررا العودة للخلف. فرأيا على الطريق بالقرب من القرية التى مروا عليها سيارة المستشار الذى تأخر. وعندما اقتربا منها هرب جمع الناس الموجود حولها. وجدا فى السيارة ضابطنا مقتولاً بوحشية: فقد تم بقر بطنه وأُدخِل فيها وتد، وتم ملء فمه بالرمال. وضعا جثمانه على مشمع خيمة وحملاه إلى سيارتهما ثم توجها إلى "كوشكا". كان ذلك فى يوم جمعة، يوم الحمام، فكانت زوجات مستشارينا وأولادهم موجودين فى الحمام. ولكن كتيبة الدبابات ظلت على إخلاصها للنظام وحضر بعض قائدى الدبابات وأخذوا السيدات والأطفال. كانوا نصف عراة، يلبسون البرانس والشباشب. أخذوا السيدات والأطفال بسيارات النقل المصفحة

---

(٢) آخر منطقة مسكونة فى أقصى جنوب الاتحاد السوفييتى على الحدود مع أفغانستان.

ونقلوهم إلى المطار تحت حماية الدبابات وأجلسوهم فى طائرة وسافروا إلى كابول بهذا الشكل.

عرفنا بعض تفاصيل هذه الأحداث فيما بعد. فقد كنت موجودًا فى مصحة استشفاء بعد عودتى من أفغانستان، وقابلت رئيس الكى.جى.بى. بتركمنستان الجنرال "شارييف". حُكِى لى أنه فى يوم ١٥ مايو ١٩٧٩ كان موظفو الكى.جى.بى. يلعبون الكرة الطائرة فى "أشخباد"(٣)، وفجأة أفادوهم بأن هناك مروحية قادمة من أفغانستان وبها جثمان بجدانوف الذى تم قتله. كانوا يعرفون أننى موجود فى كابول، فاعتقدوا أن هذه المصيبة حدثت معى، وتوقفوا عن اللعب. عند وصول المروحية تبين أنه موظف ممثليتنا التجارية، الذى قُتل فى يوم ١٤ مارس فى هرات.

بعد الحديث عند السفير مع جوريلوف، ذهبت إلى أسد الله سارفارى بجهاز الأمن. عند دخولى إلى مكتبه لم يكن هناك. وكان يجلس على مكتبه رئيس مكافحة التجسس عزيز أكبرى، وكان يتحدث مع أحدهم بصوت عالٍ هاتفيًا. كما كان يقف هناك رئيس مكافحة الجاسوسية بالقوات الجوية، وهو برتبة نقيب ودرس بالاتحاد السوفييتى، وكنا نطلق عليه اسم "ساشا". قال لى فورًا: أيها الرفيق بجدانوف، لقد سقطت الفرقة فى جيراط. الوضع صعب جدًا.

دخل فى هذا الوقت أسد الله سارفارى ممسكًا مسدسه فى يده لسبب ما. كان قد جاء من عند نور محمد تاراكى. قال لى فورًا إن الفرقة الهراتية لم يعد لها وجود، وإنه يمكن أن يبدأ رد فعل تسلسلى فى الجيش. وقال: "إنه إذا تطورت الأحداث بهذا الشكل، فإننا -الخلقيين- سوف نذهب إلى الجبال ونضرب من هناك أفغانستان هذه". ألقيت تعليقى على ذلك: أنتم سوف تذهبون إلى الجبال، ولكن إلى

---

(٣) عاصمة جمهورية تركمنستان الاشتراكية السوفييتية.

أين سنذهب نحن؟ على الأرجح يجب أن نلم بالموقف وأن نرى ماذا يمكن عمله الآن.

ولكن كان من الواضح أن الأفغان مرتبكون بشكل كبير، وأنهم لم يكونوا يدركون ماذا يمكن عمله. ثم اتضح بعد ذلك أن نور محمد تاراكى قد استدعى جوريلوف وبدأ يسأله عن الزمن الذى سوف يحتاجه لكى تدخل الجيوش السوفييتية إلى أفغانستان عندما يعطيها هو(تاراكى) الإشارة. أصبح من الواضح أن قيادة جمهورية أفغانستان الديموقراطية سوف تتوجه لطلب مساعدة عسكرية من الاتحاد السوفييتى.

بعد عودتى من عند أسد الله سارفارى إلى السفارة أرسلت برقية عاجلة إلى موسكو. كما قلت من قبل، كان يوجد فى أفغانستان ٥,٥ ألف مواطن سوفييتى، وكانوا مبعثرين فى كل البلد. وإذا اتضح أن قادة أفغانستان على حق، وأن رد فعل تسلسلى سيبدأ، فإن ذلك سيؤدى إلى أن يكون ٥,٥ ألف من مواطنينا فى موقف صعب جدًا، ويمكن أن تحدث خسائر كبيرة. رسمت فى البرقية صورة للموقف مع الإشارة إلى إمكانية حدوث تطورات غير سارة، واقترحت أن تكون هناك مجموعات من قواتنا الخاصة على حالة استعداد لإرسالها إلى مناطق كابول وهرات وقندهار وجلال أباد وموزارى وشريف بهدف ضمان أمن المواطنين السوفييت أثناء إخلائهم من أفغانستان. أرسلت البرقية. وقد أرسل ممثل إدارة المخابرات الرئيسية إلى موسكو برقية مشابهة. وبعد فترة قصيرة تم الاتصال بى من مركز الاتصال "ميكرون" وأخطرونا بطلب حضورى إلى الجهاز من موسكو. عندما وصلت إلى أرض المركز، كان جوريلوف يتحدث مع موسكو. وقد فهمت من أسلوب كلامه "أيها الرفيق مارشال الاتحاد السوفييتى، الرفيق الوزير" أنه يتحدث مع أوستينوف. سمعت كيف كرر جوريلوف كلمات: "أيها الرفيق الوزير، الرفيق وزير الدفاع، أنا لست سياسيًا، أنا عسكرى" إلخ. ثم قال: "تمام!" ووضع السماعة. سألته: ما هو الموضوع؟

أجابنى:

- كنت أتحدث مع أوستينوف. قال لى إنه طالما الموقف بهذه الصعوبة، جندوا وسلحوا الطبقة العاملة.

سألته: وماذا كان ردك عليه؟

قال: "تمام".

قلت له: "إذن اذهب وحركها". أية طبقة عاملة فى أفغانستان؟ لم تكن هناك أية تنظيمات عمالية. كانت توجد فقط بضع شركات صناعية صغيرة فى كابول. وكان أكبرها شركة بناء المساكن. التى بنت منازل فى المدينة من الطراز المعروف فى موسكو باسم "خروشوفكا"[٤]. كان يعمل بها الفلاحون القادمون من أجل كسب المال. كانت موسكو بما فيها أوستينوف لا يتصورون جيدًا هذا البلد وما هى الإمكانيات الموجودة بها.

عندما حاولوا توصيلى بموسكو، تبين أن الصوت لم يكن مسموعًا جيدًا. لم أستطع أن أفهم من الذى يتحدث معى وعمَ يتحدث. فهمت فقط: "ستجيىء برقية". جلست فى السيارة وعدت إلى السفارة. بمجرد دخولى إلى مكتبى وصلت البرقية المَعنيَّة، وكان مكتوبًا فيها أنه نظرًا للموقف القائم يجب علىَّ أن أطير بصفة عاجلة إلى موسكو لتقديم تقرير إلى الرئاسة. ولكن كما قلت كان ذلك اليوم، يوم جمعة، وكانت طائراتنا تطير إلى موسكو مرة واحدة فى الأسبوع فى أيام الخميس. طلبت العثور على ممثل شركة "ايروفلوت" الذى حضر إلىَّ بسرعة وطلبت منه أن يراجع مواعيد طيران الشركات الأخرى ومحاولة العثور على إمكانية تلاقيها فى مكان ما مع طائرات شركة "ايروفلوت". ويمكن أن أطير من هنا إلى بيروت أو إلى دمشق أو إلى أى مكان فى هذه المنطقة إذا كانت توجد رحلات اليوم أو غدًا. انصرف ممثل الايروفلوت، ولكن تم الاتصال فى هذه اللحظة من "ميكرون" ودعونى مرة

---

(٤) هى منازل من خمسة طوابق أمر ببنائها خروشوف لحل مشكلة المساكن المشتركة بالاتحاد السوفييتى.

أخرى للذهاب إلى مركز الاتصال. ذهبت، ومرة أخرى تبين أن الاتصال سيئ للغاية: وقد فهمت بصعوبة أنه توجد برقية أخرى فى الطريق. عدت إلى السفارة. وبعد فترة ما استلمنا البرقية التى كانت تقول إنه تم إلغاء سفرى إلى موسكو، وإنه ستطير إلى كابول فى يوم ١٧ مارس مجموعة استخباراتية برئاسة النائب الأول لرئيس المخابرات اللواء "إيفانوف بوريس سيميونوفيتش". ولم يُبيِّن فى البرقية قائمة القادمين ولا عددهم ولا مدة بقاء المجموعة الاستخباراتية.

اجتهدت قيادة أفغانستان فى أيام ١٦،١٥،١٤ مارس لاحتواء النتائج السلبية لأحداث هرات. فى ذلك الوقت حدثت لقاءات بين تاراكى وحفيظ الله أمين مع كبير المستشارين العسكريين ومع السفير وتمت أحاديث مع موسكو عن إمكانية دخول الجيوش السوفييتية إلى أراضى أفغانستان. هنا يجب التوضيح. أريد أولاً أن أنفى الشائعات وكذلك تأكيدات البعض عن أن ممثلية الكى.جى.بى. اشتركت بنشاط فى مفاوضات أو فى أمور أخرى متعلقة بإدخال جيوشنا إلى أرض أفغانستان. يجب أن أقول إن أيًا من تاراكى أو حفيظ الله أمين لم يتوجها أبدًا لى شخصيًا وهذا يعنى لأى أحد بممثليتنا بطلب إدخال الجيوش. كما أننى لم أحضر أى لقاء أو مناقشة تم فيها تناول موضوع دخول جيوش الاتحاد السوفييتى إلى أراضى جمهورية أفغانستان الديموقراطية. لم تكن توجد للممثلية أية علاقة بهذا الموضوع. أما ما يخص أحداث ١٤ مارس، فأنا مقتنع تمامًا بأنها كانت إشارة واضحة إلى أن حربًا أهلية قد بدأت فى أفغانستان. وقد قابلت فى بعض الأحيان فى مراسلاتنا مع موسكو منذ نهاية مارس وفى بداية أبريل، ولن أتحدث عن الأوقات التالية، تعبير "حرب أهلية فى أفغانستان" ولذلك فقد أخطأ تمامًا المؤرخون وممثلو الصحافة وبعض خبراء الشئون العسكرية الذين يؤكدون أن الحرب الأهلية قد بدأت فى أفغانستان بعد دخول الجيوش السوفييتية إلى أرضها، أى فى نهاية ديسمبر عام ١٩٧٩. لا... فإن الحرب الأهلية ظهرت بوضوح اعتبارًا منذ مارس عام ١٩٧٩... ويجب أخذ ذلك فى الاعتبار.

وبذلك وصلت مجموعة استخباراتية من موسكو إلى كابول في يوم ١٧مارس ١٩٧٩ على رحلة خاصة، وكان يرأسها بوريس سيميونوفيتش إيفانوف. كنت أعرفه جيدًا عن طريق العمل في موسكو. وبالإضافة إلى ذلك كان ضمن المجموعة على غير انتظار مِنى الفريق "ى.أ.نيشوموف" النائب الأول لرئيس الإدارة العامة لقوات حرس حدود الاتحاد السوفييتى. وهو فى نفس الوقت رئيس أركان قوات حرس الحدود. كنت أنا ونيشوموف نعرف بعضنا جيدًا من زمن طويل، وقد ربطتنا أواصر الصداقة فى موسكو وقد استمرت إلى يومنا هذا. وبالإضافة إلى ذلك حضر ٥ أو ٦ من رجال الاستخبارات الذين اختارهم إيفانوف للعمل فى أفغانستان، أساسًا طبقًا لتصوره، فى مختلف أنحاء البلد. ولكننا لم نكن نعرف المدة التى حضروا من أجلها. لذلك فقد أسكنا ب.س.إيفانوف مع ى.أ.نيشوموف فى إحدى الشقق الصغيرة لموصلى البريد الدبلوماسى، وكان قد نزل بها كريوتشكوف فى أغسطس عام ١٩٧٨. أما باقى فريق العمل فقد وزعناهم على شقق مختلفة. وبعد إسكانهم، ذهبت أنا وإيفانوف إلى مركز ميكرون للاتصالات. اتصل بكريوتشكوف. كان الصوت مقبولاً. سأله كريوتشكوف عن سكنه، فقال: سيئ جدًا. كان ذلك كما يقال "حجر فى حديقتنا". ثم قدّم بعد ذلك تقريرًا بأنه سيبدأ العمل. ثم كان هناك غذاء عند السفير. ثم فى يوم ١٨ مارس شغل إيفانوف مكتب نائب رئيس إدارة مكافحة التجسس بالسفارة (كان هذا المكتب مجاورًا لمكتبى)، وأمسك بخريطة أفغانستان فى يده وقال: "نعم، البلد صغيرة، ولكن المشاكل كثيرة". بدأ عمله بهذه الكلمات. هنا يجب الإشارة إلى نقطة مهمة، فقد استمرت ممثلية الكى.جى.بى. الاتحاد السوفييتى تعمل فى إطار هيئات الأمن بجمهورية أفغانستان الديموقراطية بالتشكيلة السابقة. كان إيفانوف فعليًا ممثلاً خاصًا ليورى فلاديميروفيتش أندروبوف فى أفغانستان، مثلما كان يوجد لدينا ممثل خاص لوزارة الخارجية بالشرق الأوسط، وممثل خاص للرئيس فى أى منطقة...إلخ، فإن إيفانوف لم يكن ضمن تشكيل مجموعة الاستخبارات المقيمة، مثله مثل نيشوموف. كانوا فى مهمة قصيرة عاجلة. فى اليوم التالى ذهب كل من

السفير وريوريكوف (كان مترجمًا) وإيفانوف ونيشوموف وأنا إلى حفيظ الله أمين. قَدِم السفير إيفانوف، وعندئذ أشار إلى أن بوريس سيميونوفيتش كان فى وقته فى تشيكوسلوفاكيا فى عام ١٩٦٨ عندما دارت بها الأحداث المعروفة. ابتسم أمين وألقى جملة: "ولكننا لم نصل بعد إلى هذه الأحداث".

ثم قدم السفير نيشوموف. وعندما ذكرنى، ابتسم حفيظ الله أمين وقال: بجدانوف رجلنا أكثر من كونه رجلكم. ونحن نعرفه جيدًا.

تم التعارف بهذه الطريقة، وبدأ العمل. يجب أن أقول إن إيفانوف الذى كان في ذلك الوقت نائبًا لرئيس المخابرات، أصبح كبير رؤساء رجال الاستخبارات لكل من ممثلية الكى.جى.بى. ومجموعة الاستخبارات المقيمة. هنا وجبت الإشارة إلى أحد الأشياء غير المريحة فى التنظيم. عندما ضغط علىَّ كريوتشكوف فى عام ١٩٧٨ لكى أوافق على السفر إلى أفغانستان، سألته عن علاقتنا التى ستكون مع مجموعة الاستخبارات المقيمة، حيث إنه كان من المتبع فى ذلك الوقت أنه كان لنا فى الدول الاشتراكية فى إطار المخابرات وفى إطار هيئات الأمن ممثليات لكى.جى.بى. الاتحاد السوفييتى. وكانت توجد بها ممثليات صغيرة للاستخبارات. ولكن رؤساء هذه الممثليات كانوا معروفين لقيادة البلد، ولهيئات الأمن. وكان الهدف الأساسى من وجود ممثليات العمل الاستخباراتى فى الدول الاشتراكية هو العمل مع السلك الدبلوماسى والممثلين الآخرين للدول الأجنبية. وكان فى كل مكان كبير رؤساء العمليات الاستخباراتية هو رئيس ممثلية الكى.جى.بى. أما فى دول العالم "الثالث" حيث كانت الممثليات صغيرة أو كان يوجد بها فقط ممثلون (فى بعض الأحيان فردان أو ثلاثة)، وكان كبير رؤساء العمليات الاستخباراتية هو رئيس مجموعة الاستخبارات المقيمة. وأنا أعتبر أن التنظيم لم يكن موفقًا بشكل خاص خاصة فى دول العالم الثالث: وقد كنت أنا نفسى شاهدًا على سوء الفهم.

كان يتم اختيار رؤساء الممثليات، حتى الصغيرة منها، أو ممثل الكى.جى.بى عامة من بين رجال الاستخبارات من ذوى الخبرات العملية الذين

عملوا بنشاط لفترة طويلة، والذين كانت لهم نتائج إيجابية فى العمل الاستخباراتى. أما رؤساء مجموعة الاستخبارات المقيمة، فقد كانوا فى كثير من الحالات أكثر شبابًا ومن الأفراد الأقل خبرة وكانوا رؤساء. وقد تواجدت فى عدة بلاد أفريقية فى مهمات بتكليف من ف.أ.كريوتشكوف، ورأيت أن السفراء يعتمدون أكثر على رئيس الكى.جى.بى. وليس على رئيس مجموعة الاستخبارات المقيمة بالرغم من أنه كبير رؤساء العمليات الاستخباراتية. وهكذا عند طرحى لسؤالى على كريوتشكوف عما سيكون عليه الوضع فى أفغانستان، قال لى إننا سوف نقوم بعمل استثناء لأفغانستان التى تنتمى لدول العالم الثالث، أى أن رئيس الممثلية هو الذى سيكون كبير رؤساء العمليات الاستخباراتية. ولكن على مدى عدة شهور فى عام ١٩٧٨، وفى شهرى يناير وفبراير من عام ١٩٧٩، لم يتم حل هذه المسألة. وبالإضافة لذلك وطبقًا للقوانين الموجودة فإن رئيس ممثلية العمل الاستخباراتى يكون كبير رؤساء العمليات الاستخباراتية. وحدث أن رئيس مجموعة الاستخبارات المقيمة كان قبل ذلك لسنوات مرؤوسًا لى. وعندما حضرت إلى أفغانستان فى عام ١٩٧١ كان هذا الموظف هو رئيس مجموعة الاستخبارات المقيمة. وبالطبع، كنت أراجع عمله وأساعده من موقعى فى موسكو. وقد أدى هذا الوضع إلى خفض مستوى تنسيق العمل، ويمكن أن أقول إن ذلك تسبب فى عدم استخدام القوى والإمكانيات المتاحة بكفاءة كافية. ولم تمارس الممثلية حتى ديسمبر ١٩٧٩ الأعمال مع العملاء فى أفغانستان. ولم تكن أمام الممثلية مثل هذا التكليف. وكانت مجموعة الاستخبارات المقيمة هى التى تتعامل مع العملاء. كما أن ضمان أمن الجالية السوفييتية بما فيها المسائل المتعلقة بالمستشارين العسكريين، وكانوا بالمئات، كانت هى أيضًا تنفذ تحت إشراف ممثلية العمل الاستخباراتى. ولم يكن هناك سر فى وجود أربعة من العاملين فى مكافحة التجسس العسكرى وكانوا ضمن المستشارين العسكريين، وكانوا يوفرون من الناحية العملية الأمن وأشياء أخرى تتعلق بعمل المستشارين العسكريين. وكانوا حتى ديسمبر ١٩٧٩ تابعين لمجموعة الاستخبارات المقيمة، وليس لممثلية الكى.جى.بى.. وكان حضور إيفانوف مفيدًا

بشكل ما، حيث إنه يمكن ليس فقط أن ينسق عمل الممثلية* ومجموعة الاستخبارات المقيمة، بل عند الحاجة يمكن أن يقوم بالرئاسة العامة.

انشغل نيشوموف بموضوع حرس الحدود. لقد قلت من قبل إن فى ذلك الوقت كان عندنا مستشار واحد هو "كيريلوف" فى تخصص قوات حرس الحدود. كان نيشوموف قويًا جدًا من ناحية العمليات الاستخباراتية. وكانت رؤياه واسعة. اعتبر أن أساس عمله هو محاولة تكوين قوات حرس حدود قوية ومحاولة إغلاق الحدود مع كلٍ من باكستان وإيران. بدأ هو وكيريل فى وضع هيكل أكثر تفصيلاً لقوات حرس الحدود فى كل الاتجاهات بما فيها التموين وتدريب الأفراد...إلخ. وبالإضافة إلى ذلك فإنه انشغل بموضوع الدفاع عن السفارة بمراعاة تعقد الوضع القائم. وتم وضع خطة للدفاع عنها بالرغم من عدم وجود إمكانيات، فلم تكن توجد أية فِرَق على أرض السفارة، ولكن عَمِل ضابط الأمن لإنشاء دفاع مدنى من رجال السفارة والممثلية التجارية وجهاز المستشار الاقتصادى وبعض المجموعات الأخرى من الخبراء. وكان إيفانوف يذهب إلى تاراكى لمناقشة المواضيع السياسية. وكنا نذهب معًا إلى حفيظ الله أمين. كانت على عاتقى التكليفات السابقة: كان يجب أن أواصل العمل على تنظيم وتدريب جهاز أمن جمهورية أفغانستان الديموقراطية- أولاً: قوات حرس الحدود، وثانيًا: الحرس الشعبى، وثالثًا: مكافحة التجسس العسكرى، والذى انتقل فيما بعد إلى الجهاز الذى قمت بإنشائه، رابعًا: وأصبح من واجبى أيضًا أن أعمل مع وزارة داخلية جمهورية أفغانستان الديموقراطية. وبناءً على اقتراحنا اتخذت موسكو قرارًا بإنشاء وظيفة نائب رئيس ممثلية الكى.جى.بى. لشئون وزارة الداخلية. كان ذلك مفيدًا لمن كان يحتل هذا المنصب حيث إنه كان يحصل على التمويل اللازم عن طريق السفارة، كما أننا كان يمكننا أن نخصص له من حسابنا بعض النقود للمصاريف الجارية، وأن نؤجر له سكنًا فى المدينة، وأن نفرشه بالأثاث...إلخ. أحسوا بذلك فى وزارة داخلية الاتحاد السوفييتى. حضر رئيس إدارة الأفراد بوزارة داخلية الاتحاد السوفييتى

"دروزدتسكى" قرب الخريف، وسألنى عن مدى نجاح الجنرال "فسيلوف" فى عمله، وهل يستحق الأمر استبداله أم لا. قلت له إنه لا توجد أية أسس لدىَّ من الجهات الشخصية أو السياسية أو من حيث الصفات المهنية لفسيلوف لكى أعرض موضوع استبداله، بالرغم من أن الأمر صعب عليه لأنه لأول مرة يعمل فى الخارج، ولكن بالرغم من ذلك فهو يعمل ويجتهد...إلخ. لم أحاول ولم أجتهد لكى أدخل فى دقائق عمل ممثلية وزارة داخلية الاتحاد السوفييتى، حيث كان يوجد بها خبراء جيدون فى شئون السجون والإطفاء والمرور وتنظيم الخدمات الطبية...إلخ. بالطبع كانوا على علم بهذه الأمور أحسن مِنِى.

لقد أشرت من قبل أن حفيظ الله أمين قد توجه لى بطلب تجهيز شبكة اتصال لاسلكى صغيرة لرئاسة البلد لستة- سبعة أفراد بحيث تكون متحركة على هيئة محطات لاسلكية متنقلة وسيارات. وقد استجبنا لهذه الرغبة ونفذناها. حضر اثنان من الخبراء المتميزين من إدارة الاتصالات الحكومية وأقاموا هوائيين آليَيْن فى جبال كابول، وطاروا بمروحية لاختبار مدى ونصف قطر عمل محطة اللاسلكى. وبذلك ورَّدنا للرئاسة الأفغانية محطات لاسلكي من طراز "أفرورا" وسيارات من نوع "ستول". وعلى ما أذكر كانت الإدارة التاسعة(٥) تستخدم هذا النظام للاتصالات. ولكن كان الخبراء متميزين لدرجة أننى أشرت فى أحد الأحاديث لمدى إمكانية أن يتم إنشاء نظام مماثل في السفارة، بحيث يمكن أن يتصل بمركز الاتصالات "ميكرون" ثم عن طريقه بموسكو. اتصلنا بموسكو وحصلنا على إخطار من رئيس إدارة الاتصالات الحكومية بأن تنفيذ هذه الفكرة غير ممكن. ولكن هذين الرفيقين، الخبيرين الشابين من رجالنا قالا لى: " فلنجرب ذلك يا ليونيد بافلوفيتش".

اتفقنا مع رئيس مركز الاتصال ميكرون، فأعطانا أجهزة وتركيبة هوائى من طراز "ستريلا". وتم تركيب هذا الهوائى فى السفارة ووجَّهناه بين الجبلين اللذين

---

(٥) الإدارة المسئولة عن حراسة المسئولين الكبار بالكى.جى.بى.

كانا يحدان الجزأين الشمالى والجنوبى لكابول (كان مركز الاتصال "ميكرون" موجودًا فى الجزء الشمالى أما السفارة فكانت تقع فى الجزء الجنوبى). وقد وصلت الإشارات. وقد قاما بتنفيذ هذا التكليف بامتياز وقاموا بتنفيذ هذه التركيبات بحيث إننا تمكنا من أن يكون عندنا أجهزة هاتف فى السفارة تتصل بمركز الاتصالات ميكرون ويقوم المركز آليًا بتوصيلنا بموسكو. ثم حصلنا على نوع من المعدات المحمولة على سيارات للاتصالات المشفرة. وفى النهاية حصلنا على هذا المخطَّط. كان عندنا عدة خبراء عملوا على النظام المحمول على سيارة (هى سيارة مشفَّرة)، وأصبحت البرقيات المشفرة تُرسَل إلى ميكرون، ثم ترسل من ميكرون إلى موسكو إلى هيئة أركان الحرب، ومن هناك إلى مركز الاتصالات الحكومي. تم تركيب أجهزة الهاتف عندى وعند ب.س.إيفانوف وعند السفير. وقبل ذلك كان قد تم عمل حماية للحجرات من أجهزة التنصت الخاصة. وقد منحنَا ذلك إمكانية أن نمتلك وسيلة اتصال ثنائية الاتجاه مع موسكو تتميز بالكفاءة وبالسرعة.

استمر تدهور الوضع السياسى الداخلى فى أفغانستان. وقد ظهر من أُطلِق عليهم اسم "المجاهدون". وقد قاموا بعمل كبير فى أوساط الجيش أيضًا. وقد قامت المظاهرات فى بعض فرق الجيش. وتمردت بعض أجزاء فرقة جلال أباد. كانت توجد لنا هناك مجموعة للعمليات الاستخباراتية، وكان يرأسها أحد العاملين الذين حضروا مع بوريس سيميونوفيتش إيفانوف. كان ضمن هذه المجموعة مستشار لشئون مكافحة التجسس العسكرية عند رئيس القسم الخاص بالفرقة، ومستشار لشئون الحدود هو المقدم "جوك". كما كان يوجد هناك أيضًا أحد مستشارى وزارة الداخلية يحتل وظيفة نائب رئيس الإدارة الإقليمية بوزارة داخلية جمهورية كازاخستان. بما أن ممثلية وزارة الداخلية على مستوى العمليات الاستخباراتية كانت تابعة لنا، فإنه هو أيضًا كان تابعًا على المستوى العملى لرئيس مجموعة "جلال أباد". وقد روى لى رئيس مجموعتنا العقيد "كوداشكين" من الإدارة العامة الأولى للكى.جى.بى. أنه خرج فى حوالى الساعة ١٩ من المبنى الذى توجد به

قيادة الفرقة لكى يعود إلى منزله (كان مقيمًا فى فندق). وكان يقف بالقرب من مدخل هذا المبنى عربات مدرعة، وكان مدفعه الرشاش موجهًا فى اتجاه مدخل مبنى أركان حرب الفرقة. وقد لاحظ كوداشكين وجود شخص ما بالقرب من العربات المدرعة بملابس عسكرية وعمامة، وأنه قد مر جانبه ثم ذهب إلى الفندق. وبمجرد وصوله إلى الفندق سمع صوت إطلاق نيران.

تبين أن قائد الفرقة خرج من المبنى فتم إطلاق النار عليه فورًا من عربات مدرعة. قُتل قائد الفرقة. كان ذلك عبارة عن إشارة، فقد بدأ إطلاق النار فى كل المدينة العسكرية، وكانت كل الفرقة متمركزة فى حصن محاط بجدران عالية. تدخلت سرية الطوارئ بعدد محدود من الدبابات. كما قال لى مستشارنا لشئون مكافحة التجسس العسكرى الذى كان موجودًا فى الطابق الثانى (كان يوجد أيضًا هناك مستشار آخر حضر عن طريق عسكريينا من وزارة الدفاع)، أصبح باب الخروج من المبنى مغلقًا، وقد اضطر هو والمستشار العسكرى أن يقفزا من الطابق الثانى من النافذة إلى الحديقة. وقد تم إطلاق النار عليهما. حدث كل ذلك فى الظلام. بدآ يخترقان الطرق فى اتجاه الجدران المحصنة المحيطة بالمدينة الصغيرة. كان يوجد سلم فى أحد الأماكن. تسلقا الجدار على هذا السلم، وقد كان من الجانب الخارجى أعلى مما كان عليه من الجانب الداخلى. ولكن لم يكن أمامهما إلا أن يقفزا من على الجدار. وقد أصيب مستشارنا فى قدمه. كان يريد الزحف ولكن فى تلك اللحظة داس أحدهم بحذائه على يده. نظر إليه فوجد أنه أفغانىٌ. تم تقييدهما هما الاثنين. كانت توجد حظيرة خيول قريبة من الحصن، فجروهما إليها وقيدوهما إلى أحد الأعمدة وقالوا لهما: "سوف نتصرف معكما فى الصباح". ثم انصرفوا. كان هؤلاء بعض المتمردين.

بقى رجلانا على هذا الوضع إلى الصباح. ولكن اقتربت دبابة فى الصباح وتم تحريرهما، ثم أُرسلا إلى كابول. أرسلنا مستشارنا على أول طائرة إلى موسكو لعلاجه. وقد عرفوا فى كابولٍ عن هذا التمرد فورًا. ولكن فى جلال أباد بقيت كتيبة

الدبابات وهى التى قامت بحماية المطار. طارت إلى هناك فرقة كبيرة من الفدائيين (كوماندوز) تحت قيادة رئيس أركان الحرب الذى كان فى ذلك الوقت "يعقوب" (تم نقله من وظيفة رئيس الحرس الشعبى). كما روى الشهود ذلك، فعندما حضر يعقوب بالطائرة، تم توجيه كتيبة الدبابات نحو الفرقة وتم القضاء على التمرد بسرعة. ثم بعد ذلك تم صف ١٢٠ فردًا من سرية الطوارئ، وأطلق عليهم يعقوب النار بنفسه. كان الضابط المساعد يناوله فقط الأمشطة المشحونة لرشاش الكلاشينكوف. كان قائد الفرقة المقتول صديقًا شخصيًا ليعقوب، فقد درسا معًا وربطتهما صداقة.

ولكن كان الأمر يتلخص فى أن وحدات جيش جمهورية أفغانستان الديموقراطية المشاركة فى المعارك مع العصابات الموجودة فى مناطق أفغانستان الحدودية، لم تكن كلها وفية تمامًا للنظام الجديد. فكانت توجد حالات كثيرة من الهروب من الخدمة. ولم يكن الأمر يقتصر على هروب أفراد فقط، ولكن كانت تهرب جماعات وسرايا وحتى كتائب. وأيضًا من بعض وحدات حرس الحدود التى نجحنا فى تشكيلها أثناء العمل.

وفى النهاية فإن حرس الحدود ونيشوموف جهزوا كل المستندات الخاصة بقوات حرس الحدود وزودوا مقترحاتهم وتصوراتهم بالمخططات اللازمة وبمذكرات توضيحية. وقرر نيشوموف أن يتم التنسيق بخصوص كل المواضيع مع رئاسة أفغانستان. وبالمناسبة، يمكن القول بأن بوريس سيميونوفيتش إيفانوف لم يكن يتواجد طوال الوقت فى أفغانستان، فقد كان كثيرًا ما يسافر إلى موسكو. وفى صيف ١٩٧٩ سافر إلى الاتحاد السوفييتى لمدة شهر ونصف أو شهرين، وسافر مع بريجنيف إلى النمسا. وفى ذلك الوقت كانت المستندات بخصوص قوات حرس الحدود جاهزة. وقال لى نيشوموف: هيا بنا نذهب إلى أمين لكى نعرض عليه المستندات ونتفق معه على كل النقاط.

أجبته: على الأرجح لا يجب علينا أن نفعل ذلك، بل الأفضل أن نقدمها، فلنقدمها إلى وزير الداخلية فيقوم هو نفسه بعرضها على رئاسة البلد.

ولكن أصر نيشوموف على أن نذهب معًا إلى أمين. ذهبت أنا ونيشوموف وكيريلوف. كان يجلس عند حفيظ الله أمين كلٌ من وزير الداخلية موزدوريار وتارون: كانت قوات حرس الحدود ما زالت فى ذلك الوقت تابعة للشرطة. وقد روى نيشوموف بنفسه عن أفكاره بخصوص تكوين حرس حدود البلد. كانت معه كراسة مكتوب فيها كل ذلك وكل المستندات الجاهزة. أعطى كل مستند إلى حفيظ الله أمين وهو يشرحه. أخذ حفيظ الله أمين مستندًا ونظر إليه بسرعة ثم وضعه جانبًا على منضدة صغيرة. وعندما انتهى نيشوموف من عرضه، قال حفيظ الله أمين: نعم أيها الرفيق نيشوموف. أشكرك على العمل الذى قمت به، ولكن توجد نقطتان. أولاً، نحن لا نعترف بخط "دوراند" كخط حدود لدولة أفغانستان، وقد فرض الاستعمار الإنجليزى علينا هذه الحدود ونحن لا نعترف بها منذ عام ١٩٤٧. وثانيًا، كيف يمكننا أن نحمى الحدود مثلاً فى الاتجاه الشرقى إذا كانت تدور هناك معارك حربية؟ يجب وجود نقاط على خط الحدود ووحدات، لا يمكن مساندتها عمليًا أبدًا. وثالثًا، نحتاج إلى أموال لتنفيذ ذلك.

أشار حفيظ الله أمين إلىَّ وقال: قد تكون هناك نقود عند الرفيق بجدانوف. فأجبته: أنا لست من أصحاب البنوك، فلا توجد عندى أية نقود.

وانتهى الحديث على ذلك. فعليًا كان كل ذلك هدرًا. وقد أصيب نيشوموف بإحباط. وعند جلوسنا فى السيارة قال: لماذا حضرت أنا إلى هنا، لم أكن أحتاج إلى ذلك...إلخ. ولكنى قلت مرة أخرى إنه كان يجب إرسال كل هذه المستندات إلى الوزير، وعليهم هم أن يقرروا ما الذى يجب عمله. أمرنا هو أن نقترح، أما أمرهم فهو أن يقرروا ما يستطيعونه وما لا يستطيعونه، يريدون أم لا يريدون. ونحن لا نستطيع أن نقرر بدلاً منهم. هكذا كان الوضع بخصوص قوات حرس الحدود فى ذلك الوقت. لقد سبق أن ذكرت أن بعد ذلك بقليل نُقلت قوات حرس الحدود إلى

وزارة الدفاع، وأنه ستقام بها إدارة، وبالطبع سوف يكون النظام أحسن كثيرًا بالرغم من أنه لن يتم حسم كل المشاكل، ولن يصبح الهرب من الخدمة فى قوات حرس الحدود أقل مما يحدث فى القوات الأخرى أو وحدات الجيش الأفغانى الأخرى.

يجب أن أقول إنه على مدى كل إقامتى فى جمهورية أفغانستان الديموقراطية فقدت الممثلية شخصًا واحدًا فقط. كان ذلك هو العقيد "جوك" مستشار شئون حرس الحدود. كان من الممنوع المشاركة فى أية عمليات عملية من القبض على أشخاص والتحقيق والمراقبة الخارجية...إلخ وكذلك المشاركة فى العمليات الحربية للأفغان. ولكن قد تكون هذه الأوامر لم تصل إلى علم "جوك" أو أنه تجاهلها. وقد ذكر لى فى يوم ما كوداشكين، الذى حضر إلى كابول، أن جوك يندفع طوال الوقت للدخول فى المعارك وأنه يجلس فى المروحية عند قيام الأفغان بتنفيذ عمليات فى الظروف الجبلية....إلخ. استدعيت كيريلوف كبير المستشارين لقوات حرس الحدود وقلت له: فالوديا، يجب إنذار جوك بشدة، فهو إنسان محارب، شجاع، ولكن يجب وقف هذا الأمر.

ولكن لم يكن هناك اتصال مباشر بجلال أباد، كان يمكن فقط استخدام الاتصال بين المدن، الإبلاغ-عن سفر أو وصول أى من الموظفين. لذلك لم ننجح فى تحذير جوك بسرعة. وبعد يوم بالتحديد وصلَنا خبر يفيد بأن جوك ركب مروحية مع الأفغان. وعند ارتفاع المروحية عن الأرض تم إطلاق النار عليها من الجبال فاحترقت وسقطت، ومات جوك. كانت هذه هى الخسارة الوحيدة من بين العاملين فى الممثلية طوال فترة عملى بما فيها أحداث عام ١٩٧٩.

فى مارس وأبريل ومايو ١٩٧٩ تدهور الوضع فى أفغانستان. وامتدت الحرب الأهلية إلى المحافظات المختلفة. واستقر أعداء النظام الجديد فى أفغانستان، وهم أكثر تنظيمات المسلمين أصولية تحت رئاسة أمثال "حكمتيار" و"ربانى" وآخرين. وقد بدأت مخابرات باكستان فى التعاون بنشاط مع هذه التنظيمات،

وبدأت فى تجهيز مجموعات وفرق مقاتلة على أرضها، وإرسالهم إلى أراضى أفغانستان. وكثيرًا ما كانت عمليات معظم الجماعات فى أفغانستان ذات سمة تنظيمية. كنا نعرف من قبل: أنه إذا بدأت الاضطرابات فى هرات، فعلينا أن نتوقع اضطرابات مماثلة فى قندهار وكابول وجلال أباد وبصفة أندر فى مزارشريف. كان هناك إحساس بأنه يوجد اتصال سرى منظم بين عدد كبير من المنظمات وفرق المتمردين الذين كانوا يمتلكون معدات فنية جيدة للاتصال وتسليح ليس سيئًا أبدًا. كان الموقف يتأزم أحيانًا حتى أنه فى كثير من الحالات كنا نضطر إلى إخراج خبرائنا إلى أرض الاتحاد السوفييتى، خاصة هؤلاء الذين كانوا فى المحافظات الشمالية.

أتذكر أننا حين حصلنا على معلومات عن هجمات متوقعة على مجموعات السوفييت الموجودين فى منطقة شيبرجان ومزارشريف، قمنا عن طريق موسكو، وكذلك عبر الحدود، بالاتفاق مع قادة أوزبكستان وطادجكستان لكى يستقبلوا حتى ١,٥ ألف شخص، الذين توجهوا على الصنادل عبر أموداريو فى منطقة ترميز. وكانوا يبقون هناك عدة أيام إلى أن يتم استقرار الوضع ويتم احتواء العصابات. تكررت المظاهرات فى كابول نفسها. وعامة كان ذلك يتم فى أيام الجمع. كانت المحلات عادة تقفل أبوابها مبكرًا فى أيام الخميس، وتبدأ المظاهرات. وكانت أجهزة الأمن تحصل على معلومات عما إذا كانت المحلات سوف تغلق أبوابها مبكرًا فى أيام الجمع وتبدأ الخطب والأعمال الاستفزازية مباشرة فى كابول أم لا. كان من المثير أن المتمردين استخدموا أيضًا الوسائل السيكولوجية للضغط علينا. أتذكر أنه كانت تُستخدم الوسيلة التالية: كانت توضع على أسطح المنازل المحيطة بالسفارة (كانت محاطة بسور تقع خارجه منازل أهالى المنطقة) أجهزة التسجيل، وكان صوتها يُرفع لأقصى درجة ثم يتم تشغيل شريط تم عليه مسبقًا تسجيل صرخات وزعيق أشخاص مجتمعين فى مجموعات كبيرة فى هذه المنطقة. وكان يتم ذلك فى وقت الظلام. كان يتنامى إحساس بأن كل مدينة السفارة محاطة بكتل

بشرية، وأثناء ذلك كان أيضًا يتم إطلاق النار ولكن فى الهواء. من ناحية المبدأ كان إطلاق النار فى كابول عملاً يوميًا وفى كل ليلة.

أعلن قادة جمهورية أفغانستان الديموقراطية حالة الطوارئ. كانت تبدأ أحيانًا فى الساعة السابعة مساءً، وأحيانًا فى العاشرة مساءً، وأحيانًا فى الحادية عشرة مساءً، تبعًا للوضع. ولكن لم يقِلّ تهديد الهيئات السوفييتية والخبراء السوفييت. لذلك وبناء على مبادرة من ب.س.إيفانوف الذى كان يعرف جيدًا إمكانيات موسكو تم إرسال أول مجموعة من فرقنا الخاصة "زينيت" إلى كابول. ونظرًا لصعوبة الوضع تم اختصار أسبوعين من السنة الدراسية بمدرسة السفارة السوفييتية. بدأت النساء فى السفر أولاً مع الأطفال. كما أن الكثير من العاملين الذين لم تكن هناك حاجة لهم فى هذا الوقت سافروا فى إجازة. وبذلك فرغت المدرسة، وأسكنّا بها مجموعة "زينيت". كانت مجموعة خاصة من الإدارة الأولى للمخابرات. كانت مكونة من مجموعة من الضباط الذين قضوا فترة تدريبية خاصة فى "بالاشيخا"(٦) وتم تجميعهم من كل أنحاء الاتحاد السوفييتى، من مختلف الأجهزة التى كانوا يعملون بها فى وظائف رسمية. حضروا بأسلحتهم. كان يرأس هذه المجموعة العقيد "بايارينوف"، نفس "بايارينوف" الذى سوف يُقتل فى يوم ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩ أثناء اقتحام قصر أمين. وكنت أعرف بايارينوف من قبل. كنت قد درست فى بداية الخمسينيات فى المعهد الحربى بوزارة الداخلية الذى كان يمثل أكاديمية. وقد درس بايارينوف فى نفس المعهد. لقد درس فى المعهد قبلى بسنة وكان يقوم بتدريس مادة التكتيك فيه. كان النقيب "جلوتوف" نائب القائد للشئون السياسية. كان لقاؤنا حارًّا وذهبنا إلى الكانتين، كان عندهم سمك الرنجة المملح (سليودكا)، وسالا (دهن خنزير) وشربنا كأسين بمناسبة وصولهم. وبالإضافة إلى ذلك حضر ٦-٧ ضباط من المجموعة "A"(٧). وكانت هذه المجموعة لا تتبع الإدارة الأولى ولكنها كانت

---

(٦) مدينة صغيرة قريبة من موسكو.

(٧) مجموعة من القوات الخاصة، سميت فيما بعد: "ألفا".

تابعة للإدارة السابعة للكى.جى.بى. والتى كانت مسئولة عن المراقبة الخارجية. ولكن كان واجب المجموعة "A" قد أصبح هو مكافحة الإرهاب. لم يحضر هؤلاء الضباط إلى كابول فى مهمة سياسية ولكن بهدف ضمان حماية السفارة والهيئات الأخرى الموجودة على هذه الأرض: الممثلية التجارية، وجهاز المستشار الاقتصادى.. ونظرًا لأن الموقف تعقَّد فإن مهمتهم الثانية كانت ضمان أمن الهيئات والمواطنين السوفييت عند ضرورة ترحيلهم من أراضى أفغانستان إلى الاتحاد السوفييتى. لم يقوموا بأىٍّ من أعمال المخابرات، كما أنهم لم يذهبوا إلى المدينة فى هذه الفترة. وفى الحقيقة أحيانًا كانت رئاسة الممثلية تأخذ معها اثنين أو ثلاثة أفراد لتوفير الأمن الشخصى لها. كان يخرج معى اثنان من ضباط "ألفا"، عندما كان من الضرورى القيام بعملٍ ما فى المدينة. ولكن عامةً لم يكلَّفوا بأية مهام فى المدينة أو بمهام سياسية. تمت إعادة دراسة خطة الدفاع عن السفارة وقد شاركوا بنشاط بصفة خاصة فى هذه المهمة.

فى أحد الأيام الأخيرة من شهر أبريل حضر كبير المستشارين العسكريين جوريلوف، وذهب إلى السفير. وكالعادة دعانا السفير نحن أيضًا. قال جوريلوف إن رئيس هيئة أركان الحرب مارشال الاتحاد السوفييتى "ن.ف.أجاركوف" قد اتصل به هاتفيًّا وأفاد بأنه توجد فى موسكو فكرة تقديم عدد ما من المستشارين العسكريين، وكذلك من موظفى السفارة للحصول على أوسمة حكومية، وطلب كذلك إرسال اقتراح عن طريق المستشار العسكرى وكذلك عن طريق السفارة. ونظرًا لأن ممثلية الكى.جى.بى. ومجموعة الاستخبارات المقيمة كانت تحت مظلة السفارة، فكان يجب أن نكون فى قائمة وزارة خارجية الاتحاد السوفييتى. جلسنا فى المساء: إيفانوف بوريس سيميونوفيتش، وأنا، ونائبى الأول تشوتشوكين. جلسنا نحن الأربعة، وبدأ رئيس مجموعة الاستخبارات المقيمة إيفانوف فى وضع القائمة. بدأ بأن قال: "هيا نقلِّد بجدانوف وسام العلم الأحمر، وتشوتشوكين بوسام العلم الأحمر، ورئيس ممثلية العمل الاستخباراتى بوسام العلم الأحمر للعمل".

انزعج رئيس ممثلية العمل الاستخباراتى وقال: "هكذا، أنا أعمل!...إلخ". عندئذ قال ب.س.إيفانوف: "إذن، فلنفعل كما يلى- لرئيس مجموعة الاستخبارات المقيمة وسام العلم الأحمر، ووسام العلم الأحمر للعمل لتشوتشوكين". وبعد ذلك تمت إضافة عدة أشخاص إلى القائمة مع اقتراح بأن يتم منحهم وسام النجمة الحمراء، وميداليات. وقُدمت هذه القائمة للسفير. أضاف مقترحاتنا إلى قائمته وتم إرسالها إلى موسكو. وبالمناسبة سافرت فى هذه الفترة إلى موسكو فى مهمة قصيرة. وعندما كنت فى وزارة الخارجية قابلت فى الردهة أحد معارفى وهو "نيكولاى بيرتسيف" الذى كنت أعرفه عندما كنت فى إيران. كان يعمل هناك أثناء عهدى بها قنصلاً بأصفهان، أما هنا فكان رئيس قسم إدارة الأفراد، أرانى بيرتسيف فى الردهة مستندًا وقّعه جروميكو، وكان جاهزًا لإرساله إلى قسم الكوادر فى الخارج باللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى لتقليد الأفراد الأوسمة وذلك لكى يتم اعتماده. ولكن عرفنا بعد ذلك أن رئيس قسم الكوادر فى الخارج باللجنة المركزية للحزب الشيوعى "بيجوف" لم يؤشر على هذا المستند قائلاً إن الموقف ليس واضحًا بعد، وإنه يجب النظر فيه...إلخ. ولكن تبين أنه تم تقليد العسكريين أوسمة حيث إن القائمة أُرسلت عن طريق قناة أخرى، وإننا قد بقينا بدون أى شىء. وقد قال لى فيما بعد سيميونوفيتش إيفانوف إن السفير قد أضاف إلى قائمة السفارة كُلاً من إيفانوف ونيشوموف. قال إيفانوف إنه إذا لم يكن السفير قد ضمه إلى القائمة كان يمكنه بالطبع أن يحصل على التقليد بالأوسمة عن طريق أندروبوف، وكان سوف يؤخذ الزملاء فى الاعتبار. ولأن إيفانوف كان فى القائمة، لم يكن من المناسب له القيام بذلك. وبذلك، مرة أخرى، لم تعثر الأوسمة على أبطالها.

وبذلك، فى الأيام الأولى من شهر مايو، ذهبت مع المترجم إلى أسد الله سارفارى قبل سفرى إلى موسكو فى مهمة قصيرة. ناقشنا بعض المسائل اليومية ثم بدأت أسأله عن المواضيع التى يجب عرضها فى موسكو أثناء وجودى هناك. فى

لحظة ما خرج المترجم من الحجرة، فرأيت سارفارى ينهض من مقعده ويدور حول المكتب ويقترب منى. وقفت أنا أيضًا. اقترب منى تمامًا وأعلن فجأة بصوت خافت بحيث لا يسمعه أحد آخر إن أمينًا إنسان خبيث جدًا وقاسٍ وغادر وخطر. وأنه محب لنفسه، كما أنه على استعداد للقيام بأى عمل غادر إذا كان ذلك يمثل مصلحة شخصية له. واستمر على هذا المنوال. كان ذلك بالنسبة لى مثل الرعد فى سماء صافية. كنت أعرف تمامًا أن حفيظ الله أمين هو الذى جذب أسد الله سارفارى إلى التنظيم السرى للضباط "خلق". كما أن أسد الله سارفارى قد انضم إلى الحزب بناءً على توصية من حفيظ الله أمين ومساندته. وبالإضافة إلى ذلك تم تعيينه أيضًا رئيسًا لأول جهاز للأمن بمساعدة حفيظ الله أمين الكاملة. وحتى تلك اللحظة التى كنا نتحدث فيها كان تحت رئاسة حفيظ الله أمين. كان ذلك مفاجئًا لى لدرجة أننى لم أتمكن من أن أتابع الحديث. كان أول هاجس جاء إلى فكرى هو أن حفيظ الله أمين يختبرنى، وأنه يريد معرفة كيف سيكون رد فعلى إذا تمَّ التشهير بحفيظ الله أمين أو الحديث عنه سلبيًا. ولكن المترجم دخل إلى الحجرة فى تلك اللحظة. ابتعدت أنا وأسد الله سارفارى عن بعضنا البعض وذهب كل منا إلى مقعده وواصلنا الحديث فى مواضيع أخرى. ولكن بالطبع لم تسمح لى هذه الأفكار بالراحة. بدا لى أنه إذا كان ذلك اختبارًا، فإنه قد تم وصف حفيظ الله أمين بحدة زائدة بصفات سلبية، وأن عمل ذلك يمثل خطرًا حيث إن الناس يمكن أن يصدقوا كل ما يقوله. ومن ناحية أخرى كان يبدو لى أن أسد الله سارفارى لا يمكن أن ينتقد حفيظ الله أمين بهذه الصورة الحادة بمبادرة خاصة منه. أيمكن أن يقف تاراكى خلف ذلك؟ كان لا يمكن استبعاد هذا الاحتمال أيضًا. ولكنى لم أكن أعرف كل الحقيقة. كانت صعوبة الموقف تتلخص أيضًا فى أننى كنت أعتقد أنه إذا عدت مرة أخرى الآن إلى هذا الموضوع وبدأت التأكد وإظهار الاهتمام، فإن أسد الله سارفارى سوف يعتقد بذلك أننى أؤيد ما قاله عن حفيظ الله أمين. ولكن كان الأمر هو أنه عندما لا تعرف من يقف خلف ذلك، فمن الخطر جدًا التصرف حيث إنى ممثل رسمى. وكان من الواضح جدًا أن سارفارى يعتمد على أننى يجب، كما

يبدو، أن أخطر أحدًا ما بهذا الموضوع. عندما انتهى الحديث قلت للمترجم: هيا اذهب إلى السيارة. سأحضر الآن.

انصرف المترجم فاقتربت وأنا أفكر من سارفارى وقلت له: ها أنت قلت شيئًا ما، لم أفهم فورًا عما يدور الحديث. ولكن حسب ما فهمت فقد ظهرت عندكم بعض الخلافات فى دوائر رئاسة البلد. هذا خطر، لأن هذا يمكن أن يؤدى إلى الانشقاق.

وبعد ذلك لم أقم بتأكيد أى شيء حتى لا أنجرّ وأنا غير مدرك للأحداث التى تدور خلف الكواليس. وقد ودعنا بعضنا عند ذلك. فى الطريق إلى السفارة حاولت مرة أخرى تحليل ما قاله أسد الله سارفارى ولكنى لم أتوصل إلى استنتاج أكيد عمن يقف خلف ذلك وعما يعنيه كل ذلك. عند وصولى إلى السفارة كان إيفانوف فى مكتبه. ذهبت إليه وحكيت له بالتفصيل ما حدث. أوصانى فورًا بأن أذهب إلى مكتبى وأن أقفله بالمفتاح وألا أسمح لأحد بالدخول إلىَّ وأن أكتب برقية عن حديثى لموسكو. قمت بذلك. عرضت أساس الحديث وفى نفس الوقت كتبت أنه ليس من الممكن أبدًا استبعاد أن أسد الله سارفارى فعل ذلك بناءً على اتفاق مع تاراكى. أرسلت هذه البرقية حتى تعرف الرئاسة عن الوضع القائم وأن تتمكن من التفكير فيما يمكن أن نفعله مستقبلاً، وكيف نتصرف. كانت هذه أول معلومة وأول إشارة عن وجود خلافات جادة ظهرت فى رئاسة البلد، وأنه يوجد انشقاق. وكما اقتنعنا فيما بعد، سوف تتزايد هذه الخلافات، وسوف يزيد الانشقاق. وسوف يؤدى كل ذلك إلى أحداث تراجيدية سوف تبدأ فى سبتمبر عام ١٩٧٩.

بقيت فى موسكو عدة أيام، وأنهيت كل المواضيع الجارية ثم عدت إلى كابول. كان سارفارى فى ذلك الوقت موجودًا فى المستشفى. اتضح أنه قد سقط وأصيب بكسر فى منطقة العصعوص. ذهبت لزيارته. كان يرقد فى حجرة منفصلة بالمستشفى العسكرى الذى كانت به مجموعة كبيرة من أطبائنا. كان يوجد حرس واقف على باب غرفة الاستقبال الملحقة بغرفته. عند رؤيتى ابتسم وقال: كما ترى،

لا يجب أن تسافر من كابول. فى المرة السابقة سافرت، فتم قتل السفير دابس. وفى هذه المرة سافرت فكما ترى سقطت وكُسرت. من الأحسن أن تبقى هنا فى كابول، وألا تترك مكان عملك.

تبادلنا حديثًا قصيرًا وخرجنا إلى صالون الاستقبال (كان يستطيع أن يمشى) ولم أدخل فى أية تفاصيل، حيث إن سارفارى عاد إلى عمله بعد عدة أيام. وفى ذلك الوقت ظهر خبر فى الصحافة عن تعيين حفيظ الله أمين رئيسًا للوزراء. قال أسد الله سارفارى، معلّقًا على هذا الخبر، بأن تاراكى إنسان ذكى. فطبقًا لتقييمه، يكون تاراكى بتعيينه حفيظ الله أمين رئيسًا للوزراء قد أخذ منه منصب وزير الدفاع الذى كان يشغله، وأخرج جهاز الأمن من تحت إشرافه. اعتقد أسد الله أن هذه خطوة ذكية جدًا. وأصبح الآن أسد الله متصلاً مباشرة بتاراكى.

اقترب شهر يونية، وساء الوضع فى البلد. لم تعد بعض المحافظات تحت ضغط تشكيلات المتمردين ولكن أصبحت فعليًا تحت سيطرتهم. حقيقةً أذكر أن حفيظ الله أمين قال لى، عندما كنا نتقابل أنا وهو كثيرًا، إن الجزء الأوسط من أفغانستان لم يكن أبدًا قويًا، وإنه دائمًا ما كانت هناك محاولات فى المحافظات ليس لكى تكون لهم سياستهم الخاصة ولكن لكى تعيش منفصلة تمامًا عن السلطة المركزية. كان المهم هو أن السلطة المركزية كانت تجمع الضرائب أو الإتاوات من هذه المحافظات عن طريق المحافظين وأجهزتهم، أما الباقى فكان لا يهمهم. قلت ذات مرة لحفيظ الله أمين، آخذًا ذلك فى الاعتبار، بأنه يمكن ألا يكون الآن من الضرورى أن يحاولوا وضع كل البلد تحت سيطرتهم التامة، ولكن يمكن عمل نقط ارتكاز أو مناطق بها مراكز كبيرة وجعلها حصنًا للنظام الجديد باستخدام القوى والإمكانيات الموجودة أما فى بعض أماكن الصحراء والقرى فيمكن أن يتجول بها المعارضون طالما لا توجد إمكانية لتقوية سلطة كابول فى كل المحافظات والقرى. وبعد ذلك أذكر أننى قلت فى يوم ما لحفيظ الله أمين فى خلال إحدى المناقشات: أيها الرفيق أمين، انظر ماذا يحدث. لماذا تحتاجون لعدد ٦٨٥ دبابة، لماذا

ليست٦٨٠؟ لم تحصل القبائل بعد على أى شيء من السلطة الجديدة. يمكن أن تأخذوا بدلاً منها دبابتين أو ثلاثة آلاف زوج من الكالوش[٨] وكيروسين وسكر وعيدان ثقاب وأعطوها لرؤساء القبائل كشيء ما من قِبَل السلطة.

تحدثت أيضًا مع أسد الله سارفارى فى هذا الموضوع. كانت وحدة مكافحة التجسس قد بدأت تعمل مع القبائل. فى الشرق تحل النقود الكثير. ناقشنا كيف يمكن أن نشترى أحدًا من زعماء القبائل.. ولكنه قال لى: "الشرق هو الشرق. لقد منحت ١٠ آلاف أفغانى لرئيس إحدى القبائل، وبدا أنه انضم إلى جانبنا. ثم وجدنا أنه يقوم بعمل ضد النظام الحالى. لماذا؟ لأن الباكستانيين منحوه ٣٠ ألف أفغانى...إلخ". كانت توجد هذه المشكلة. ولكن كانت موسكو فى حالة قلق من أن التوتر يتزايد فى البلد وأن قادة جمهورية أفغانستان الديموقراطية لا يستطيعون أن يسيطروا على الموقف. أنا لا أتناول الآن مشكلة إدخال جيوشنا أو طلب تاراكى وأمين لتدخل قواتنا المسلحة. لم أكن أعمل فى هذا الموضوع وكما قلت من قبل لم يتوجه أحد منهم إلىَّ بهذا الطلب. تم ذلك من خلال السفير، ومن خلال المستشار العسكرى جوريلوف. ولكن كان المركز قلقًا لدرجة أنه فى يوم ما من شهر يونية ١٩٧٩ طار إلى كابول نائب رئيس إدارة المخابرات السرية، الذى كان صديقًا قديمًا وحميمًا لى. طار إلى هناك أساسًا بخصوص ممثلية عمل الاستخبارات، ثم قال لى بعد ذلك: هيا بنا نذهب أنا وأنت إلى مركز الاتصالات "ميكرون"، الموجود فى أرض النادى الرياضى الملكى سابقًا.

اتصلت برئيس "ميكرون" وبموظفنا من مكافحة التجسس العسكرى الرائد موزيكا. اتفقنا على أننا سنحضر. وصلنا إلى هناك وسرنا فى الموقع. وقال لى هذا الذى يمثل المركز: اسمع، قل لموزيكا أن يرسم لنا خريطة أرض هذا النادى الرياضى السابق.

---

(٨) أحذية مطاطية تُلبس على الأحذية العادية عند سقوط الأمطار.

قلت له: ولكن لماذا تحتاج لذلك؟

أجاب: يمكن أن أقول لك إن هناك تكليفًا من رئاستنا بأن أفحص هذه المنطقة وأن أحضر رسمًا لها إلى موسكو، لأنهم هناك يرون أنها أحد الاختيارات الممكنة أو اللازمة لإخراجك أنت وحتى تاراكى من البلد. هنا يجب أن نرى أين يمكن أن تهبط مروحية لهذا الغرض.

أرجع ذلك إلى أن الموقف استمر فى التوتر. وقد تم استدعاء إيفانوف وجوريلوف إلى موسكو ثلاث مرات للاجتماع بلجنة المكتب السياسى للحزب الشيوعى بخصوص أفغانستان. وفى ذلك الوقت فى منتصف شهر يولية اجتمعت اللجنة مرة أخرى نظرًا لتعقد الموقف ونوقش موضوع ما يجب عمله بعد ذلك. تم اتخاذ قرار بإرسال رئيس القسم الدولى وسكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى والمرشح لعضوية المكتب السياسى "بونوماريوف بوريس نيكولايفيتش" مرة أخرى إلى كابول. طار بونوماريوف مرة أخرى إلى كابول فى يوم ٢٠ يولية. ومرة أخرى ذهب بونوماريوف وحده إلى تاراكى وحفيظ الله أمين ليتحدث معهما. بقى فى كابول يومين واستعد للسفر.

وقد سُمح لى أخيرًا فى ذلك الوقت بالسفر إلى موسكو فى إجازة. قررت أن أستغل وجود بونوماريوف، وقلت لعقيد من حرسه: اسمع، تحدث مع بوريس نيكولايفيتش. خذونى معكم فى الطائرة، فسوف أسافر فى إجازة.

ثم بعد الحديث الختامى مع تاراكى وأمين، دعا بونوماريوف لاجتماع فى السفارة. ومرة أخرى عرض موضوع: ماذا نفعل؟ علق جوريلوف مخططه العسكرى وبدأ يتحدث عن القوات المسلحة مستخدمًا عصا إشارة، وكان يبدو أنه عرض ذلك من قبل فى اجتماع لجنة المكتب السياسى الذى حضره بونوماريوف. كنت حتى ذلك الوقت قد اقتنعت تمامًا بأنه لا يمكن حل مشكلة جمهورية أفغانستان الديموقراطية عن طريق الحرب وأن مفتاح حل مشكلة أفغانستان يكمن فى

باكستان. ولكن كان المستشارون العسكريون بالتفاعل مع أمين ما زالوا مستمرين في تنفيذ عمليات حربية مع الأفغان أساسًا للقضاء على المتمردين. ما أقلقنا هو أنهم حاولوا تحييد القبائل بطريقة عسكرية بحتة. وبأمر من أمين شارك مستشارونا العسكريون فى عمليات بدأ فيها حرق قبائل بأكملها بالنابالم وتوجيه الضربات للمناطق الجبلية ومناطق الغابات بدلاً من أن يجذبوا القبائل إلى جانبهم. كل ذلك تسبب فى خلق ظروف مناسبة لتوسيع انتشار الروح المعارضة للحكومة والمظاهرات المعارضة لها.

وبالإضافة إلى ذلك، وفى الوقت الذى كانت تتزايد فيه حركة العصيان فى كل البلد، كان مستشارونا العسكريون يواصلون العمل فى نفس اتجاه سياسة أمين المتعلقة بإمكانية توسيع أفغانستان، و"وصوله إلى البحار الدافئة". ما زلت أتذكر الآن أنه بينما كانت الحرب الأهلية قائمة كان الجيش الأفغانى يتدرب طبقًا للخطط التى تم الاتفاق عليها مع مستشارينا على: "دخول واختراق لواءات الدبابات أثناء الهجوم على دفاع محصّن للعدو بدون استخدام الأسلحة النووية". هذا الموضوع يفترض بوضوح اختراق خطوط دفاع الجيش الباكستانى وتنظيم الهجوم على أرض باكستان. أقدم ذلك كمثال يبين أن قيادة أفغانستان وعسكريينا لم يكونوا فقط يميلون لحل المشكلة الأفغانية الباكستانية عن طريق الحرب بل إنهم كانوا يعملون على حلها فقط بهذه الوسيلة. يجب أن أقول إنهم قاموا بأعمال أخرى أساءت تمامًا للوضع فى البلد. أقدم على سبيل المثال "السياسة القومية". توجد فى أفغانستان محافظة اسمها "باميان" يقطنها "الخازاريون" القادمون من منغوليا وكانت ديانتهم هى البوذية قبل ذلك. بمجرد أن تحركوا قليلاً، ماذا فعل حفيظ الله أمين؟ اتفق مع بعض زعماء قبائل "البشتون" الذين كان يعرفهم، وأعطاهم مالاً ووسائل نقل وقال لهم: اذهبوا إلى باميان. وانزلوا من الجبال إلى الوادى حيث يعيش الخازاريون، واضبطوا النظام هناك: أى أن كل ما سوف تأخذونه سيكون لكم. استولوا على السلاح، وسوف نشتريه منكم. أما الممتلكات والنساء فهى سوف تكون لكم.

تم تنفيذ هذا العمل، وبالطبع لم يكن من الممكن أن يؤيد الخازاريون النظام الحالى. عندما عرفت أنا ونيشوموف عن ذلك لم تصبنا الدهشة بالقدر الذى أغضبنا من السياسة التى كان يتبعها أمين.

يجب أن أشير أيضًا إلى أنه عند تعيين حفيظ الله أمين رئيسًا للوزراء، وخرج الجيش من تحت سيطرته، اتبع سياسة من خلال السفير وكبير المستشارين العسكريين لكى يعيدوا إليه وزارة الدفاع. بعد ذلك أدركنا بالطبع أنه نظرًا للخلافات التى تحدثت عنها، فإن أمين كان يريد أن يأخذ الجيش وجهاز الأمن تحت سيطرته لتقوية موقفه، واستخدام هذه الهيئات من أجل مصالحه.

وبهذا انتهى الاجتماع مع بونوماريوف. لم تُتخذ بصفة خاصة أية قرارات به، ولكنى عرضت الآراء. لم أتناول - فى كلمتى- المواضيع العسكرية ولكنى عرضت فقط رأيى عن بعض سمات السياسة الداخلية. وبعد الاجتماع، اقتربت من بونوماريوف وقلت له: بوريس نيكولايفيتش، هل ستأخذنى معك إلى موسكو؟

أجابنى: نعم نعم، لا توجد هنا مشكلة يا ليونيد بافلوفيتش. هيا نطير معًا. ولكن عندى اقتراح، فأنا لم أذهب أبدًا إلى مدينة "بخارى". هيا نطير إلى بخارى.

قلت إننى سأسافر فى إجازة، لذلك سيكون من الممتع لى أن أطير إلى هناك. ولكن عند اتصالنا ببخارى تبين أن المطار المحلى ليس مجَهزًا لاستقبال طائرة من الصف الحكومى. عندئذ قرر بونوماريوف أن نتوقف فى سمرقند. اتصلنا بالإدارة التاسعة بسمرقند. وطرنا من كابول فى يوم ٢٢ يوليو. كان ضمن مجموعة بونوماريوف، رئيس قطاع بالقسم الدولى للَجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى، كلٌ من "سيموننكو" والمقرر "بولياكوف" ورئيس قسم الشرق الأوسط بوزارة الخارجية ومساعد بونوماريوف. وبالإضافة إلى ذلك صاحَبَ بونوماريوف طبيبه الخاص وممثل من الإدارة التاسعة. وطارت هذه المجموعة من كابول إلى

سمرقند. استقبلنا هناك كل قادة أوزبكستان. كان هناك رشيدوف[٩] ورئيس مجلس الوزراء ورئيس المجلس الأعلى للجمهورية ورئيس الكي.جي.بي. ووزير الداخلية، وعامة كل الرئاسة. وأنا وجدت نفسي في هذه المجموعة. خرجنا من الطائرة ألبسونا كرفتات حمراء[١٠]، ثم أخذونا في جولة بسمرقند لمدة ساعتين - ثلاث شاهدنا فيها المزارات التاريخية. أحضروا شباب الطلائع إلى الميدان المركزي "رجيستان". قال لهم بونوماريوف بضع كلمات. كما زرنا قبر "تيمور لنك". وقد ألقى هناك بونوماريوف جملة: ليونيد بافلوفيتش، هل أنت غاضب منى لأني أخذتك إلى مسافة بعيدة هكذا؟

قلت له: لا، فإني لم أكن سأحضر إلى هنا أبدًا.

ثم اقترب مني رجل، تبين أنه رئيس إدارة الكي.جي.بي. في الإقليم وسألني: "هل أنت الرفيق بجدانوف؟". قلت: "أنا هو" قال: "لقد اتصلوا بي من كابول (يبدو أنه أحد مرءوسيّ)، وقد شحنًا لك في السيارة كمية من الشمام". قلت: "شكرًا جزيلاً. سوف نوزعها على الأصدقاء والمعارف".

ثم ذهبنا إلى داتشا الحزب الشيوعي بالإقليم بإحدى ضواحي سمرقند، وهي عبارة عن منزل كبير ذي طابقين وله حديقة كبيرة جدًا وملحقات. تناولنا الغذاء هناك. في أثناء الغذاء حكى بونوماريوف باختصار عن الوضع في أفغانستان. ثم توجه إلى رشيدوف بقوله: "نحن (كان يقصد اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي) على الأرجح، سوف نكلفكم بأعمال إضافية بخصوص أفغانستان.

كان بونوماريوف يشرب الشمبانيا فقط. ولكني كنت في إجازة فصبوا لي كونياك، ثم أكلنا شاشليك[١١]، كان الغذاء غنيًا على الطريقة الشرقية. كان يجب أن

---

(٩) السكرتير الأول بالحزب الشيوعي بجمهورية أوزبكستان السوفييتية.
(١٠) كان يلبسها شباب الطلائع.
(١١) لحم مشوي على الفحم.

نطير مغادرين فى الساعة الثالثة، ولكن رشيدوف أقنع بونوماريوف بالراحة بعد الغذاء: لم يكن هناك داعٍ للعجلة، فلتستريحوا ساعتين وتطيروا فى الساعة ١٧:٠٠. اتصلت ببيتى حيث كان يوجد هناك اتصال. قلت لهم إننا سنتأخر ساعتين. أخذونى إلى حجرة فى الطابق الثانى، فاستلقيت. ثم سمعت أحدًا يوقظنى: ليونيد بافلوفيتش، الجميع يجلسون فى السيارة، سوف نذهب إلى المطار.

وصلنا إلى المطار. وانطلقت الطائرة. جلس بونوماريوف فى الصالون الأول، بينما جلس كل الباقين فى الصالون الثانى. ذهب ممثل الإدارة التاسعة والطبيب إلى بونوماريوف. بعد ١٠-١٥ دقيقة سألت الطبيب: كيف حال بوريس نيكولايفيتش؟

قال: أصابه التعب، فإن الجو حار فى سمرقند، وقد أوجعته رأسه. أعطيته الآن منوِّمًا، وهو قد رقد وسوف ينام إلى أن نصل موسكو (تستغرق الرحلة أربع ساعات). أما نحن فقد تجمعنا: أنا وسيموننكو وبولياكوف واستمررنا فى مناقشة الوضع فى جمهورية أفغانستان الديموقراطية. عرضت رأيى وحكيت عما يحدث فى أفغانستان، وعما يُتوقع فى المستقبل، وكيف أفهمه وأقيِّمه. مرت ساعة تقريبًا وفجأة فُتح باب الصالون الأمامى، وظهر بوريس نيكولايفيتش قائلاً: أنت، وأنت، وأنت، تعالوا عندى.

كان من طلبهم هم سيموننكو وبولياكوف ورئيس قسم وزارة الخارجية. بقيت أنا فى الصالون الثانى، وغفوت. تقريبًا بعد ساعة خرج سيموننكو من الصالون الأول وجلس بجانبى وقال لى:

- لقد رويت لبوريس نيكولايفيتش عن حديثنا، وأوضحت أن لديك رأيك الخاص وبعض الأفكار عن الموقف الأفغانى واقترحت دعوتك إلى القسم الدولى فى موسكو. وقد قال بونوماريوف: "لا تلمسوه، سوف أتحدث بنفسى معه".

فهمت أن بعد وصولنا إلى موسكو سوف يخطروننى بموعد لقاء مع بونوماريوف. ولكن بعد فترة ما فُتح الباب. نظر إلىَّ بونوماريوف وقال: ليونيد بافلوفيتش، تعال عندى- دخلت إلى الصالون الأول فحرك أمامه كرسيًا.

أجبته: سيكون من الأفضل أن أجلس أمامكم.

شربنا بعض الكونياك فزادت الشجاعة. وبدأ الحديث. فقلت فورًا:

- بوريس نيكولايفيتش، عندى شرطان أولان. أولاً: لا تنقلوا ما سوف أقوله لكم ليورى فلاديميروفيتش أندروبوف. ليس لأننى أخفى شيئًا عن أندروبوف، ولكن لأنه لم تكن عندى إمكانية مقابلته فى الفترة الأخيرة.. والآن أنا أطير إلى موسكو وأعتقد أنه سوف يستقبلنى هناك. كان هذا أولاً. أما ثانيًا: فأنا لن أتحدث باسم الكى.جى.بى.، وأنا مستعد للتحدث معكم عن نفسى كإنسان يعمل فى أفغانستان ويعرض فقط رأيه الشخصى. قال: "فليكن كذلك".

وبدأنا المناقشة. لن أحكى التفاصيل. استمرت المناقشة حوالى ساعتين حتى هبطنا فى مطار "فنوكوفا-٢" بموسكو. كان موقفى يتلخص أساسًا فى أنه لا يمكن حل مشكلة أفغانستان عن طريق الحرب، ولكن يجب تركيز جهود إضافية لتحييد باكستان. وأن مفتاح حل مشكلة أفغانستان موجود فى باكستان. فقد اجتمعت هناك كل المعارضة، ويتم هناك إعداد الفرق المقاتلة. تقوم باكستان بمشاركة نشطة جدًا للحرب ضد جمهورية أفغانستان الديموقراطية، آخذة فى الاعتبار خطورة النتائج الممكنة، إذا تمت تقوية أفغانستان بمساعدة الاتحاد السوفييتى. وبالإضافة إلى ذلك يجلس الأمريكان فى باكستان. هذه تركيبة معقدة جدا من المواضيع، وبالطبع لا يوجد حل بطريقة عسكرية خالصة فقط. قلت إننى أعتقد أن موقف مستشارينا العسكريين خاطئ، فإنهم مع رئاسة جمهورية أفغانستان الديموقراطية بالذات والتى قد عملت أخطاء كثيرة حتى الآن على المستوى السياسى الخارجى والداخلى حيث إنهم اتبعوا سياسة الحرب. وفى نهاية المناقشة قال بونوماريوف:

– أنا متفق معك. كنت أريد أن أراجع نفسى.

انتهت المناقشة بذلك. ثم سألنى عن المكان الذى سوف أستجم فيه. قلت إن علىَّ أن أكون فى منطقة بحر البلطيق حيث إن غدة ابنتى الدرقية متضخمة. ونفس الشىء عند زوجتى. لذلك يجب ألا نذهب إلى مكان حار، خاصة بعد أفغانستان. أخبرته بأننى قد طلبت حجز أماكن هناك، لأنه لا يوجد لنا مكان استشفاء خاصٌ هناك. بدأت الطائرة فى الهبوط، فقال بونوماريوف: إذا ظهرت مشاكل مع شهادات للاستراحة بالمصحة اتصل بى.

افترقنا على ذلك. جاءت زوجتى مع ابنتى لاستقبالى. وبدأت الإجازة. ذهبت فى اليوم التالى إلى "ياسينيفو"[١٢] إلى عملى، فقد أقيمت لقاءات عمل على مختلف المستويات، وكنت أقدم تقارير قصيرة. وقد تبين وجود صعوبات فى الحصول على شهادات للاستراحة بالمصحة. الأسهل أن أقول إنه لم تكن توجد. وصلنا فى يوم الجمعة، وفى يوم السبت أو الأحد رأيت أندروبوف فى التليفزيون مع بونوماريوف وآخرين من الرئاسة فى مقصورة الاستاد. كانوا يشاهدون مسابقة رياضية ما، قد تكون فى كرة القدم أو شىء آخر. فهمت أن بونوماريوف قد تقابل مع أندروبوف وأنه غالبًا قد أبلغه بمعلومات عن سفره ويمكن أيضًا عن حديثنا. أعتقد أن ذلك حدث. اتصلت فى يوم الاثنين بب.ن.بونوماريوف وقلت له إنه لا توجد شهادات للاستراحة بالمصحة. ضغط على زر الاتصال العالى الصوت فورًا. سمعت أنه يتحدث مع ن.ن.بيتوخوف – الحاصل على الدكتوراة فى العلوم والمسئول فى القسم الدولى للّجنة المركزية للحزب الشيوعى عن استقبال قادة الأحزاب الشيوعية المسافرين للاستجمام فى الاتحاد السوفييتى. طلب منه بونوماريوف أن يرتب للحصول على شهادات الاستراحة بالمصحة لعلاج أسرتى على ساحل بحر

---

(١٢) منطقة فى موسكو بها مقر إدارة الاستخبارات الخارجية.

البلطيق. وقد وعد بيتوخوف بعمل اللازم. وقال لى بونوماريوف: لا تقلق، فسوف أتصل أيضًا بسكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى بلاتفيا.

حضرت فى اليوم التالى إلى العمل فقالوا لى: جاءت اتصالات من القسم الدولى للّجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى. يبحث عنك شخص اسمه بيتوخوف.

اتصلت به فقال لى إنه تم الاتفاق على كل شيء، خذ ٢٠٠ روبل لكل فرد وسافر.

هكذا سافرنا، أنا وزوجتى وابنتى، إلى "يورمالا"[١٣] بالقطار فى يوم ٣٠ يولية. استقبلنا فى مدينة ريجا[١٤] – مدير أعمال اللجنة المركزية للحزب الشيوعى بلاتفيا، ومعه صديقى القديم منذ أيام الدراسة فى مدرسة "سوفوروفسكى"[١٥] الفريق "إليا كلينتشنكو" الذى سوف يصبح بعد ذلك بقليل قائدًا لقوات حرس حدود الاتحاد السوفييتى. فى ذلك الوقت كان رئيسًا لقوات حرس حدود بمنطقة ساحل بحر البلطيق. أنزلونا فى يورمالا. يوجد هناك مجمع حديث كامل لاستقبال الضيوف الأجانب: مبنى من طابقين وثلاثة طوابق به الخدمات المختلفة، وعيادات أطباء، وصالة بلياردو، وقاعة سينما، وبار، ومطعم. وعلى ما أعتقد كانت توجد ٨–١٠ أجنحة من طابقين. وقد أخبرنى ن.ن. بيتوخوف مسبَقًا بأن زوجة وابنة وحفيدة سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى "كابيتونوف" يستجممن هناك. تعرفنا على بعضنا البعض. تبين أنها عائلة لطيفة جدًا. أمضينا معًا حوالى ١٢ يومًا أخرى. يقع هذا المجمع بالقرب من فيللا الرئيس الحالى للجمهورية. الشاطئ جميل، ورتبوا لنا رحلة صيد السمك، كما كان يوجد حمام بخار. اتصلت بموسكو فى يوم ١٨ أغسطس بنيشوموف الذى كان قد عاد من كابول إلى مكانه كرئيس

---

(١٣) مدينة ساحلية بلاتفيا على بحر البلطيق.

(١٤) عاصمة لاتفيا.

(١٥) مدرسة ثانوية عسكرية مسماة على اسم المارشال سوفوروف.

لأركان حرس حدود الاتحاد السوفييتى، وسألته عن أحواله وعن خططه؟ قال لى: سوف أسافر غدًا إلى كابول. سوف تسافر مجموعة تضم جنرال الجيش "بافلوفسكى" والقائد العام لقوات الاتحاد السوفييتى البرية، وأندريه أندريفيتش.

سألته: لماذا تأخذون معكم "جروميكو"؟.

قال: لا، هذا ليس جروميكو، بل اللواء "فلاسوف أندريه أندريفيتش".

هو أيضًا صديق قديم لى. فقد درسنا معًا فى المعهد الحربى بوزارة الداخلية. كان فى ذلك الوقت نائبًا لرئيس قوات حرس الحدود لمنطقة الشمال الغربى، وكانت الإدارة موجودة فى مدينة "بيتروزافودسك". ولكننى أدركت أنه سيكون بديلاً لنيشوموف ككبير المستشارين لشئون الحدود فى كابول. كنت قد عرضت اسمه فى يوم ما كمرشح للسفر إلى جمهورية أفغانستان الديموقراطية. كانت تلك الأخبار القادمة من موسكو. ولم أتحدث مع أى أحد آخر. وفى يوم ٣٠ أغسطس عدت أنا وزوجتى وابنتى إلى موسكو، وهنا بدأت أحداث جديدة، بل فعليًا مرحلة جديدة فى تطور الأحداث فى أفغانستان، وسوف أتحدث عن ذلك فيما يلى.

الانشقاق فى قيادة جمهورية أفغانستان الديموقراطية

بعد يومين، فى يوم سبت اتصل بى مستشارنا لشئون الحراسة الرائد "كوتينوف". أفادنى بوجوده فى أحد القصور الحكومية بمرتفعات لينين، فقد توقف به تاراكى وجماعته أثناء سفره من كابول إلى كوبا للمشاركة فى أعمال مؤتمر الدول غير المنحازة. كان رئيس جهاز مكافحة التجسس "عزيز أكبرى" ضمن الوفد المصاحب له. وطبقًا لقول كوتينوف فإن عزيز أكبرى طلب منه البحث عنى من أجل حديث هام جدًا. كان على تاراكى أن يطير من موسكو فى اليوم التالى أى فى يوم الأحد. كنت قد ابتعدت عن الشئون الأفغانية أكثر من شهر وكنت لا أعرف المراسلات الأخيرة مع المركز، لذلك قررت أن أمتنع عن هذه المقابلة. ولقد طلبت من كوتينوف إخبار عزيز أكبرى بأن النوبتجى فى الإدارة قد أخبره بأننى موجود فى الداتشا خارج حدود موسكو وأننى سأكون فى موسكو فقط يوم الإثنين.. وفى نفس الوقت اتصلت فورًا بنائب رئيس إدارة الاستخبارات الذى كان فى مكان عمله فى يوم السبت، وعرضت عليه الموقف الحالى. اتفق معى فى الرأى واتفقنا على أن نلتقى فى حالة الضرورة مع عزيز أكبرى فى طريق عودته من هافانا إلى كابول.

كنت فى الأيام الأخيرة فى مكان العمل وقرأت المراسلات مع كابول. كان هناك إحساس بأن الوضع فى قيادة جمهورية أفغانستان الديموقراطية قد يتأزم. ففى إحدى الرسائل كان الحديث يدور عن أن عزيز أكبرى تمكن قبل سفره من كابول من إخطار موظفنا بتكليف حفيظ الله أمين بالعثور علىّ فى موسكو وإخطارى بالمؤامرة عليه.

ولكن لم يكن من الصعب الحديث بأن حفيظ الله أمين هو الذى كان يضيّق الشبكة على تاراكى ومن حوله. ذهبت مع رئيس إدارة الشرق الأوسط إلى نائب رئيس الاستخبارات وقدمت عرضًا للموقف الحالى. اقترحت مقابلة تاراكى فى

طريق العودة وتحذيره من إمكانية محاولة قيام حفيظ الله أمين بانقلاب. اتصل نائب رئيس الاستخبارات فورًا بكريوتشكوف وأخبره باقتراحنا. ولكن كريوتشكوف أعلن أنه يخطط لمقابلة تاراكى بليونيد ايليتش بريجنيف، وأن الأمر لا يستحق أن يؤخذ فى الاعتبار ورفض اقتراحنا.

على مستوى نائب رئيس الاستخبارات، استمررت فى الإصرار على ضرورة هذه المقابلة واقترحت أن يتم تكليفى شخصيًا بذلك. ولكن نظرًا لموقف كريوتشكوف لم يتم اتخاذ قرار فى هذا الشأن وانصرفنا أنا ورئيس الإدارة.

ولكن بعد فترة ما عندما جلست فى مكتب رئيس الإدارة، جاء إلى هناك نائب رئيس الاستخبارات ودعانا إلى مكتبه. أفادنا بأن كريوتشكوف اتصل تليفونيًا بأندروبوف الذى يستجم فى "كيسلوفودسك"، وأن الأخير أمر بمقابلة تاراكى.

فى خلال المناقشة بعد ذلك، وصلنا إلى أنه من غير المناسب قيامى أنا بصفتى ممثلاً للكى.جى.بى. بمثل هذا النوع من الحوار، خاصة أننى كنت أحتاج بالإضافة إلى ذلك لمترجم. لذلك اتفقنا على اختيار أحد الأفراد من مجموعة الاستخبارات المقيمة من الذين عملوا من فترة فى كابول لهذا الغرض وكان يعرف تاراكى شخصيًا كما أنه كان ملمًا باللغة الدارية. وفى نفس الوقت قررنا أن أذهب إلى المطار لاستقبال الوفد الأفغانى ومحاولة التحدث مع عزيز أكبرى.

هبطت طائرة تاراكى فى يوم ٩ سبتمبر فى مطار "شيريميتيفو٢" بموسكو. تبادلنا التحية بحرارة. وتعانقنا طبقًا للعادات الشرقية وتوجهت كل المجموعة إلى مرتفعات لينين. عند دخولى إلى مقر الإقامة الذى خُصص لهم كان تاراكى قد انتهى من أكله وكان متوجهًا للطابق العلوى لينال قسطًا من الراحة. كان من المقرر مقابلة بريجنيف فى الساعة ٢٢:٠٠. ظهر عزيز أكبرى فى بهو الطابق الأول. وعند رؤيته لى، اقترب منى بسرعة وطلب مترجمًا. ناديت صديقنا الذى كان قريبًا وطلبت منه المساعدة. قال عزيز أكبرى إنه تلقى أمرًا من حفيظ الله

أمين قبل السفر بضرورة العثورعليّ في موسكو وأن يروى لى عن المؤامرة. وقد أوصى بالاستعانة بتارونى كمترجم. وهنا أضاف عزيز أكبرى: كل ما سأقوله أمام تارون لن يطابق الحقيقة. لذلك أرجو أن نتقابل مرة أخرى بدون تارون بعد هذا الحديث.

في هذه اللحظة ظهر تارون. قمت بأداء السيناريو الموضوع بأن ناديت عليه قائلاً: أيها الرفيق تارون! الرفيق عزيز هنا، وهو يرغب في الحديث معى. هل يمكن أن تساعدنا كمترجم؟

وافق تارون على الفور، حيث إنه كان بالطبع عنده أوامر بذلك من حفيظ الله أمين. انفردنا نحن الثلاثة ببعضنا فى إحدى حجرات النوم بالطابق الأول. أعلن عزيز أكبرى أنه يعلم عن المؤامرة ضد حفيظ الله أمين. وأن كُلاً من الوزراء جولابزوَى وفاتاندجار وموزدوريار مشاركٌ فى هذه المؤامرة. كما أشار عزيز أكبرى إلى أنه من المؤسف أن رئيس هيئة الأمن أسد الله سارفارى يشارك بنشاط فى المؤامرة. وهدف هذه المؤامرة هو استبعاد حفيظ الله أمين من رئاسة أفغانستان.

وجهت سؤالاً، كما لو كان للاستيضاح: هل ما يقوله عزيز أكبرى هو رأيه الشخصى أم أنه يوجد أحد آخر يشاركه فى هذا القلق؟. ترجم تارون الإجابة: كل ما قيل يعبّر عن رأى عزيز أكبرى الشخصى. فهو قد قرر كشيوعى أن يوصل هذه المعلومات بنفسه إلى الرفيق بجدانوف، حيث إنه قلق على مصير الثورة.

وبعد ذلك استأذن عزيز أكبرى للانصراف، فبقيت وحدى مع تارون. استغللت ذلك لسؤاله: وما رأى تارون نفسه بخصوص ذلك؟ قال تارون فورًا إنه يشارك عزيز أكبرى فى رأيه الذى عرضه. وطبقًا لكلام تارون فإن الأربعة وزراء لا يريدون فقط إزاحة حفيظ الله أمين من مناصبه الرفيعة، ولكنهم يريدون أيضًا أن يصفُّوه جسديًا. ثم فجأة بدأ فى التنديد بتاراكى نفسه واصفًا له بأنه عجوز فقد عقله...إلخ. ثم أضاف أن الأربعة وزراء يريدون أيضًا قتل تارون نفسه.

ألقيت جملة: وأنت، لأى سبب؟

لم يجد تارون أى شيء أفضل من أن يعلن: أتعرف، الناس هم الناس. اليوم يعيشون جيدًا، ولكن فى الغد يريدون أن يعيشوا أحسن.

قلت بشكل حاد إنه لا يجب على قادة البلد أن يُسيِّروا المصالح الشخصية الصغيرة فى هذا الوضع الصعب، وإنه يجب بذل كل الجهود حتى لا يُسمح بانشقاق فى اللجنة المركزية للحزب الوطنى الأفغانى الشعبى. ثم سألته:

- وماذا بعد ذلك؟ هل ستلجأون إلى المسدسات؟

أجاب تارون إن أتباع حفيظ الله أمين مستعدون لذلك أيضًا فى ظل الوضع القائم. ثم تحجج تارون بأن عليه أن يكوى بذلته قبل زيارة الكرملين وسلم علىَّ وخرج من الحجرة.

رأيت بسرعة عزيز أكبرى فى البهو، فأشرت إليه بأننى مستعد للحديث معه. لم يكن رجلنا قريبًا فطلبت المساعدة من موظف إدارة المراسم بوزارة خارجية الاتحاد السوفييتى الواقف قريبًا والذى يعرف اللغة الدارية.

دخلنا مرة أخرى إحدى حجرات الطابق الأول.

كان عزيز أكبرى منفعلاً تمامًا وبدأ يتكلم بسرعة جدًا. كان أساس حديثه يتلخص فى ما يلى: "إنه لا توجد أية مؤامرة ضد حفيظ الله أمين. بل على العكس، فحفيظ الله أمين نفسه هو الذى وضع أمامه هدف إزاحة تاراكى عن رئاسة جمهورية أفغانستان الديموقراطية ورئاسة حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى والاستيلاء على السلطة. فبعد تعيين حفيظ الله أمين فى منصب رئيس الوزراء، فقد تحكُّمه فى جهاز الأمن ووزارة الداخلية والجيش. ولكنه تمكَّن أخيرًا من أن يجذب رئيس هيئة أركان الحرب العامة يعقوب إلى جانبه وكذلك مجموعة كبيرة من أعضاء اللجنة المركزية لحزب الشعب الديموقراطى الأفغانى. ويقف فى طريق

تنفيذ خططه أربعة وزراء وكذلك رئيس جهاز الأمن أسد الله سارفارى. لذلك يريد حفيظ الله أمين أن يتخلص أولاً من هؤلاء الوزراء، ثم بعد ذلك يزيح تاراكى نفسه. وعزيز أكبرى واثق من ذلك تمامًا حيث إن حفيظ الله أمين يرغب إلى حد ما فى أن يستغله هو أيضًا كأحد رؤساء جهاز الأمن. وسوف يبدأ الانقلاب فى المستقبل القريب. ويرى عزيز أكبرى أنه من الضرورى أن تعرف رئاسة الاتحاد السوفييتى عن مؤامرة حفيظ الله أمين.

ثم تحجَّج عزيز أكبرى بأنه توجد خطورة كبيرة إذا علم تارون بلقائه ثانية معى، وخرج بسرعة من الحجرة.

طلبت من المترجم ألا يحدث أحدًا فى الوقت الحالى عما جرى فى الحديث.

كان الوقت متأخرًا ليلاً، فتوجهت إلى منزلى.

بعد تحليل المراسلات مع القيادة التى تعرفت عليها، وبعد عودتى إلى موسكو من بحر البلطيق، والمعلومات التى حصلت عليها من عزيز أكبرى، أصبح من الواضح تمامًا أن حفيظ الله أمين قد جهز فعلاً لانقلاب فى الحكومة. لم يكن من الصعب تخمين الآلية والأفراد الذين ينوى حفيظ الله أمين استخدامهم لتنفيذ خططه. وقد شغلنى بعض الشىء موقف تارون. كان السبب هو أن تارون كان يرأس شرطة وزارة داخلية جمهورية أفغانستان الديموقراطية بعد ثورة أبريل وحتى لحظة سفرى من كابول فى إجازة. كنت أتقابل معه دوريًا فى الوزارة أو عند مستشارنا لشئون حرس الحدود كيريلوف. كان دائمًا ما يؤكد إخلاصه لتاراكى فى أثناء الحديث. وفجأة حدث هذا التحول: تارون عدو لتاراكى وحليف لحفيظ الله. ما الذى حدث؟ توصلت بعد تفكير قصير إلى أن حفيظ الله أمين قد وعده غالبًا بتعيينه بعد الانقلاب رئيسًا لجهاز أمن الدولة. وكان هذا حلمًا كبيرًا لتارون. لقد ذكرت من قبل أنه كان قاسيًا للغاية، وأنه كان محبًا لعمليات القبض على الأفراد وتعذيبهم وإعدامهم رميًا بالرصاص. وأذكر كيف روى إنه أثناء أحد الاستجوابات رفض

أحد المقبوض عليهم طويلاً تقديم اعتراف، فقام تارون بحرق ذقنه مما أدى إلى اعترافه فورًا. كان تارون بهذه الصفات مناسبًا تمامًا لحفيظ الله أمين. وقد تبين أنه قبل سفر تاراكى إلى هافانا أن تارون قد نُقل من منصب رئيس الشرطة إلى رئيس المكتب الخاص بتاراكى. وكان يرافق رئيس جمهورية أفغانستان الديموقراطية بهذه الصفة إلى كوبا. وبذلك فقد نجح حفيظ الله أمين فى دس رجله بين أقرب المقربين من تاراكى.

كان الوضع أصعب مع رئيس هيئة الأركان العامة يعقوب. فبعد ثورة أبريل أصبح ياورا قائدًا للحرس الشعبى، أى الحرس الشخصى لتاراكى. وبالطبع كان تاراكى يثق فيه ثقة كاملة، وأنه كان يعتبره رجله. وعندما كان يعقوب رئيسًا لهيئة أركان الجيش الأفغانى لم يؤيد أبدًا علنًا سياسة الاضطهاد التى كانت تُتبع بناءً على أوامر تاراكى وحفيظ الله أمين. كان يظهر بشكل واضح أن له موقفًا منفردًا نحو ما يجرى من أحداث، بل أنه كان يطلق بعض الانتقادات تجاه قائدى البلد. وفجأة يقف يعقوب فى صف حفيظ الله أمين! لم أستبعد أن يكون حفيظ الله أمين قد وعده بمنصب وزير الدفاع. هل كان من الممكن أن يتماشى يعقوب مع هذه الغواية؟ من حيث المبدأ يمكن. ولكنى كنت متأكدًا أن حفيظ الله أمين سوف يجد بعد الانقلاب حجة لكى يتخلص من يعقوب وأنه سوف يضع الجيش تحت قيادته.

ذهبت إلى عملى فى اليوم التالى فى مرتفعات لينين وأنا مشغول بهذه الأفكار. قابلت رجلنا الذى بقى بمقر إقامة الوفد الأفغانى بعد انصرافى. قال لى إن تاراكى قد عاد من مقابلته مع بريجنيف قرب منتصف الليل. ونجح رجلنا فى مقابلة تاراكى وجهًا لوجه على انفراد. عرض عليه رجلنا تقييم الموقف فى كابول على مدى ٣٠-٤٠ دقيقة وكشف له خطط حفيظ الله أمين للاستيلاء على السلطة. أشار تاراكى إلى أن:

- لقد لمَّح لى الرفيق بريجنيف أكثر من مرة فى خلال حديثنا إلى أنى لم أستطع فهم أساس الموضوع حتى النهاية.

ثم شكر تاراكى رجلنا على هذه المعلومات، ولكنه طلب إبلاغ الرفاق السوفييت ألا يقلقوا كثيرًا حيث إنه مسيطر على الموقف.

وبذلك فقد قامت المخابرات السوفييتية بعمل كل ما هو ممكن من أجل إنذار تاراكى بمؤامرة حفيظ الله أمين.

أما أنا فقد كتبت مذكرة تفصيلية عن مقابلاتى مع عزيز أكبرى ومعها استنتاجات واقتراحات. كانت النتائج التى توصلت إليها تفيد بأن حفيظ الله أمين انتهى تمامًا من تجهيزه لانقلاب، وأنه يمكن توقعه فى أقرب وقت بعد عودة تاراكى إلى كابول. ونتيجة للانقلاب ستسود دكتاتورية حفيظ الله أمين ذات النزعة القومية. وكنت أرى أنه يجب عمل اللازم للحد من تأثير حفيظ الله أمين على الحياة السياسية بأفغانستان.

وقد تم عرض المذكرة على النائب الأول لرئيس المخابرات.

بعد ذلك، نوقش هذا الموضوع فى دائرة ضيقة عند كريوتشكوف. بالإضافة إلى المذكرة، عرضت على كريوتشكوف تقييمى لتوزيع القُوى بما فيها موقف ودور يعقوب وتارون. كان من الواضح لى تمامًا أن وصول حفيظ الله أمين إلى السلطة سوف يقود إلى دورة جديدة من الإرهاب الشامل. وفى هذه الحالة لن يتم اضطهاد البارشام فقط، ولكن أعضاء جماعة خلق الغير مناسبين لحفيظ الله أمين أيضًا. وفى الواقع سينهار حزب الشعب الأفغانى الديموقراطى الشعبى. وبالإضافة إلى ذلك فإن حفيظ الله أمين سوف ينقل العمليات العسكرية إلى منطقة تقطين قبائل البشتون الأحرار، أى إلى أرض باكستان. وعند مواتاة الظروف، سيستخدم المشاعر القومية لمحاولة مد سيطرته على مناطق أخرى بباكستان. وهذا سوف يعنى بالفعل الحرب بين جمهورية أفغانستان الديموقراطية وباكستان. وبما أن الاتحاد السوفييتى قد تورط فى مساندة نشطة لثورة أبريل، فيمكن أن يؤدى هذا التطور للأحداث إلى تصادم مباشر للاتحاد السوفييتى مع الولايات المتحدة

الأمريكية فى هذه المنطقة. وسوف يستخدم حفيظ الله أمين بلا شك وجود عدد كبير من المستشارين السوفييت، وخاصة إمكانية مقابلة القادة السوفييت كتأييد لسياسته و لتصرفاته العملية من جانب الاتحاد السوفييتى.

علمنا بعد وقت قليل من المقربين من حفيظ الله أمين أقواله التى أكدت صحة تحليل الموقف الذى قدمته. فقد أعلن حفيظ الله أمين بصفة خاصة:

- حكمت أسر "قدجار" و"بهلوى" و"نادير"عشرات السنوات فى إيران وأفغانستان. لذلك فما الذى يمنع أسرة "أمين" من حكم أفغانستان؟

- فليبنِ لنا الاتحاد السوفييتى الاشتراكية. أما نحن فسوف نبنى أفغانستان العظمى.

- يجب علينا أن نستمع إلى رأى المستشارين السوفييت. ولكننا نحن الذين سوف نتخذ القرار بأنفسنا بغض النظر عن مدى اتفاقه مع توصيات الرفاق السوفييت.

فلنعد إلى الاجتماع عند كريوتشكوف. اتفق الجميع على ضرورة الحد من تأثير حفيظ الله أمين السياسى. ولكن كيف يمكن تنفيذ ذلك؟ لقد تم عمل خطوة هامة بإخبار تاراكى عن مؤامرة حفيظ الله أمين. ومن المنطقى أن يتخذ الأخير خطوات مناسبة تجاه ذلك.

ولكن، هل يكفى ذلك؟ كان كريوتشكوف غير ملم جيدًا بالعقلية الشرقية، فقاد المناقشة انطلاقًا من وضع الديموقراطية الأوروبية: أى أنه من الممكن استخدام البرلمان،...إلخ. لذلك لم يتم اتخاذ أية قرارات إضافة إلى ذلك.

فى النهاية أعلنت لهم:

- فلنعتبر أن اجتماعنا اليوم كأنه لم يكن. سأعود بعد ثلاثة أيام إلى كابول، ومن المتوقع أن يحضر إلىَّ أحد من معارضى حفيظ الله أمين. وموقفنا الرسمى

واضح: فنحن نقف مع وحدة الحزب الأفغانى الديموقراطى الشعبى وقيادة أفغانستان. ويجب أن نسعى لذلك. أما إذا جرى حديث عن حفيظ الله أمين، فلن أعرض رأينا، وسوف أقوم بحركة سوف تعنى أن عليهم هم أن يحلوا هذا الموضوع بأنفسهم. فإننا لا نستطيع التدخل فى شئونهم الداخلية.

وانتهى الاجتماع. ولم تُتخذ أية توصيات إضافية. كما أنى لم أتلقَّ أية تعليمات إضافية.

عاد تاراكى إلى كابول فى يوم ١١ سبتمبر.

كما طرت أنا فى يوم ١٢ سبتمبر ١٩٧٩ على رحلة "إيروفلوت" إلى كابول. وحيث إن الظروف الجوية فى طشقند كانت سيئة، فقد هبطت طائرتنا فى مدينة "ألما أتا"(١٦)، وقد انتظرت هناك أكثر من ساعتين إلى أن طرنا مرة أخرى إلى أوزبكستان. وهناك جهزنا مستندات КПП، وصلنا إلى كابول فى حوالى الساعة ١٣ بدلاً من ١٠ صباحًا، طبقًا للتوقيت المحلى. استقبلنى فى المطار النائب الأول تشوتشوكين واثنان آخران من ممثلية الكى.جى.بى. اتفقنا على التجمع عندى فى الساعة ١٤:٠٠. وقد حضر فى هذا الموعد إلى بيت الممثلية كل من إيفانوف وفلاسوف وتشوتشوكين.

وفى حوالى الساعة ١٥:٠٠ بعد الغذاء طلبت من إيفانوف الإذن لكى أستريح قليلاً. فنصحنى إيفانوف بعدم الحضور إلى العمل اليوم كله. ولكنى قلت له إننى على الرغم من ذلك سوف أحضر إلى السفارة بعد ساعة ونصف أو ساعتين. بعد انصراف الضيوف، صعدت إلى غرفة نومى بالطابق الثانى واستلقيت لكى أستريح.

أيقظنى السائق فى حوالى الساعة ١٤:٠٠ وقال إن أسد الله سارفارى قد حضر بلا سابق إنذار وإنه ينتظرنى بحجرة الضيوف فى الأسفل. ارتديت ملابسى

---

(١٦) عاصمة جمهورية كازاخستان السوفييتية.

بسرعة ونزلت على السلم فرأيت أسد الله سارفارى الذى كان يبدو عليه الانشغال بصورة كبيرة وبدا عصبيًا جدًا. قال لى فورًا إن حفيظ الله أمين أعطى تعليمات فى يوم ١٣ بالقبض عليه وعلى كل من فاتاندجار و موزدوريار وجوليابزوى. كان فى رأى أسد الله أن ذلك كان يعنى تنفيذ خطة حفيظ الله أمين للاستيلاء على السلطة.

سألت أسد الله سارفارى عن مكان تاراكى. فأجاب بأن تاراكى موجود فى قصره وبأن حفيظ الله أمين يعتمد على رئيس هيئة أركان الحرب العامة يعقوب.

قلت لأسد الله سارفارى أن يذهب هو وأصدقاؤه إلى تاراكى وأن يظلوا بجانبه، أما أنا فسأذهب للسفارة للتشاور.

اتصلت بمجرد وصولى إلى السفارة بكريوتشكوف. عرضت عليه الموضوع بسرعة وأبديت له رأيى فورًا:

- يجب القبض على حفيظ الله أمين فورًا، وإلا سيكون الوقت تأخر.

دخل إيفانوف إلى المكتب فى تلك اللحظة فسمع آخر جملة فأخذ منى السماعة وقال لكريوتشكوف إنه يبدو أننى مستعجل. واقترح محاولة تسوية الأزمة بين تاراكى وحفيظ الله أمين بطريقة سلمية عن طريق مشاركة الرفاق السوفييت.

ذهبنا بعد ذلك إلى السفير السوفييتى بوزانوف وشرحنا له الوضع. طلب بوزانوف حضور الجنرالين بافلوفسكى وجوريلوف إلى السفارة. واتصل بنفسه تليفونيًا بموسكو.

بعد بعض الوقت، وصلتنا تعليمات بأن نقوم بزيارة تاراكى وأن نقنعه باسم رئاستنا (رسالة شفهية من ل.ا.بريجنيف) هو وحفيظ الله أمين بألا يسمحوا باستمرار انشقاق الحزب وتأزم الوضع. انصرف بسرعة كل من بوزانوف وبافلوفسكى وإيفانوف وجوريلوف ذاهبين إلى مقر إقامة تاراكى. أما أنا فقد بقيت فى السفارة.

تم إخطارى فى حوالى الساعة ١٨ بأن سيارة مرسيدس بها أربعة من الوزراء قد وصلت إلى السفارة، وأنهم يطلبون مقابلتى. خرجت إلى الفناء فرأيت المرسيدس. كان أسد الله سارفارى يجلس على عجلة القيادة وبجانبه جوليابزوى. وكان فاتاندجار وموزدوريار يجلسان فى الخلف. قال لى أسد الله سارفارى إن حفيظ الله أمين أصدر أمرًا بالقبض على "الرباعى" أو بتصفيتهم جسديًا بأية طريقة. لذلك فقد حضروا إلى السفارة لكى يختبئوا هنا. أبلغت أسد الله سارفارى أن رفاقنا موجودون الآن عند تاراكى وأنهم يجب أن يتحدثوا معه فى وجود حفيظ الله.

بعد مرور بعض الوقت، وصل إلى مقر السفارة عزيز أكبرى. وعند رؤيته لى أخبرنى بأنه مكلف من حفيظ الله أمين بالبحث عن إيفانوف وإخباره بمؤامرة "الرباعى". عندما عرف عزيز أكبرى منى أن إيفانوف ذهب إلى تاراكى، اقترب من سيارة "الرباعى" وتبادل الحديث معهم ثم انصرف.

طلب أسد الله سارفارى أن نسمح له بالبقاء على أرض السفارة، على الأقل حتى عودة رفاقنا من القصر. فدعوت "الوزراء" إلى حجرة الممثلية وطلبت من طباخ السفير إعداد الشاى لهم.

بينما كان الثلاثة وزراء يشربون الشاى فى أحد الصالونات، وكنت أنا فى البهو، اقترب منى أسد الله سارفارى وسألنى بصوت منخفض:

- كيف سيكون رأى الاتحاد السوفييتى، إذا قمنا بتصفية أمين؟

لم يكن عندى تفويضات محددة من رئاستى، فقلت لسارفارى:

- كنا دائمًا وسنقف فى جانب وحدة الحزب، ونحن ضد أى معركة بين جماعات. هذا هو موقفنا الأساسى. وأنا شخصيًا أرى أنه لا يجب السماح فى الوضع الحالى لأحد بعمل انشقاق فى الحزب. ولا أستطيع أن أقول لك أى شىء آخر. فهذا أمر داخلى يخصكم.

يبدو أن أسد الله اعتبر ذلك موافقة شخصية منى على خطته، فأمسك رأسه بيديه آسفًا معلنًا:

- كان يجب علىَّ القيام بذلك بالأمس! كان يجب أن أخنق أمين بنفسى عند حضوره إلى تاراكى بالأمس.

تركت الرباعى وصعدت إلى مكتبى، ولكنهم دعونى فى تلك اللحظة إلى الهاتف. كان الرائد تارون هو الذى على الخط. سألنى بالروسية:

- أيها الرفيق بجدانوف، اجتمع ضيوف عندكم فى السفارة. هل عندكم حفل استقبالٍ ما اليوم؟

لم يكن من الصعب فهم أنه كان يُلمِّح إلى "زيارة" الوزراء. أجبته تقريبًا كما يلى:

- أنا لست على علم بعد بكل الاحتفالات البروتوكولية، لأنى وصلت فقط من بضع ساعات من موسكو. ولكن حسب ما أعرف لاتوجد أية حفلات فى السفارة. ولكنى لا أستبعد أن يكون هناك عرض سينمائى ما. ضحك تارون فى السماعة مع قوله: "إذن... حسنًا" ووضع السماعة.

نزلت مرة أخرى إلى الوزراء. طلب فاتاندجار فى لحظة ما الاتصال من الهاتف الموجود عند نوبتجى السفارة. اتصل فاتاندجار برقم ثم برقم آخر وتحدث مع أحدهم. ولكن لم يتمكن رجلنا الواقف بجانبه من فهم الحديث حيث إنه أداره بالبوشتية.

وفى نفس الوقت أخبرنى النوبتجى أن سيارة مرسيدس قد جاءت إلى بوابة السفارة وبها وزير شئون الحدود، وأنه يرغب فى مقابلة "الرباعى". أخذت فى الاعتبار أن حفيظ الله أمين قد أعطى أوامر بتصفية الوزراء المغضوب عليهم بأية وسيلة، ولكى أمنع أية إمكانية لتبادل إطلاق الرصاص على أرض السفارة، أمرت

النوبتجى بإبقاء البوابة مغلقة، وبعدم السماح بدخول أية سيارات إلى أرض السفارة إلا السيارات السوفييتية.

عاد بوزانوف وإيفانوف فى العاشرة مساءً إلى السفارة فصعدنا إلى مكتب السفير. عند معرفة بوزانوف بوجود أربعة وزراء على أرض السفارة قرر فورًا إخراجهم. عارضت ذلك على أساس أنهم أعضاء فى الحكومة الحالية، وأنهم جاءوا إلينا للتشاور، وأننا لا نملك الحق فى التصرف معهم بهذا الشكل لا أخلاقيًا ولا قانونيًا.

بدأ بوزانوف فى الاتصال بموسكو لعرض نتائج التكليف الذى قام بتنفيذه. وقد روى لى إيفانوف باختصار عما دار فى المقابلة مع تاراكى وحفيظ الله أمين. عند وصول رفاقنا إلى القصر، أعربوا لتاراكى عن انشغالهم بالانشقاق فى قيادة البلد واقترحوا مناقشة هذا الموضوع مع حفيظ الله أمين. طلب تاراكى من حفيظ الله أمين هاتفيًا الحضور إليه فى القصر قائلاً له فى نفس الوقت إن عنده رفاقًا سوفييت. ظهر حفيظ الله أمين بسرعة مرتديًا بذلة بوشتونية وبكامل سلاحه.

كان موقف أمين يتلخص فى ما يلى: أن أربعة وزراء يحتلون مناصب هامة يقفون ضده، وأنه كرئيس للوزراء لا يستطيع قيادة الحكومة بكفاءة فى ظل هذا الوضع، وأنه يقترح على الرفيق تاراكى تغيير هؤلاء الوزراء. أما تاراكى، فهو غير موافق على ذلك. لذلك لا يستبعد عرض هذا الموضوع على اجتماع اللجنة المركزية للحزب الوطنى الديموقراطى الأفغانى. ولكن تاراكى يرفض.

نقل رفقاؤنا رسالة بريجنيف الشفهية والتى كانت تطلب ألا يُسمح بانشقاق ويُحافَظ على وحدة الحزب والقيادة فى ظل الوضع الداخلى الصعب.

بينما كان بوزانوف يتحدث مع موسكو، نزلت إلى أسفل إلى النوبتجى. فى تلك اللحظة رن جرس الهاتف، وطلب فاتاندجار للتحدث معه.

استغرق الحديث دقيقة أو دقيقتين. ثم توجه فاتاندجار معى إلى حجرة الممثلية حيث كان يوجد أصدقاؤه. روى هناك أن فى البداية كان المتحدث هو حفيظ الله أمين الذى بدأ كلامه بعبارة:

- يا أبطال الثورة، خفتم، وهربتم كالجرذان؟

ثم قال حفيظ الله أمين إنه سيناول السماعة لتاراكى. طبقًا لرواية فاتاندجار، قال له تاراكى ألا يقلقوا وأن يعودوا إلى منازلهم. تبادل الوزراء بضع جمل، ثم استقلوا المرسيدس وتركوا أرض السفارة بسرعة كبيرة.

كان بوزانوف وإيفانوف مـــتأكدين تقريبًا أن هذا الموضوع قد انتهى. ولكن الأحداث المأساوية كانت قد بدأت لتوها.

جاء يوم ١٤ سبتمبر، وذهب كالعادة الجزء الأكبر من رجال الممثلية فى الساعة الثامنة إلى نظرائهم فى أماكن عملهم.

ولكن جاءنا خبر فى حوالى الساعة الثامنة بأن "نواب" - أحد نواب أسد الله سارفارى - قد اغتيل فى حجرة استقبال الضيوف.

كان حفيظ الله أمين قد أرسل "نواب" للخدمة فى جهاز الأمن فى نهاية عام ١٩٧٨. كان يتصرف بتواضع. لم يكن محترفًا. وقد أبدى رغبته فى السفر إلى الاتحاد السوفييتى للدراسة. كنت أعرف أنه تربطه بحفيظ الله أمين صلة قرابة بعيدة - قد يكون ابن ابن عمه أو ابن ابنة عمه. باختصار كان رجل حفيظ الله أمين.

عرفت بعد وقت قصير بعض تفاصيل مقتله. ففى حوالى الساعة الثامنة صباحًا، حضر "نواب" مع رئيس المكتب السياسى لجهاز أمن جمهورية أفغانستان الديموقراطية "سلطان" وأحد العاملين إلى جهاز الأمن وتوجهوا إلى مكتب أسد الله سارفارى. عند دخولهم إلى غرفة الاستقبال، رأوا هناك الحارس الشخصى لرئيس

جهاز أمن جمهورية أفغانستان الديموقراطية "قاسم". كان الثلاثة كلهم مسلحين، وسألوا عما إذا كان سارفارى موجودًا فى مكتبه أم لا. قال لهم "قاسم" إنه من الممنوع الدخول إلى أسد الله سارفارى بسلاح. ولكنهم هم الثلاثة أزاحوا "قاسمًا" جانبًا وتحركوا فى اتجاه باب مكتب أسد الله سارفارى وأيديهم على السلاح فى وضع استعداد. هنا أطلق "قاسم" الرصاص من مدفع رشاش كلاشينكوف طبقًا للأوامر فقتل "توابًا". ولكن سلطان تمكن من إطلاق النار عدة مرات على قاسم فسقط قتيلاً على بساط حجرة الاستقبال. اندفع سلطان ورفاقه إلى داخل المكتب فلم يجدوا أسد الله سارفارى به. ولكن كانت توجد بعض الأوراق والأشياء مبعثرة فى الحجرة. اتصل سلطان بحفيظ الله وأخبره بما حدث. وصلتنا هذه المعلومات فى الساعة ٩:٣٠ صباحًا.

بعد بضع دقائق وصل عزيز أكبرى إلى السفارة وأبلغ إيفانوف عندما وجده أن حفيظ الله أمين يطلب لقاءه بصورة عاجلة.

صرف إيفانوف عزيز أكبرى وطلبنى للذهاب معه. أخذنا معنا مترجمًا. عند جلوسنا فى السيارة وضعنا تاكتيك ولو بداية الحديث. قررنا أن نقول أولاً لحفيظ الله أمين عن علمنا بمقتل نواب، وتقديم عزائنا له. ثم بعد ذلك يجب أن أقول له إننى وصلت من موسكو أمس فقط، بعد الغذاء، وإننى فى المساء، وأنا فى السفارة، قابلت الأربعة وزراء الذين جاءوا إليها فى سيارة مرسيدس. وإنى فهمت من الحديث معهم أنه حدث انشقاق فى اللجنة المركزية للحزب الوطنى الديموقراطى الأفغانى وفى الحكومة. كما أن موقفى هو فى جانب وحدة الحزب وقيادة البلد، وأن أنصحهم بحل كل المشاكل مع تاراكى ومع حفيظ الله أمين، وأنه بعد أن تحدث فاتاندجار هاتفيًا مع شخص ما، انصرفوا هم الأربعة من السفارة. خططنا لهذه البداية للحديث حيث إننا كنا مدركين أن حفيظ الله أمين فاهم تمامًا أن الوزراء قابلونى أو قابلوا إيفانوف.

كان حفيظ الله أمين قد نقل مقره قبل ذلك من مبنى رئاسة الوزارة إلى مبنى هيئة أركان الحرب العامة بأحد القصور القديمة. كان هذا القصرعلى بعد حوالى ٥٠٠ متر من مقر تاراكى ولكن كان له سوره ومدخله الخاص. دخلنا إلى المبنى وسرنا فى ردهة واسعة بالطابق الأول فوصلنا إلى حجرة الاستقبال. كانت بها عدة موائد عليها أجهزة هواتف يجلس خلفها ضباط نوبتجية. دعونا للدخول من باب مكتب حفيظ الله أمين الصغير.

رأينا عند دخولنا الحجرة حفيظ الله أمين جالسًا إلى مكتب كبير. كان مظهره الخارجى كالعادة هادئًا. وكان مرتديًا بذلة من ثلاث قطع لونها بنى داكن وقميص أبيض وكرافت. وقف حفيظ الله أمين وحيَّانا بابتسامته المعتادة، ثم اقترح علينا الجلوس فى المقاعد، وهنا سألنى: وأنت يا رفيق بجدانوف، كيف تصادف وجودك فى كابول؟

رويت له أحداث اليوم السابق، كما تم الاتفاق. وعندما ذكرت اسم فاتاندجار، أشار حفيظ الله أمين إلى أنه يعرف كل شيء، بل أنه يعرف أن فاتاندجار قد اتصل من هاتف السفارة بفرقتَى الدبابات الرابعة والخامسة عشرة محاولاً إقناع قائديهما بالوقوف ضده. قال كل ذلك بنبرة هادئة، وأضاف بعد أن أشاح بيده "ولكن كل هذه أشياء صغيرة".

قدم إيفانوف عزاءه بخصوص مقتل "تواب". وعرض أمين تقييمه للموقف قائلاً إنه يرغب فى التشاور. طبقًا لروايته، فبعد انصراف الرفاق السوفييت مساء اليوم السابق، تناقش هو وتاراكى لمدة طويلة. ومرة أخرى أصر أمين على إزاحة كل من سارفارى وجوليابزوى وموزدوريار وفاتاندجار من مناصبهم. وقد وافق تاراكى فى النهاية على تنحية سارفارى فقط من منصبه كرئيس لجهاز الأمن واقترح أن يحل محله عزيز أكبرى. أما أمين فيرى أن ذلك ليس كافيًا حيث إن الأربعة كلهم أصدقاء حميمون وإنهم لن يهدءوا حتى يزيحوا أمينًا من السلطة أو

يُقتل. أما ما يخص رئيس هيئة الأمن، فقد اقترح أمين لهذا المنصب الرائد تارون. ولكنهم لم ينجحوا فى الاتفاق.

أشار أمين إلى أننا نعرف جيدًا كلاً من أكبرى وتارون، وأن كليهما رفيقٌ ملائم، ولكن بما أن تاراكى مُصِر فقد كان من الممكن التنازل "للعجوز".

دخل فى لحظة ما إلى المكتب رئيس هيئة الأركان العامة يعقوب وقال شيئًا إلى أمين بالبوشتية. وكان رد فعل الأخير الإشارة له بإمكانية الانصراف.

وفى تلك اللحظة دق جرس الهاتف وبدأ حديث طويل. فهمنا أن المتحدث هو تاراكى. استغللت هذه اللحظة فخرجت إلى غرفة الضباط المساعدين النوبتجيين للتدخين. رأيت نائب رئيس هيئة الأمن الرائد يوسف جالسًا هناك على مقعد وهو يرتعش. كنت أعرف أن معدته مريضة وأنه كان يجب أن يبقى فى منزله. اقتربت من يوسف وربتُ على كتفه بلطف سائلاً عن صحته ثم سألته هل يمكن أن تساعده المياه المعدنية أم لا. كان يوسف محبطًا تمامًا وألقى عبارة تفيد أنه على الأرجح لن يحتاج للمياه المعدنية. كان من الواضح أنه أُحضر إلى هنا للحديث مع أمين.

عند عودتى إلى المكتب، كان أمين مازال يتحدث فى الهاتف بنبرة عالية. خُيِّل لى أن دموعًا ظهرت فى عينيه.

استمر حديثنا بعد انتهاء المكالمة. وفى لحظة ما أعلن أمين بانفعال أنه إذا قال له الرفيقان إيفانوف وبجدانوف أن يستقيل فإنه على استعداد لترك كل المناصب التى يشغلها فورًا. ولكنه أضاف فورًا أنه يرى أن الأصح هو جمع اللجنة المركزية للحزب الوطنى الديموقراطى الأفغانى وبحث الخلاف مع تاراكى فيه.

فجأة دخل الضابط المساعد وأبلغه بأن الرائد تارون قد جاء من قصر تاراكى بأمر عاجل. دخل تارون إلى المكتب بعد أن سُمح له. كان بالملابس المدنية، وقال شيئًا لأمين بالبوشتية. بالطبع لم يتمكن مترجمنا من فهم أى شىء. عندئذ أشار أمين لتارون لكى يقول المعلومة مرة أخرى باللغة الروسية.

توجه لنا تارون بالحديث قائلاً:

- لقد تمت دعوة الرفيق أمين اليوم للغذاء عند الرفيق تاراكى. وقد حضرت إلى هنا لتحذير الرفيق أمين لكى لا يذهب إلى الغذاء حيث سوف يُقتل هناك. فقد تم إعداد مدفع رشاش كلاشنيكوف لهذا الغرض بمكتب تاراكى. كما يوجد فى المكتب مسدسان مشحونان. والآن علىَّ أن أعود بسرعة إلى القصر.

صرف أمين تارون وقال:

- والآن أيها الرفيق إيفانوف وأيها الرفيق بجدانوف، ماذا ستقولان؟ يجب أن أوضح أننى حصلت على نفس هذه المعلومة بالضبط من رئيس هيئة أركان الحرب العامة الذى كان هنا من قليل. ولكن أيها الرفيق إيفانوف وأيها الرفيق بجدانوف، قولا لى أن أقبل الدعوة، فسأذهب للغذاء. أنا محتاج لنصيحتكما.

هنا أعلن إيفانوف:

- لو كنت أنا مكانك، كنت سأذهب إلى الغذاء- ولكنه أضاف بسرعة- ولكن عليك أن تقرر الرأى النهائى.

استمر الحديث خمس دقائق أخرى، ثم فى النهاية قال إيفانوف إن علينا الذهاب إلى السفارة للتشاور.

فأعلن أمين:

- أنا متفهم. ولكننى أرجو أن تراعيا أن علىَّ بصفتى رئيسًا لمجلس الوزراء أن أتخذ قرارًا فى إعادة النظر فى تشكيل الحكومة، لذلك فسوف أنتظر ردكما حتى الساعة ١٧:٠٠.

عند عودتى إلى السفارة، ذهبت إلى مكتبى، بينما توجه إيفانوف إلى مكتب السفير. كما علمت، فقد اتصلا هاتفيًا بموسكو وتلقيا تعليمات بمقابلة تاراكى وحفيظ الله أمين مرة أخرى وأن يشيرا إلى تعليمات رئاسة الاتحاد السوفييتى لكى يحاولا

إيجاد حل وسط للمواضيع المتنازع عليها. لم أكن أتوقع شخصيًا النجاح فى هذه المهمة.

فى حوالى الساعة ١٣:٠٠ كان كل من بوزانوف وإيفانوف، والجنرالان بافلوفسكى وجوريلوف مستعدًا للخروج. أعطيت أوامر لكى ترافقهم سيارة بها ثلاثة ضباط مسلحون من سرية حرس الحدود وأحد رجال الممثلية – المقدم كابانوف. كانت السيارة مزودة بوحدة اتصال لاسلكى بالسفارة. جهزنا بسرعة بضع جمل مناسبة، حتى يمكن توصيل الرسالة على المفتوح فقط. وبذلك توجهت المجموعة كلها بسيارتين إلى القصر. أما أنا، فقد بقيت فى السفارة. تلقينا بعد حوالى ساعة أنه حدث تبادل لإطلاق الرصاص فى القصر، وأن تارون قد أصيب إصابة خطيرة.

بالطبع تسبب هذا الخبر القصير فى قلقى تمامًا، أولاً على الرفاق السوفييت. ماذا يمكن أن أفعل؟ اتصلت بسرعة باستخدام التليفون العادى بقائد الجيش الشعبى المقدم "دجانداد"، الذى كان قد درس من قبل بالاتحاد السوفييتى بالأكاديمية الهندسية، وكان يعرف اللغة الروسية. سألته عما إذا كان قد حدث تبادل لإطلاق النار فى القصر، وعن الموقف هناك. أكد أنه حدث بالفعل تبادل لإطلاق الرصاص وأنه يبدو أن تارون أصيب إصابة خطيرة. أما الرفاق السوفييت فلم يصبهم أى سوء. كنت أعرف أن مكتب قائد الجيش الشعبى موجود فى البرج الموجود فى السور الخارجى تقريبًا على بعد ٣٠٠ متر من القصر، لذلك طلبت من دجانداد أن يعثر على إيفانوف بسرعة وأن يطلب منه الاتصال بالسفارة فورًا. وعد قائد الجيش الشعبى بتنفيذ ذلك. ولكن هنا تلقينا اتصالاً لاسلكيًا بأن مجموعتنا تغادر القصر فى طريقها إلى رئاسة هيئة أركان الحرب العامة. مرت حوالى عشرون دقيقة ثقيلة، ثم وصلتنا إشارة تقول: "نحن فى طريقنا إلى السفارة". وبعد حوالى ١٥ دقيقة أخرى دخلت السيارتان إلى أرض السفارة. ما الذى حدث فى القصر؟ حكى لى ذلك إيفانوف وكابانوف.

كان الأمر كما يلى. كانت توجد منطقة كبيرة فى وسط كابول محاطة بسور طوله عدة كيلومترات، وكانت مملوكة لملك أفغانستان وعائلته. ويوجد فى هذه المنطقة مجمع من عدة قصور ومبانٍ خدمية وملحقات، كثير منها معزول عن الباقى بأسوار داخلية. وتوجد بوابة رئيسية فى السور الخارجى توصل إلى طريق طولهِ ٣٠٠ متر إلى السور الداخلى. ينتهى هذا الطريق عند بوابة خشبية وراءها القصر الرئيسى "أرك"– مقر الملك السابق، ثم داود. وبعد ثورة أبريل أطلق اسم "قصر الشعب" على هذا القصر، وأصبح به مقر إقامة تاراكى. كانت البوابة المؤدية إلى أرض قصر الشعب مغلقة دائمًا. وكان لا يُسمح بدخول السيارات إليها. مبنى القصر نفسه على يمين البوابة. أما على شمالها، فتوجد روضة كبيرة بها أشجار وشجيرات وزهور، تحدثنا فيها مع تاراكى فى يوم ٤ أغسطس ١٩٧٨.

وقد حضر الرفاق السوفييت فى سيارتين إلى البوابة المؤدية إلى قصر الشعب. ودخل بوزانوف وثلاثة جنرالات عبر الروضة إلى القصر، أما حرسنا فقد بقى بجانب السيارة. وبعد فترة قصيرة دخل وراءَهم تارون من جانب السيارتين عبر الروضة. عند رؤية تارون لكابانوف الذى كان يعرفه جيدًا سأله إذا كانوا يريدون كوكا كولا أو شيئًا آخر يشربونه. ولكن كابانوف وأفراد حرس الحدود لم يرغبوا فى ذلك. فدخل تارون إلى القصر. صعد بوزانوف وإيفانوف وبافلوفسكى وجوريلوف إلىَّ ومعهم المترجم روريكوف إلى الطابق الثانى. دخلوا إلى قاعة الاستقبال حيث التقوا بتاراكى. أعلن بوزانوف مرة أخرى أن معه رسالة من قيادة الاتحاد السوفييتى وسأل إذا كان من الممكن دعوة الرفيق حفيظ الله أمين لكى ينضم إلى الحديث. كان تاراكى هادئًا جدًا. اتصل هاتفيًا بحفيظ الله أمين وقال له إن عنده الرفاق السوفييت وطلب منه الحضور إلى القصر. أجاب أمين بأنه سيحضر ولكن فقط بصحبة حرس. عندما وضع أمين السماعة، ألقى له إيفانوف بملاحظة:

– أيها الرفيق تاراكى، تنتشر أقاويل بأنه قد يُقتل أمين عندكم، فى القصر.

ضحك تاراكى ضحكة ساخرة، وكان رد فعله:

- أى هراء هذا؟!. هذه شائعات استفزازية.

يجب هنا أن أخرج عن الموضوع قليلاً لأقول إن بعد كل هذه الأحداث نشر أمين مقولة أن تاراكى قد ناول السماعة إلى السفير بوزانوف، أثناء الحديث معه، وكما لو أن الأخير قد ضمن لأمين أمانه الكامل. وقد قدم نفس هذه المقولة نائب رئيس ممثلية مجموعة الاستخبارات المقيمة السابق "موروزوف" فى مقالة بعنوان "رئيس مجموعة الاستخبارات المقيمة بكابول" (مجلة "نوفوى فريميا"، رقم٤١، أكتوبر ١٩٩١). وهذه المقولة لا تتفق مع الحقيقة حيث إن الحديث بين بوزانوف وأمين كان بعد ذلك.

وهكذا رأت مجموعة حراستنا التى بقيت عند البوابة بعد قليل سيارتى "مرسيدس" تقتربان منها. توقفت السيارتان، وخرج منهما أمين وحارسه الخاص واثنان من الضباط المساعدين. كان تارون ينتظرهم فى بهو الطابق الأول من القصر. كما عرفنا فيما بعد، صعد تارون الذى كان يعلق على صدره رشاشاً صغيراً من طراز "شنايسر" مع الحارس الشخصى على السلم إلى أعلى. كان لهذا السلم درجان متعامدان عليه بزاوية قائمة. عبر تارون والحارس دوران السلم فوصلا إلى جزء مستقيم يؤدى إلى مسكن تاراكى. كان حارسان شخصيان لتاراكى يقفان على البسطة العليا للسلم - النقيب "بابراك" و"قاسم"، وكانا يحملان مدفعين رشاشين "كلاشينكوف". لم يكن أمين وضابطاه المساعدان قد ظهرا بعد وكانا بعيدين عن مجال رؤية حارسى تاراكى. عند رؤيته للرشاش على صدر تارون، أنذره بابراك بأنه ممنوع الدخول إلى تاراكى بسلاح. ولكن تارون أجابه بكلمات: "هيا، امش من هنا" وهو يمسك الرشاش بيده. عندئذ أطلق بابراك وزميله الرصاص على تارون من رشاشيهما فسقط الأخير قتيلاً على البسطة الصغيرة للسلم. ارتطم الرصاص الذى طار إلى أسفل بالجدار وأصاب بارتداده أحد ضباط حفيظ الله أمين إصابة بسيطة. كان أمين مازال فى الأسفل فلم ير مايحدث على السلم، ولكنه سمع صوت إطلاق الرصاص وصفير الرصاص المرتد من الجدار.

فاندفع إلى الخارج وعبر البوابة بسرعة وهو ممسك بالضابط المصاب، ثم قفز فى السيارة التى غادرت أرض القصر بسرعة كبيرة. حدث ذلك أمام أعين مجموعتنا من الحراس الذين أعدوا سلاحهم عند سماع صوت الطلقات.

كان بوزانوف والثلاثة جنرالات جالسين فى ذلك الوقت فى الصالون على بعد خمسة أمتار من السلم. لم يتمكنوا من فهم ما يحدث، إلا وكان النقيب بابراك قد دخل إلى الصالون والدخان يتصاعد من رشاشه وأخبرهم بما حدث. كان الجميع مصدومين. خرجت زوجة تاراكى جريًا من حجرة النوم. وعند مشاهدتها لتارون المقتول على بسطة السلم، رجعت إلى حجرتها وهى تصرخ. مرت عدة دقائق ثم لاحظ تاراكى، الذى كان متوترًا جدًا، ما يمكن أن يؤدى إليه سوء الفهم بين الحراس. قال بوزانوف لتاراكى أنه نظرًا لتعقد الوضع فإننا نرغب فى مقابلة حفيظ الله أمين. اتصل تاراكى بأمين هاتفيًا وحاول إقناعه بأن هذا الحادث وقع نتيجة لسوء فهم بين الحراس. ولكن أمين كان يعتقد أن هذه كانت محاولة لاغتياله. ثم قال تاراكى: بما أن أمين يرى أنه من المستحيل أن يحضر إلى دار الشعب، فإن الرفاق السوفييت يرغبون فى الحديث معه بمقره. وهنا فقط أعطى تاراكى السماعة للسفير بوزانوف الذى أكد الرغبة فى اللقاء مع أمين.

ودعت مجموعتنا تاراكى، وتخطت جثة تارون، ثم توجهت إلى السيارتين ثم إلى رئاسة أركان الحرب العامة حيث كان يوجد أمين.

دخل رفاقنا حجرة أمين فوجدوه جالسًا إلى مكتبه بوجه هادئ. حاول بوزانوف أن يقنعه بكلام تاراكى، ولكن أمين أصرَّ بشدة على أن هذه كانت محاولة لاغتياله. توجه أمين إلى إيفانوف قائلاً:

- ما رأيك يا رفيق إيفانوف؟ لقد قلت لكم من قبل عن المؤامرة التى تحاك ضدى.

ثم أشار بأصبعه إلى بقعة دم صغيرة على بذلته، وكانت نتيجة لإصابة الضابط المساعد، وأضاف:

- هذا الدم يجب ألا يمسحه إلا الدم.

وفى نهاية المقابلة أعلن أمين أنه إذا كان الرفاق السوفييت يرغبون مرة أخرى فى اللقاء مع تاراكى فعليهم أن يفعلوا ذلك عن طريقه فقط. وأضاف وهو يضحك ساخرًا: "لتفادى سوء الفهم بين الحراس".

وبعد ذلك توجه رفاقنا إلى السفارة لإبلاغ موسكو.

كان ذلك تسلسل الأحداث التى سُميت فيما بعد "محاولة اغتيال أمين". درسنا طويلاً كل تفاصيل ما حدث. وخططنا رسومات، وقمنا بنوع من التحقيق. وفى النهاية تأكدنا من أن ما حدث من إطلاق للرصاص فى قصر الشعب كان نتيجة لتصرف تارون. وبالمناسبة فإن أسد الله سارفارى أكد لنا أيضًا فيما بعد أنه تم إعطاء أوامر صارمة لحراس تاراكى، قبل تلك الأحداث بيومين، بألا يسمحوا بمرور أحد بسلاح إلى سكنه. وأنه كان على كل من يدخل قصر الشعب تسليم سلاحه للنوبتجى فى الطابق الأول للمبنى.

ولكن إطلاق النار فى قصر الشعب كان فى صالح حفيظ الله أمين، وقد استغل هذا الحادث بدهاء للتعجيل بالانقلاب والنجاح فى تنفيذه.

تم فصل الاتصالات الهاتفية عن تاراكى، ثم الكهرباء والماء. أصبحت إقامته محددة فى بيته. بقيت عائلته وحرسه الخاص معه فى الوقت الحالى. ولكن تاراكى لم ير بعد ذلك أحدًا من ممثلى الاتحاد السوفييتى.

أما ما يتعلق بالنائب الأول لرئيس جهاز الأمن - يوسف، الذى قابلته فى حجرة استقبال رئاسة هيئة أركان الحرب العامة، فقد استدعاه أمين بعد انصرافنا. كان يوجد على المكتب مسدس. سأل أمين يوسف بفظاظة عن الجانب الذى

يناصره، هل هو معه أو مع تاراكي؟ أجابه يوسف بأنه مع الحزب. فأمسك أمين بالمسدس ووجهه إلى يوسف وكرر سؤاله. رأى يوسف أنه في موقف لا مخرج منه، فأعلن أنه في جانب أمين. بعد ذلك أمر بأن يذهب لأداء واجبه في عمله، ولكنه نُحِّيَ عن أداء العمل الاستخباراتي الفعلي وكان يشتغل أكثر في الشئون الاقتصادية. وبعد ذلك كرر يوسف طلبه مني في خلال مقابلاته القصيرة معي بأن أدبر له سفرية إلى موسكو للدراسة لأنه كان واثقًا من أنه بالرغم من أي شيء فإن حفيظ الله أمين سوف يتخلص منه.

ولكن لم تنته أحداث ١٤ سبتمبر بذلك. فعلى مدى اليوم بطوله حدث تطور لحدث لا يقل عنها بوليسية.

بعد ذهاب بوزانوف مع مجموعة الجنرالات إلى مقر تاراكي بقليل، جاءني رجل الاستخبارات "سامونين" من ممثلية العمل الاستخباراتي وأخبرني بأن زوجته العاملة في مركز وكالة أنباء نوفوستي، وجدت عند عودتها إلى المنزل للغذاء كلاً من جولیابزوی وفاتاندجار وأسد الله سارفاري. فطلبت من زوجها هاتفيًا الحضور بسرعة. كانوا هم الثلاثة مسلحين، كما كانت سيارة تويوتا واقفة في الجاراج. وكان يوجد في حقيبة السيارة ٣٦٠ ألف أفغاني (العملة الأفغانية) من تلك النقود التي كنت قد سلمتها من قبل لأسد الله سارفاري من أجل العمل الاستخباراتي. روى أسد الله سارفاري لسامونين إنه عرف من مصادره أن حفيظ الله أمين أمر رجاله في الجيش وفي الشرطة وفي جهاز الأمن بأن يعثروا على الأربعة وزراء، وأن يقبضوا عليهم فورًا، أو من الأفضل أن يقوموا بتصفيتهم بأية وسيلة. لذلك فإن أسد الله سارفاري أخذ التويوتا وعرج على مكتبه في الصباح الباكر وأخذ منه رشاشًا والنقود ثم وجد جولیابزوی وفاتاندجار. واندفع الثلاثة إلى إدارة مكافحة التجسس حيث أخذوا بعض الأسلحة الأخرى واختبأوا. لم ينجحوا في العثور على موزدوريار، حيث إنه كان قد سافر للاستجمام خارج المدينة. كما قلنا أعلاه فإن

نائب رئيس جهاز الأمن "نواب" وفرقته الذين جاءوا إلى جهاز الأمن لتصفية أسد الله سارفارى لم يعثروا عليه هناك.

كان من الواضح أنه تم الإعلان فى المدينة على أنه جارى البحث عن الوزراء. فكان ظهورهم فى سيارة أو مترجلين فى منتهى الخطورة. كنت مدركًا أن حفيظ الله أمين يمكن أن يبحث عنهم فى السفارة السوفييتية أو عند أىٍّ من الممثلين السوفييت. أخبرت كريوتشكوف بالوضع واقترحت عليه نقل الوزراء سرًا إلى الفيللا التى يقيم بها أفراد قواتنا الخاصة "زينيت". تهرَّب كريوتشكوف من الإجابة المباشرة.. ثم مرت حوالى ساعتين. نظرًا لإطلاق الرصاص فى دار الشعب فقد كان الموقف معقدًا.

عندما بدأ ضوء النهار يشحب، ناديت على ضابط أمن السفارة "باخترون" واقترحت عليه، على مسئوليتى، أخذ سيارة YA3-69 من فصيلة "زينيت"، وبذل تمويه والذهاب إلى سامونين وأخذ الوزراء إلى فيللا "زينيت". بعد حوالى ٣٠-٤٠ دقيقة كان قد تم تنفيذ كل ذلك. وقد تم إسكانهم فى الفيللا فى حجرة منفصلة بالطابق الثانى. تمت تغطية نافذتها ببطانية. كما تم تشديد الحراسة على الفناء.

بعد ساعة ونصف من ذلك اتصل نائب رئيس إدارة الاستخبارات وقال إنه تم عرض موضوع الثلاثة وزراء على أ.بريجنيف شخصيًا، وأن الأخير قال "بأن يتم الدفاع عن صالحهم". وقد اقترحت موسكو إخفاءهم فى موقع مجموعة "زينيت". تنفست الصعداء وأخطرتهم بأن كل ذلك قد تم تنفيذه منذ ساعتين.

طلب منى إيفانوف فى الساعة ١٩:٠٠ الذهاب إلى الوزراء والتحدث معهم، واتخاذ إجراءات إضافية لأمنهم. أرسلت قادة زينيت سيارة YA3-69 لأخذى. ودخلت السيارة إلى المدينة السوفييتية من بوابة الممثلية التجارية. أخذت علبة كافيار أحمر وزجاجة فودكا، ولبست كاسكيت وجاكيت القوات الخاصة ودخلت بنفس الطريقة، أى عبر بوابة الممثلية التجارية سرًا إلى الفيللا. رأيت الوزراء

الثلاثة فى حجرة كبيرة جالسين إلى مائدة. كان مظهرهم يدل عن الانقباض والتعب الشديد. عندما رأونى دبت فيهم الحياة، وسألنى فورًا فاتاندجار: "هل الرفيق تاراكى حيٌّ؟ وأين هو الآن؟ قلت لهم لكى أطمئنهم قليلاً إن تاراكى فى قصر الشعب ، ومعه حرسه الخاص. وإنه فى الوقت الحالى لا شيء يهدده. أعلنوا بإصرار أن حفيظ الله أمين قد قام بانقلاب. أحضروا لنا العشاء- لحم بالبطاطس. وبدأ الثلاثة يروون باختصار أحداث هذا اليوم مرة أخرى. عرضت عليهم الفودكا والكافيار، ولكنهم الثلاثة رفضوا. فى خلال الحديث كانت تلمع الدموع فى عينَى فاتاندجار طوال الوقت. وفى لحظة ما أعلن أسد الله سارفارى:

- أعطونا سرية من الكوبيين وسوف نمسح زمرة أمين.

قلت له، إنه لا يمكن أبدًا أن نتحدث فى ذلك الآن. طلبت منهم بحزم: إنه نظرًا لأننا قد أخذنا على عاتقنا مسئولية حمايتهم ألا يقوموا بأية خطوات عملية بدون الاتفاق معنا، واقترحت عليهم أن يسلموا لى كل أسلحتهم الشخصية. كان موضوعًا على سرير رشاشان من طراز "شمايسر" ورشاش "كلاشنيكوف" ومسدس من عيار صغير، كان قد أهداه نائب وزير داخلية الاتحاد السوفييتى "بابوتين" فى يولية ١٩٧٨ لفاتاندجار، ومسدس تشيكى الصنع يؤول لأسد الله سارفارى. حذرت الوزراء من ألا يخرجوا من مبنى الفيللا فى ضوء النهار. وعدتهم بالحضور فى اليوم التالى. ثم أخذت الأسلحة، وأعطيت تعليماتى لقائد مجموعة "زينيت" ثم عدت مرة أخرى سرًّا إلى موقع المدينة السوفييتية.

ولكن بقيت مشكلة التويوتا التى استمرت فى الوقوف فى جاراج سامونين. اجتمعنا؛ إيفانوف ورئيس المجموعة الاستخباراتية المقيمة "أوسادشى" وأنا لبحث هذا الأمر. اقترح أوسادشى أن يقود أحد رجالنا السيارة إلى خارج المدينة وأن يفجرها هناك. وقفت معارضًا لتلك الفكرة حيث إنه توجد فى أطراف المدينة فى كل مكان نقط حراسة مشددة تلقت أوامر أمين، وتستطيع إطلاق النار على السيارة بلا إنذار، مما سيكون له نتائج ثقيلة بالنسبة لنا. هنا تذكرت أن أحد رجال الممثلية

التجارية يمتلك سيارة تويوتا مماثلة لهذه السيارة تمامًا، وهو يخرج ويرجع بها يوميًا من بوابة الممثلية التجارية، ويعرفه تمامًا أفراد الشرطة المسئولون عن الحراسة عند البوابة. كانت فكرتى تتلخص فى الاتفاق مع هذا الرجل بحيث يخرج بسيارته إلى المدينة حيث تراه الشرطة النوبتجية، وأن يذهب لزيارة أحد الرفاق السوفييت. وهناك ينزع لوحة الأرقام ويُركِّبُها على تويوتا سارفارى ويحضرها إلى مقر الممثلية التجارية وأن يضعها فى جاراج مغلق. وبعد تغيير وردية الحراسة عند البوابة، أو فى اليوم التالى تُكرَر هذه العملية لإرجاع السيارة الأولى. وبعد ذلك يتم تفكيك سيارة سارفارى عندما يتاح ذلك وتُستخدم بعض القطع منها كقطع غيار، أما الأجزاء المتبقية فيمكن دفنها. وقد كُلِّف أوسادشى بتنفيذ هذه العملية. لم أهتم بالوسيلة التى تم بها تنفيذ ذلك عمليًا، ولكن سيارة سارفارى "اختفت". يجب هنا الإشارة إلى أنه كانت تعمل على أرض المدينة السكنية السوفييتية مجموعة من الأفغان من عمال النظافة والبستانيين. ومن خلال إمكانياتنا رأينا كيف كانوا ينفذون واجباتهم "بضمير" فى الأيام التالية، حتى أنهم كانوا يتسللون إلى الأماكن التى لم يكن من المفروض أن يظهروا فيها فى الفناء الكبير.

فى يوم ١٥ سبتمبر أخطرت كريوتشكوف بالوضع. وقد تقرر فى موسكو نقل الثلاثة وزراء إلى داخل حدود الاتحاد السوفييتى. وبالطبع قمت بزيارتهم مرة أخرى ورويت لهم مقترحات موسكو وحصلت على موافقتهم التامة. وبعد ذلك بدأ وضع خطة العملية، التى سُمِّيت مجازًا باسم "رادوجا" (قوس قزح) فى أثناء الحديث الهاتفى مع كريوتشكوف.

عملية "رادوجا"

من حيث المبدأ، كانت توجد طريقتان لإخراج الوزراء إلى أرضنا: عبر الحدود البرية، أو جويًا. كان من الواضح أنه من المستبعد تمامًا إخراجهم عن طريق أراضى إيران أو باكستان أو الصين، فى ظل الوضع القائم. أما إذا تم إخراجهم عن طريق الحدود البرية السوفييتية، فقد كان من اللازم قطع حوالى ٤٠٠ كيلومتر سرًا فى اتجاه مزار- شريف أو أكثر من ١٠٠٠ كيلومتر فى اتجاه كابول-هيرات- كوشكا. قمنا باختيار نقلهم جويًا. كان من الصعب جدًا إخراجهم عن طريق السفر على إحدى رحلات شركة "إيروفلوت" أو أية شركة طيران أخرى، بسبب مشكلة الأوراق الرسمية، والتذاكر و تخطى قوات الحراسة.

عندئذ بحثنا فى إمكانية استخدام القاعدة الجوية العسكرية بباجرام، حيث توجد مجموعة من القوات السوفييتية، وحيث كان يعمل أيضًا خبيرنا مع رئيس مكافحة التجسس بالقاعدة الجوية العسكرية العقيد "داديكين". وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت تهبط بها كثيرًا طائراتنا العسكرية الناقلة. كان أصعب ما فى هذا الاختيار هو جزء الطريق من كابول إلى باجرام والذى يبلغ طوله ٦٠كم.

كانت الخطة جاهزة قبل صباح يوم ١٦ سبتمبر وتم عرضها على موسكو. وقد حُدِّد يوم تنفيذها فى ١٧ سبتمبر.

انطلق هذا الاختيار من أن هذا يوم جمعة، يوم إجازة، وأنه بالطبع كان يستريح فيه الكثيرون من العاملين فى الهيئات الأفغانية. طبقا لخطتنا: كان يجب أن تهبط طائرة نقل ثقيلة من طراز AH -٧٦ فى الساعة ٨:٠٠ يوم ١٧ فى باجرام وأن تسير إلى هذا الجزء الذى تتمركز فيه كتيبتنا ويوجد به مستشارونا. كان يجب أن يصل على الطائرة سيارات نقل مغلقة من طراز ГА3-٦٣ مع مجموعة حراسة وثلاثة صناديق كبيرة مصنوعة من ألواح خشبية. وبعد هبوط الطائرة

وتوقفها تدفع من داخلها سيارة من طراز جاز ٦٣. هنا يستقبلها مستشارنا "داديكين" هي وفريق الحراسة. وهو يتقدم المجموعة التي وصلت في سيارة عادية للخروج من القاعدة الجوية العسكرية ويرافقها إلى كابول. والطائرة تتحرك إلى وضع لتكون جاهزة لشحنها مرة أخرى وانطلاقها. لا يجب أن تمر السيارات عند اقترابها من كابول من خلال وسط المدينة ولكن عبر طريق يدور حوله بحيث تصل إلى الهنجر في حوالي الساعة ٩:٠٠- ٩:١٥ . وسوف يكون موظف الممثلية كابانوف في انتظارها هناك اعتبارًا من الساعة ٩:٠٠ في سيارته. سوف ينتظر داديكين في منطقة الهنجر منتظرًا عودة المجموعة. أما كابانوف فيصاحب السيارة ٦٣-ГA3 إلى الفيللا. ثم تدخل السيارة بظهرها إلى جاراج الفيللا الذي تفتح بوابته على شارع جانبي. ثم تقفل بوابة الجاراج ويتم إنزال الصناديق من السيارة وتُنقل عبر باب الجاراج المؤدي إلى الفناء ثم إلى الفيللا (هذه المسافة حوالي ١٢-١٥ مترًا). يدخل الثلاثة وزراء في الصناديق ثم يُنقلوا عبر الباب إلى الجاراج ثم إلى صندوق السيارة. طبقًا لتخطيطنا، كان يجب أن ينتهي هذا الجزء من العملية في الساعة ١٠:٠٠ على الأكثر. ثم يرافق كابانوف مرة أخرى سيارة ٦٣-ГA3 إلى الصومعة ويسلمها إلى داديكين الذي يعمل على مرورها بلا عوائق في الطريق وفي منطقة القاعدة الجوية العسكرية بباجرام. وفي نفس الوقت فقد تم إخطار المجموعة المرافقة بأنه في حالة أية ظروف غير متوقعة وأية محاولات تفتيش للسيارة ٦٣-ГA3 فإن عليها أن تقاوم ذلك بشتى الطرق حتى لو وصل الأمر إلى استخدام الأسلحة. وفي مطار باجرام تدخل السيارة ٦٣- ГA3 فورًا بدون أن تتوقف إلى داخل الطائرة التي يجب أن تنطلق فورًا في حوالي الساعة ١١:٣٠. وفور انطلاق الطائرة يتصل داديكين عن طريق خط الاتصال السري بكابول وينطق بجملة سرية لرجلنا من مكافحة التجسس بمركز الاتصال "ميكرون". ويقوم الأخير بدوره بالاتصال بي في السفارة عن طريق التليفون العادي بعبارة سرية تعني أن الطائرة في الجو.

دُرست الخطة أيضًا فى موسكو وتمت الموافقة عليها فى أعلى مستوى. وفى خلال اليوم قمت بالتدقيق فى بعض التفاصيل وفى إعطاء التعليمات لبعض العاملين بدون الإفصاح عن كل أساس العملية. وبالإضافة إلى ذلك اتصلت هاتفيًا برئيس أحد أقسام موسكو، والذى كان مشاركًا فى هذا العمل، حيث تم الاتفاق على مقاس الصناديق. وقد قمت بإعداد مخطط للخطة به كل التفاصيل والتوقيتات.

وقد تم إخطار الوزراء لكى يكونوا جاهزين قبل صباح يوم ١٧ سبتمبر.

ولكن فى مساء يوم ١٦ سبتمبر اتصل بى كريوتشكوف وأبلغنى أن الطائرة القادمة من موسكو سوف تتوقف فى طريقها فى سمرقند لأسباب فنية. لذلك لن تستطيع الوصول إلى باجرام فى الساعة ٨:٠٠. وقد اقترح كريوتشكوف أن يرحِّل موعد بداية تنفيذ العملية إلى الساعة ١٠:٠٠.

فكرت قليلاً ثم قلت له إن كل شىء محسوب عندنا بالدقيقة وإنه من الأفضل تأجيل العملية يومًا كاملاً. وافق على ذلك.

اضطررت مرة أخرى للذهاب إلى الوزراء وأن أعطيهم إشارة انسحاب لمدة يوم. استقبلوا ذلك بصورة طبيعية تمامًا.

وبذلك جاء يوم ١٨ سبتمبر عام ١٩٧٩. حضرت إلى مكتبى فى الساعة السابعة صباحًا. فردت على المكتب مخطط الخطة. ولكن لم يعد شىء يتوقف علىَّ الآن، فقد بدأت العملية تسير بنفسها. حضر إيفانوف فى الثامنة وجلس فى مكتبه. وفى الساعة ٩:٠٠ اتصل من موسكو النائب الأول لرئيس مكافحة التجسس "ماركلوف" سائلاً عن مسار الأمور. تبين أن ماركلوف بقى فى الإدارة نوبتجيًا، وأنه أمضى الليلة فى المكتب، حيث كان يريد أن تكون لديه معلومات قبل وصول كريوتشكوف. كان رد فعل إيفانوف حادًا على هذه المكالمة فقال له إنه طالما لم نتصل نحن، فهذا يعنى أن كل شىء يسير طبقًا للخطة، وطلب ألا يتم إزعاجنا حاليًا.

طبقا لحساباتى فإن السيارة جاز ٦٣ كان من الواجب أن تكون فى الساعة ٩:١٥ فى منطقة الفيللا جاهزة لشحنها. كان القلق ينتابنى وطلبت من سائقى أن يذهب إلى منزلى لإحضار قميص نظيف لأنى قد أمضيت جزءًا من الليلة السابقة نائمًا فى عيادة السفارة. وقد طلبت أن يمر فى طريقه بالقرب من فيللا زينيت وأن يرى الوضع حولها بدون أن يتوقف. عاد بعد حوالى ١٥ دقيقة وقال لى إنه رأى السيارة جاز ٦٣ واقفة بظهرها ملاصقة لبوابة الجاراج المفتوحة. فهمت فورًا حدوث خطأ – فبالطبع لم تكن السيارة جاز ٦٣ تستطيع لارتفاع طولها أن تدخل من بوابة الجاراج. ولكن بقى علينا فقط الانتظار.

حضر كابانوف تقريبًا فى الساعة ٩:٥٠ وأخبرنى بأنه قد رافق السيارة إلى الهنجر، وأنه قد سلمها لداديكين لكى يصاحبها. انتظرنا ساعة أخرى صعبة. وفى النهاية رن الهاتف من مركز الاتصال "ميكرون" وذكر لى رجلنا الجملة السرية. اتصلت فورًا بكريوتشكوف بجهاز راديو ذى تردد عالٍ وأخبرته بأن الطائرة تحلق فى الجو فى طريقها إلى طشقند. وفجأة سمعت عبارة: "حسن! يا رفيق بجدانوف، اشرب الخمر اليوم، اشرب".

كان من الغريب أن يصدر ذلك من كريوتشكوف، الذى كان لا يتناول المشروبات الكحولية وكان موقفه سلبيًا مع العاملين الذين كانوا يحبون ذلك. ولكنى على أية حال أجبته: "فلاديمير ألكسندروفيتش! بما أن ذلك مطلوب- سنفعله". لم يطل كريوتشكوف فى الحديث لأنه كان يريد إبلاغ الرئاسة العليا على عجل.

عندما قمنا بدراسة النتائج وطابقنا تقارير المشاركين فى العملية، اتضح لنا أنها كانت ناجحة تمامًا وطبقًا للخطة الموضوعة. كانت المشكلة الوحيدة فى الجاراج، فعندما تبين أن السيارة جاز ٦٣ لم تتمكن من دخوله، قرر قائد فرقة "زينيت" والمجموعة المرافقة ألا يتم إخراج الصناديق من السيارة. تصنَّعوا أنهم ينقلون صناديق فارغة وبعض الأسرَّة المنطبقة ومراتب أسرَّة من الفيللا إلى الجاراج. وقد أخرجوا الثلاثة من الفيللا تحت ستار المراتب بالذات، ثم أدخلوهم فى

الصناديق داخل صندوق السيارة. كان ذلك له ما يبرره حيث إنه كان يوجد منزلان خارج حدود فناء الفيلا وكان يمكن منهما مشاهدة جزء طوله ١٢-١٥ مترًا بين الجاراج والفيلا. بقى الوزراء فى الطائرة فى الصناديق إلى أن تم عبور الحدود السوفييتية، ثم سُمح لهم بالجلوس على مقاعد فى عنبر البضائع.

وبذلك تمت عملية "رادوجا". ولكن بقى عند أمين وآخرين ممن عرفوا الثلاثى سؤال: "أين اختفى الوزراء الثلاثة؟". لذلك ففى اليوم التالى قمنا بنشر خبر بين الدبلوماسيين عن طريق الإمكانيات المتاحة لممثلية عمل الاستخبارات يفيد بأن الوزراء الذين اختفوا فى يوم ١٤ سبتمبر قد ظهروا فى إيران. هل وصل هذا الخبر إلى أمين أم لا؟ وهل صدقه أم لا؟ لا أعرف. كان يميز الأفغان من مختلف المستويات والذين تعاملت معهم أنهم لم يسألونى أبدًا عن الوزراء الهاربين. كما لم أطرح أنا أيضًا مثل هذه الأسئلة. ولكنى أعتقد أن أمين لم يكن يستبعد ظهورهم فى الاتحاد السوفييتى. ولكنى واثق من أن أمين رأى أن وجودهم خارج حدود أفغانستان أحسن له من وجودهم فى كابول فى ذلك الوقت.

نتيجة لنجاح عملية "رادوجا" فقد أرسل إيفانوف اقتراحًا بمنح أوسمة لخمسة من رجالنا. وقد عرض هذا الموضوع على ى.ف.أندروبوف. وعرفت فيما بعد أن أندروبوف اعتبر هذه العملية حساسة وسرية لدرجة أنه كان ضد الإعلان عنها حتى لرئاسة المجلس الأعلى للاتحاد السوفييتى[1]. وقد اقترح تأجيل تقديم الأوسمة ومنحها فى يوم "رجال المخابرات" فى ديسمبر. ولكن كما يحدث كثيرًا عندنا، تم نسيان ذلك.

وفى نفس الوقت كان عندنا إحساس مهنى وأخلاقى بالرضا، خاصة على خلفية فشل عملية المخابرات المركزية الأمريكية لتحرير الرهائن الأمريكان بسفارة

---

(١) البرلمان.

الولايات المتحدة الأمريكية فى إيران، والتى نُفذت تقريبًا فى نفس هذا الوقت بواسطة مروحيات وقوات خاصة.

وصول حفيظ الله إلى السلطة

فى أثناء ذلك نفذ حفيظ الله أمين آخر إجراء لإكمال الانقلاب.

عقد فى ١٦ سبتمبر ١٩٧٩ اجتماعًا عامًا للّجنة المركزية للحزب الوطنى الأفغانى الديموقراطى. وعرض فيه أمين صعوبة الوضع و"مؤامرة الوزراء" ضده، كما أعلن أنه إذا "طلب تاراكى تنحيه عن كل المناصب التى يشغلها بسبب حالته الصحية فإن الرفاق السوفييت لن يعارضوا". وقد كان هناك انطباع عند بعض أعضاء اللجنة المركزية للحزب بأنه قد تم الاتفاق فى هذا الموضوع معنا. ولكن ذلك كان خداعًا.

وفى نفس الوقت اُنتُخب حفيظ الله أمين فى الاجتماع سكرتيرًا عامًا للّجنة المركزية لحزب الشعب الديموقراطى الأفغانى. وبذلك أصبح بطريقة آلية رئيسًا لمجلس قيادة الثورة، ورأس الحكومة كما احتفظ بمنصب وزير الدفاع. ونشر بهذه المناسبة بيانًا تم فيه إعطاء تاراكى حقه وعبَّر فيه عن شكره لعمله السابق.

سؤال يطرح نفسه، لماذا كان حفيظ الله أمين واثقًا بهذا الشكل من تأييد اللجنة المركزية لحزب الشعب الديموقراطى الأفغانى؟ عرفت الإجابة على هذا السؤال فيما بعد- فعندما أصبح أسد الله أمين فى نهاية سبتمبر أو أوائل أكتوبر١٩٧٩ رئيسًا لجهاز الأمن، تفاخر بوضوح فى خلال أحد أحاديثه معى وحكى لى عن أنه فى أثناء وجود تاراكى فى هافانا، استدعى أسد الله أمين كل أعضاء اللجنة المركزية لحزب الشعب الأفغانى الديموقراطى فردًا فردًا على حدة. وضع مسدسه على المكتب، وتمكن، قبل عودة تاراكى من كوبا، عن طريق الإقناع والتهديد ضمان أن ٦٠% من أعضاء اللجنة المركزية سيكونون على استعداد لتأييد حفيظ الله أمين فى معركته مع تاراكى. وبالطبع لم يعرف تاراكى ذلك.

تم عمل تعديلات فى الحكومة. فقد تم تعيين "عزيز أكبرى" رئيسًا لجهاز الأمن. ومنذ اللقاء الأول عبَّر لى عزيز أكبرى عن قلقه على مصيره الشخصى.

وطلب منى ألا أخبر حفيظ الله أمين بأنه عندما حضر "الرباعى" إلى السفارة اقترب منها وتبادل بضع كلمات مع "أسد الله سارفارى". وكان عزيز أكبرى يعتقد أن حفيظ الله أمين سوف يتخلص منه فى مرحلة ما لأنه "يعرف الكثير، أكثر من اللازم". وقد طلب منى عزيز أكبرى أن أفعل ما يمكن حتى يرسله حفيظ الله أمين إلى عمل دبلوماسى. وعدته بالتفكير فى ذلك.

وبعد بضعة أيام تم تعيين "أسد الله أمين" رئيسًا لجهاز الأمن. كان يبلغ الثلاثين من عمره. وهو ابن "عبد الله أمين"- الأخ الأكبر لحفيظ الله أمين- الذى كان يرأس شركة "سبينزر" لتصدير القطن، ويعيش فى "كوندوز" مع عائلته المكونة من ٤٠ فردًا، وكان له حرس خاص. كان أسد الله ابنًا لإحدى زوجات عبد الله أمين الأربع، وكان متزوجًا من إحدى بنات حفيظ الله أمين. وبذلك كان أسد الله أمين ابن أخ وفى نفس الوقت زوج بنت حفيظ الله أمين. وعندما حضرت إلى كابول، كان أسد الله أمين يشغل منصب نائب وزير الصحة. وقبل الانقلاب كان نائبًا لوزير الخارجية وعضوًا باللجنة المركزية لحزب الشعب الديموقراطى الأفغانى، وأمين الحزب بمدينة كابول، ورئيسًا لمجلس إدارة جمعية الصداقة الأفغانية- السوفييتية. وكان يقيم مع حفيظ الله أمين.

أصبح عزيز أكبرى مرة أخرى رئيسًا لإدارة مكافحة التجسس، ثم أُرسل سفيرًا لجمهورية أفغانستان الديموقراطية بالعراق وفى نفس الوقت أصبح سفيرًا بالعربية السعودية.

وبذلك فقد بدأ عملى مع الرئيس الثالث لجهاز أمن جمهورية أفغانستان الديموقراطية.

وبقى تاراكى محددة إقامته بمنزله. كانت جنازة س.تارون مهيبة. وبأمر من حفيظ الله أمين تم تغيير اسم مدينة جلال أباد ليصبح "تارونشهر"، ولكن هذه التسمية لم تستمر طويلاً. وقد طلب حفيظ الله أمين من تاراكى تسليم النقيب بابراك وقاسم اللذين أطلقا الرصاص على تارون. اضطر تاراكى لتنفيذ ذلك، وتم إعدام

كلا الحارسين رميًا بالرصاص. استمر حفيظ الله أمين فى الضغط على تاراكى نفسيًا. علمنا بوقائع حدثت عندما أحضر حفيظ الله أمين وأعوانه إلى منزل تاراكى أخاه الأصغر ومثلوا استعدادهم لقطع أذنى الأخ أمام عينيه...إلخ. كان يصاحب كل ذلك شعار "الدم بالدم". وبعد ذلك بقليل نُقل تاراكى إلى منزل صغير حيث تم حجزه به تحت حراسة مشددة. وقد وصلتنا معلومات تفيد بأن طبيبًا يحضر إلى تاراكى لحقنه بعقاقير تؤدى إلى انهيار نظام تاراكى العصبى تمامًا.

وفى نفس الوقت فقد أكد حفيظ الله أمين للسفير بوزانوف ولباقى الرفاق السوفييت فى يوم ١٧ سبتمبر وبعد ذلك أنه لن تسقط و لو شعرة واحدة من رأس تاراكى. وقد أخطرت السفارة موسكو بهذه المعلومات. أما عائلة تاراكى فقد وُضعت فى سجن "بولى تشرخى"، الذى بناه الفرنسيون فى ضاحية متطرفة لكابول. وقد وصلتنا معلومات فى أول أكتوبر أنه لوحظت حركة غير عادية حول "كوتشيك باخ"، وأن الطبيب حضر مرة أخرى إلى تاراكى. وفى يوم ٢ أكتوبر، فى حوالى الساعة الثامنة صباحًا، حضر نائبى بوزارة الداخلية اللواء "أ.كوسوجوفسكى" وأفادنى بأنه قابل فى الصباح الباكر بمقر وزارة داخلية جمهورية أفغانستان الديموقراطية رئيس الشرطة الجديد "على شاه"، وأن الأخير قد بادره بإبلاغه سرًا أنه قد تم دفن تاراكى فى حوالى الثانية ليلاً فى إحدى مقابر كابول مع أخيه. أصبح من الواضح لنا أن تاراكى قد اُغتيل وأنه قد دفن سرًا. أرسلت تقييمى للوضع بسرعة إلى موسكو.

كالعادة توزع موظفونا فى هذا الصباح إلى مختلف أماكن عملهم. لم أفصح عن أساس الموضوع ولكنى طلبت منهم جميعًا أن يتتبعوا بدقة الوضع وسمة الأحاديث فى وحدات القوات الخاصة. اتفقنا على التجمع عندى بعد الغذاء. ولكن لم تصلنا أية معلومات أخرى جديدة طوال يوم العمل. وقد بدأ حظر التجول فى هذا اليوم فى الساعة ٢٢. وفقط فى الساعة ٢١:٤٥، أذيع خبر قصير فى الإذاعة عن وفاة الرئيس السابق لجمهورية أفغانستان الديموقراطية متأثرًا بمرضه. كان تخطيط

حفيظ الله بسيطًا: ففورًا بعد هذا الخبر أُعلن حظر التجول. مما أدى إلى منع إمكانية القيام بأية أعمال جماعية.

وفى اليوم التالى، فى حوالى العاشرة حضرت إلى أسد الله أمين، وبالطبع وجهت له سؤالاً عن خبر موت تاراكى. نظر إلىَّ أسد الله أمين بعينين بريئتين وأعلن أنه هو نفسه قد علم بهذا الحدث من الإذاعة بينما كان فى حفل استقبال بفندق "إنتركونتيننتال". كان رد فعلى عنيفًا نوعًا ما، وقلت له إنه إذا كان رئيس المخابرات لا يعرف عن هذه الأحداث فى العاصمة، فكيف إذن يمكننا التعاون معه. كنت مدركًا أن أسد الله أمين أحد أهم مدبرى عملية اغتيال تاراكى. وبعد حديث قصير عن مواضيع أخرى، خرجت من مكتبه. أخبرنى فى اليوم التالى عزير أكبرى أن أسد الله أمين ذهب بسرعة إلى حفيظ الله أمين بعد حديثه معى، وروى له ما دار فى حديثنا بالتفصيل. وقد ألقى حفيظ الله أمين الجملة التالية:

– باجدانوف يخمن كل شىء. يجب أن نعمل على أن يترك جمهورية أفغانستان الديموقراطية.

كان ذلك أول حكم يصدره علىَّ حفيظ الله أمين... ولكنه لم يكن الأفظع.

علمنا بعد وقت قليل ببعض تفاصيل مقتل تاراكى، بل عرفنا اسم أحد المشاركين المباشرين فيه. حقن الطبيب تاراكى بعقار مهدئ. ثم حضر إلى "كوتشيك باخ" ثلاثة نفذوا الحكم. فهم تاراكى كل شىء. أعطاهم بعض الأشياء الصغيرة لتسليمها لعائلته، مثل ساعة يده. ثم وضع الجلادون تاراكى فى السرير، وجلس اثنان منهم على قدميه بينما خنقه الثالث بوسادة. وبعد ذلك تم نقل جثمان تاراكى سرًا إلى المقابر ودُفن بجوار أخيه الأكبر والذى تُوفى قبله.

ولكن ذلك لم يهدئ حفيظ الله أمين. فطبقًا للمعلومات التى لدينا، فقد أُرسل فى منتصف أكتوبر ١٥٠ سيارة نقل إلى منطقة سكن قبيلة "تاراكى" الصغيرة، والتى كان ينتمى لها نور محمد تاراكى، وتم نقل كل أفراد القبيلة (عدة آلاف فرد) إلى الصحراء وقتلهم. وبذلك "رد" التلميذ "المتفوق" دَينه لأستاذه الحبيب.

أصبح موقفى الشخصى حساسًا جدًا. فمن ناحية استمررت فى عملى رئيسًا للممثلية بهيئة أمن جمهورية أفغانستان الديموقراطية. ومن ناحية أخرى كان رئيس هذا الجهاز ورئيس الدولة يرغبان فى رحيلى إلى الاتحاد السوفييتى. تابعت الموقف بدقة، وانتظرت أية خطوات جديدة من جانبهما. وهى قد تتابعت بعد وقت قصير. فأولاً، لم أعد أتقابل مع حفيظ الله أمين على انفراد، وأصبح إيفانوف هو الذى يقوم بذلك عادةً، بالرغم من أننى كنت أذهب أحيانًا معه إلى هذه الزيارات. ثانيًا، لكى يتم الحد من حركتى واتصالاتى، طلب كلا الأمينين من إيفانوف أن أكون فى خلال وقت العمل دائمًا بالقرب من أسد الله أمين. وهما قد أشارا أثناء ذلك إلى ما يُتبع فى عمل المستشارين العسكريين. تحججنا بأننى ما زلت أعمل فى مواضيع وزارة الداخلية وأننى أحل المواضيع اليومية كما أنى أقوم بالاتصالات بموسكو، واقترحنا أن يكون نائبى لشئون مكافحة التجسس "ف.فيليبوف" دائمًا قريبًا من رئيس جهاز الأمن. وبذلك أصبح فيليبوف يذهب كل يوم فى الساعة الثامنة صباحًا إلى هناك، ويبقى حتى الساعة ١٣:٠٠ فى حجرة منفصلة. وكان أسد الله أمين الذى كان يشغل سبعة مراكز مختلفة لايقابله، ولم يستشره فى أى شىء.

وتلا ذلك خطوة أخرى بالأسلوب الشرقى الخالص. ففى أوائل أيام نوفمبر، طار إيفانوف مرة أخرى إلى موسكو. ذهبنا معًا إلى حفيظ الله أمين، فاستقبلنا كالعادة فى حجرة الضيوف بالقصر وهو جالس فى مقعد وثير. كانت توجد مائدة صغيرة بالقرب منه عليها زر للنداء على الخادم. لاحظت فى هذه المرة وجود ورقة كبيرة مقلوبة بحيث كان وجهها النظيف إلى أعلى. استمر الحديث لمدة حوالى ثلاثين دقيقة. فى النهاية تناول حفيظ الله أمين هذه الورقة وقلبها وهو يقول لإيفانوف: "لى طلب عندك. فقد طلب منى يرشوف، عندما كان يعمل هنا، إهداءه صورتى. ولم تكن عندى صور تحت يدى فى ذلك الوقت. أما الآن فقد وجدت وأريد أن أرسل ليرشوف واحدة مكتوب عليها إهداء". قال إيفانوف إنه سوف يلبى بالطبع طلب أمين. وبمجرد أن جلسنا فى السيارة لاحظنا أن هذه كانت صورة قديمة لحفيظ الله أمين، وأن الإهداء مكتوب حديثًا. هنا شرحت لإيفانوف أن توصيل

الصورة عبارة عن تلميح واضح بأن حفيظ الله أمين كان يريد عودة يرشوف إلى كابول ورحيل باجدانوف عنها إلى موسكو. كان رد فعل إيفانوف مختصرًا: "اجلس واعمل".

وبذلك استمر حفيظ الله أمين فى شغل كل المناصب العليا بعد الانقلاب واغتيال تاراكى، واستمر فى تقوية مركزه، وفى عمل تغييرات فى الأفراد أيضًا. فقد حصل بصفة خاصة على مركز وزير الدفاع. لقد سبق أن ذكرنا أن أحد أهدافه الرئيسية كانت السيطرة على القوات المسلحة. كما أنه عيَّن قريبه المخلص له أسد الله أمين فى منصب رئيس جهاز الأمن. يجب أن أذكر أنى تمكنت من التحدث مع أمين بخصوص عزيز أكبرى الذى طلب منى أن أتصرف بحيث يتم إرساله إلى الخارج خوفًا من أن أمين سوف يصفيه فى يوم ما لأنه يعرف الكثير. وقد تم إرسال عزيز أكبرى سفيرًا إلى العراق. وطبقًا لمشورتنا أصبح أيضًا سفيرًا فى العربية السعودية. وبالإضافة إلى ذلك فقد نصحنا أمينًا بأن يجعله رئيسًا لمجموعة الاستخبارات الأفغانية فى هذه المنطقة. فقد كان ذلك مفيدًا لنا، فلم يكن لنا فى ذلك الوقت علاقات دبلوماسية مع العربية السعودية وكان خلق ظروف للاختراق الاستخباراتى لهذا البلد يمثل دائمًا مشكلة لنا. كنت أعرف أن ممثل الكى.جى.بى. فى العراق كان على اتصال مع عزيز أكبرى فى أثناء وجوده هناك فى المناصب التى ذكرتها.

أجرى حفيظ الله أمين تغييرات فى وزارة الداخلية، فعين رجله "على شاه" رئيسًا للشرطة، وعين "شاه والى" وزيرًا للخارجية...إلخ. ولكن مع تثبيت وضعه كان ينظم أموره بخصوص من لم يكن يرتاح إليه. وفى النهاية وصل الأمر إلى سفيرنا بوزانوف. سبق أن ذكرت أنه قد طلب منى منذ مقابلته الثانية معى إبلاغ موسكو برغبته فى تغيير بوزانوف بسفير جديد. وبذلك ففى رأيه جاء الدور على بوزانوف. اتصل بى بوزانوف هاتفيًا كالعادة قائلاً إن كبير المستشارين العسكريين "جوريلوف" فى الطريق إليه وطلب منى الحضور.

ذهبت اليه. حضر جوريلوف ثائرًا كالعادة وسلم السفير مستندًا من ورقة واحدة. كان المستند بعنوان: "الحقيقة حول محاولة اغتيال الرفيق أمين". كما قال جوريلوف، فقد تمت كتابة هذا المستند فى الإدارة السياسية للجيش الأفغانى. وبالمناسبة كان يوجد بها مستشار لجوريلوف أصبح بعد ذلك الجنرال المعروف "زابلاتين". لم ألتق به أبدًا فى كابول، كما لم أره أبدًا، ولم أتعامل معه، كما أنه قد بين من ناحية أخرى فيما بعد جانبه السيئ. ترك جوريلوف هذا المستند للسفير، فتعرفنا عليه بالتفصيل. كان ما جاء فيه يتلخص فى أنه عندما تم إطلاق الرصاص فى القصر فى يوم ١٤ سبتمبر ١٩٧٩، كان سفيرنا بوزانوف، الذى كان قد حضر إلى تاراكى، قد اتصل هاتفيًا بأمين طالبًا منه الحضور ضامنًا له أمانه الكامل فى أثناء المقابلة المرتقبة.

كان أمين يتهم فعليًا بوزانوف بأنه تقريبًا مدبر أو أحد منظمى محاولة اغتياله. ولكن الموضوع كان أن أمين وغيره من الواقفين خلف ذلك لم يكونوا مدركين أن السفير المفوض ليس مجرد موظفًا فى هيئة و لكنه ممثلاً لدولة. لذلك فإذا وُجِّه اتهام مماثل لسفير، فبالطبع يكون ذلك اتهامًا موجهًا لدولته، أى فى هذه الحالة للاتحاد السوفييتى.

عند قراءتنا للمستند، أدركنا ضرورة إخطار موسكو به. وبالإضافة إلى ذلك، فقد وُزع المستند فى الهيئات الحزبية، وفى دوائر جيش جمهورية أفغانستان الديموقراطية. بل أن وزير العلاقات الخارجية شاه والى قد دعا كل سفراء الدول الاشتراكية بما فيهم رومانيا ويوغوسلافيا، أى الدول التى كان يوجد فى علاقة الاتحاد السوفييتى بها توتر، وقرأ عليهم هذا النص فى هذه المقابلة. كان ذلك عملاً خطيرًا من جانب أمين. وفى رأيى أنه لم يفكر جيدًا فى العواقب التى يمكن أن تحدث. عند مناقشتى أنا والسفير للوضع القائم، وصلنا إلى أنه يجب عمل بيان رسمى لأمين، على مستوى وزارة خارجية الاتحاد السوفييتى على الأقل، وتقييم هذا المستند على أنه عمل موجه ضد بلدنا لا ينم عن الصداقة. أرسلنا برقية بهذا المعنى مصحوبًا بنص المستند وتعليقات السفير إلى موسكو.

مرت عدة أيام وجاء الرد على هذه البرقية مذيّلاً بتوقيع وزير الخارجية جروميكو. كانت التعليمات تقول: "يذهب السفير مع الرفاق بافلوفسكى وجوريلوف وباجدانوف إلى أمين ويعلنون له ما يلى...". وبعد ذلك دار الحديث عن تحليل المستند الأفغانى وتقييم قاسٍ لهذا العمل الذى قام به حفيظ الله أمين. عندما انتهيت من قراءة النص القادم من موسكو، قلت لبوزانوف: "ألكسندر ميخيلوفيتش، لا يجب أن نذهب نحن الأربعة، بل يجب أن يذهب شخص واحد فقط منا. لا أعرف من سيكون الأفضل، ولكن يمكننى أن أذهب أنا وحدى. خذ فى اعتبارك أن هذا شخص شرقى له أخلاق وعزة نفس معينة. فإذا ذهبنا إليه كمجموعة كبيرة وهاجمناه، فسوف يكون ذلك مثل "حلقة مصارعة الثيران" سيشعر فيه بأنه ثور مصاب، ولن يؤدى وجود عدة أشخاص عنده إلى شىء جيد. فهو لن يقدم أى اعتذار أو تسوية للوضع.

وقال بوزانوف:

- ولكن ماذا أستطيع أن أفعل؟ توجد تعليمات، يجب أن نذهب جميعًا.

ذهبنا فى اليوم التالى لاستلامنا برقية موسكو إلى حفيظ الله، وكان معنا أيضا المترجم "دميترى ريوريكوف". وصلنا إلى القصر ودخلنا إلى حجرة مكتب كبيرة. كان يجلس حفيظ الله أمين فى مقعد وثير إلى مكتب صغير. عندما رأى مجموعتنا انتبه بوضوح. جلسنا إلى مائدة بيضاوية صغيرة. كان يوجد فى اليسار أريكة صغيرة، جلس عليها بافلوفسكى والسفير. أما على اليمين، فقد جلس بالقرب من أمين كل من ريوريكوف وجوريلوف ثم أنا. طلب لنا أمين شايًا وقهوة. جلست فى مقابل أمين. جلست فى هذا المكان لمراقبة تطور الموقف. فى هذا اليوم، كانت معروضة على أمين مجموعة من نماذج أنواط. ففى عهد تاراكى كانت توجد أنواط طلب أمين تغيير بعضها بعد وصوله إلى السلطة. بدأ السفير الحديث بسؤاله عما إذا كان أمين قد رأى الأنواط التى كان يجب أن يعرضها عليه ممثل دار سك

العملة الذى جاء إلى كابول. قيّم أمين إيجابيًا العينات التى عُرضت عليه، ولكنه كان يقظًا جدًا. بعد ذلك قال له السفير:

-أيها الرفيق أمين، لدينا تكليف من موسكو.

ثم قال لريوريكوف: اقرأ.

صببت القهوة ونظرت إلى أمين. مع قراءة ريوريكوف للمذكرة المكتوبة كانت عينا أمين تكتسب لونًا دمويًا. تغيَّر وجهه بشكل ما، ولكنه أنصت إلى النهاية. وبعد انتهاء القراءة قال بعنف:

-هذا ليس صحيحًا.

وبدأ الحديث بنبرة عالية. كان موقف أمين يتلخص فى أن كل ما ورد فى المستند عن محاولة اغتياله كان صحيحًا تمامًا. وفى رأى أمين أن السفير يشوه الحقيقة، ويبلغ المكتب السياسى واللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى بمعلومات غير صحيحة. أشار إلىَّ د.ريوريكوف وهو يضيف:

- لقد ترجم لنا. سوف ترجعون إلى السفارة وسوف يروى لكم كل الحقيقة.

فى لحظة ما لم يتمالك بافلوفسكى نفسه، فضرب يد الأريكة بقبضته صائحًا:

- أيها الرفيق أمين، هل نحن حضرنا لابتزازك، أم ماذا؟

ثم تحدث جوريلوف قائلاً إنه حضر هذا اللقاء الدراماتيكى وقدم رواية مطابقة للحقيقة. أصرَّ أمين مرة أخرى على رأيه، وكرر أن السفير لا يقدم معلومات صحيحة للمكتب السياسى وأن كل ما هو مكتوب فى الوثيقة الأفغانية صحيح...إلخ. تحدث السفير وجوريلوف وبافلوفسكى من جانبنا، أما أنا فقد لزمت الصمت. أولاً لأننى لم أكن حاضرًا عندما تم إطلاق الرصاص عند تاراكى. كما أن كلامى لم يكن سيضيف شيئًا لأن سمة الحديث كانت واضحة لى حتى قبل الحضور إلى هنا. ولكن فى النهاية جمع أمين قواه وأعلمنا عامة بانتهاء الحديث.

ولكى يلطف من نبرة الحديث نفسه، قال إنه قد ولد فى الجبال ببجمان، وإن القرى هناك موجودة على مستويات مختلفة بالجبال مما كان يتطلب كثيرًا الزعيق عبر هذه المضايق. لذلك فهو أحيانًا يتحدث بصوت عالٍ. وقد ابتسم بطريقة مصطنعة أثناء ذلك. انصرفنا على ذلك، بدون أى شيء عمليّ. عند وصولنا إلى السفارة، أرسل بوزانوف برقية بها تقرير عن تنفيذ تعليمات موسكو. ولكن كان من الواضح لى أنه لن يبقى سفيرًا بكابول.

مرت بضعة أيام أخرى، وسافر الجنرال بافلوفسكى إلى موسكو فى يوم ٣ نوفمبر ١٩٧٩. وفى يوم ١٠ نوفمبر تكرر الموقف التالى. اتصل بى بوزانوف:

- جوريلوف فى طريقه الآن إلى السفارة. هل يمكنك أن تحضر إلىَّ؟

ذهبت إلى مكتب السفير، وحضر جوريلوف كالعادة ثائرًا وقال:

- كنت الآن عند أمين. وسأسافر فى مهمة إلى موسكو. وأرغب فى التشاور بخصوص بعض المواضيع السياسية. وبالإضافة إلى ذلك، فقد قال لى أمين إن رئيس القسم السياسى المركزى للجيش الأفغانى سيحضر إلى المطار غدًا قبل قيام رحلة طائرتى، وأنه سوف يحضر طردًا. وطلب منى أمين أخذ هذا الطرد وتسليمه لرئاسة الاتحاد السوفييتى بموسكو.

أدركت عند سماعى ذلك أن ما فى الطرد هو طلب أمين سحب السفير بوزانوف. ولكنى لم أبلغ ذلك لا للسفير ولا لجوريلوف. وقد لاحظت فقط:

- لماذا سوف تأخذ هذا الطرد؟ هل أنت مسئول عن توصيل البريد الدبلوماسى؟ لأمين قنوات مختلفة لتوصيل هذه المواد. ولهم أيضًا سفارة فى موسكو. وهو يستطيع إرسال الطرد عن طريق وزارة الخارجية.

ولكن جوريلوف قال كرجل عسكرى إنه حيث طُلب منه ذلك فهو لا يستطيع الرفض. وانتهى الحديث على ذلك. ولكن لم يكن لدىَّ أى شك فى أن جوريلوف قد أخذ معه إلى موسكو هذا المستند بالذات. جاءت برقية من موسكو بعد بضعة أيام.

كانت موجهة لبوزانوف، وبتوقيع جروميكو. وكان محتوى البرقية غريبًا بعض الشيء: "حيث إنكم طلبتم أكثر من مرة إنهاء مهمتكم، فقد اتُخذ قرار بتحقيق طلبكم. لذلك يمكنكم إنهاء أعمالكم والعودة إلى موسكو". لم يكن بوزانوف قد طلب أى شىء من ذلك.

بعد بضعة أيام قمنا بتوديعه. كان فى ذلك الوقت ب.س.إيفانوف فى كابول. وذهبنا فى يوم ١٧ نوفمبر لتوديع بوزانوف. عندما ودعته، عانقنا بعضنا، وقبّلنا بعضنا، وقال لى:

- ليونيد باقلوفيتش، من هؤلاء القوم؟ يقولون شيئًا، ويفعلون شيئًا آخر. وأنت أيضًا يجب أن تغادر هذا المكان.

أجبته: أنت على حق تمامًا. يجب علىَّ أنا أيضًا أن أسافر.

ذهبت لوداع الرفاق الآخرين، فاقتربت من ب.س. إيفانوف وحكيت له عن الحديث مع بوزانوف. قلت له إن السفير على حق، فعلىَّ أنا أيضًا أن أسافر من هنا. كرر إيفانوف علىَّ نفس الجملة:

- اجلس واعمل.

وانتهى الموضوع بذلك. وهكذا تخلص أمين من معلمه وحاميه تاراكى، ثم أزاح السفير بوزانوف الذى كان طوال الوقت، لا أقول محبًا بل مقدرًا لأمين تقديرًا عاليًا، وكان رأيه فيه حسنًا، حيث لم يكن يشك فيما يفكر فيه أمين وما ينوى عمله. وتتلخص أيضًا مأساة هذا الوضع فى أن السفير كان على علاقة طيبة بجوريلوف الذى كان "محبًا" هو أيضًا لأمين. وها هو صديق أو معرفة جيدة للسفير هو الذى يوجه له الضربة. هذه هى المسرحية التى لعبها أمين فى كابول بالأسلوب الشرقى.

فى خلال صيف وخريف عام ١٩٧٩ جرت بعض الأحداث الأخرى والتى تستحق الاهتمام. فبينما كنت فى إجازة، اقترح ب.س.إيفانوف أنه من المفيد إخراج مجموعة القوات الخاصة "زينيت" التى تقوم فعليًا فقط بأعمال الحراسة من

أفغانستان، وأن يتم إرسال بدلاً منها بضع أفراد من مجموعة "ألفا" وسرية مركبة من حرس الحدود للقيام بالحراسة المباشرة للسفارة والهيئات الأخرى الموجودة فى نفس الموقع بجانب السفارة. كما روى لى نائبى الأول فلاديمير تشوتشوكين، فعندما ناقش إيفانوف هذا الموضوع فى شهر أغسطس عند السفير فى وجود جنرال الجيش بافلوفسكي، الذى كان قد وصل فى شهر أغسطس، فإن الأخير قد انتقد ذلك بعنف على اعتبار أن ذلك استفزاز لأنه يحظر إدخال أية فرق من القوات المسلحة فى السفارة. وكما روى تشوتشوكين فإن إيفانوف لم يتمالك نفسه وقال هو أيضا بنبرة عنيفة إنه تم الاتفاق على ذلك الموضوع مع اثنين من أعضاء المكتب السياسى، وإنه يجب عمل ذلك لأن الوضع يتطلب حراسة قوات مسلحة دائمة للسفارة. ويجب أن أقول إنه بعد عودتى بفترة قصيرة من الإجازة وصلت إلى السفارة سرية من حرس الحدود مكونة من ضباط ومن ملازمين اثنين. كان يقود هذه السرية الرائد "تشيميرزين". تم إنزالهم مكان مجموعة "زينيت" السابقة بالمدرسة. وقد جهزوا المبانى الملحقة وأنشأوا مطعمًا ثم بدعوا فى بناء حمام. كان معهم أربعة كلاب مدربة. درسوا خطة الحراسة وبدأ هؤلاء المهرة فى تنفيذ المهام التى كُلفوا بها.

تقرر فى أغسطس توسيع ممثلية الكى.جى.بى. فى أفغانستان، وزيادة عدد العاملين بها. قيل لى إنه تم عرض هذا الموضوع على أندروبوف، وإنه قد اقترح مرة أخرى إرسال عدة عشرات من الأفراد تحت "سقف" السفارة. وقد قال لهم أندروبوف:

- أنتم مخطئون فى تفكيركم. يجب إنشاء ممثلية منفصلة، غير تابعة للسفارة، وغير تابعة لوزارة الخارجية، كهيئة منفصلة للجنة أمن الدولة موجودة على أرض أفغانستان.

وقد شمل هذا القرار زيادة عدد الموظفين الرسميين إلى ١٧٥ فردًا. كما ورد به صياغة لم تكن بالطبع واضحة تمامًا بأنه يمكن تشغيل ٤٠ فردًا من

المحليين بالممثلية. وقد تمت إضافة وظيفة رئيس ممثلية كى.جى.بى. الاتحاد السوفييتى برتبة لواء. وبقى النواب فى مستوى العقداء. وقد أدى ذلك إلى توسيع كبير لإمكانيات عمل الممثلية فى اتجاهات مختلفة. واتُخذ قرار جديد فى ديسمبر ١٩٧٩ بتوسيع إضافى لممثلية الكى.جى.بى. ليصبح عدد العاملين ٣٥٠ فردًا من كادر المركز فقط. وقد أُدخلت وظيفة رئيس الممثلية برتبة فريق. وأصبح من الممكن حصول نوابه على رتبة لواء. وبمعنى أدق فإن الممثلية قد تحولت إلى لجنة قائمة بذاتها للأمن وأصبحت تستطيع أن تعمل مستقلة. كانت توجد فقط ممثليتان من هذا النوع: واحدة بجمهورية ألمانيا الديموقراطية، والثانية بأفغانستان ونظرًا لإعادة التنظيم الذى تم فإنه أعيد النظر مرة أخرى فى ترشيحى لرئاسة الكى.جى.بى. وتمت الموافقة عليه من هيئات أخرى. وقد جرت هذه التغييرات على مدى عدة شهور. وفى نفس الوقت تغير الوضع أيضًا فى مخابرات جمهورية أفغانستان الديموقراطية. فبعد أن تم تعيين أسد الله أمين، زوج ابنة وابن أخ حفيظ الله أمين، رئيسًا لجهاز الأمن فقد تم تغيير اسمه الذى كان يرمز له بحروف AGSA ثم KAM. وقد أدى ذلك إلى حدث ممتع، فعندما استخدم الأفغان هذا الاختصار لاسم جهاز الأمن تبين أنه كانت تُكتب نفس الحروف على زجاجات تعبئة الكوكاكولا (كان يوجد مصنع صغير ينتج المشروبات الغازية فى كابول، ومنها الكوكاكولا) حيث إنها اختصار لاسم المصنع. وقد علمت أن حفيظ الله أمين قد اتصل بصاحب المصنع لكى يتم تغيير هذه الحروف على الزجاجات قبل طلوع الصباح، وإلا فسوف يُعدم رميًا بالرصاص.

سبق أن أشرت إلى أنه لم يصاحب وصول حفيظ الله أمين إلى السلطة تحسن الوضع فى البلد. بل أنه كان يتجه إلى الأسوأ. وبجانب حركات التمرد وتكوين العصابات فقد نشطت المعارضة فى الحزب نفسه ضد أمين. فبعد تصفية تاراكى وعلى الرغم من عملية التنظيف التى أجراها أمين فى الجيش وفى الهيئات الحكومية، فقد كان يوجد الكثير من مؤيدى تاراكى الذين لم يكونوا متفقين مع

السياسة التى اتبعها أمين. وتعتبر الأحداث التى جرت فى كابول فى أكتوبر من سمات ذلك الوضع. اتصل بى السفير بوزانوف بمكتبى وسألنى:

– هل علمت بالتمرد فى الفرقة السابعة؟

قلت له: لا، لا أعرف. فلا يوجد لنا مستشارون بها أو إمكانيات أخرى للحصول على أية معلومات.

قال لى: جوريلوف فى طريقه إلى السفارة الآن. تعال إلىّ.

ذهبت إلى السفير. ظهر جوريلوف بعد فترة وجيزة. بدأ حديثه بأنه يوجد تمرد فى الفرقة السابعة، وأن الدبابات أطلقت النيران على مركز الاتصالات وأن كتيبة الدبابات قد تحركت من مكان تمركزها ويبدو أنها تحركت فى اتجاه كابول. وقد أشار جوريلوف إلى أنه إذا اقتربت هذه الكتيبة الآن من السفارة فإنها سوف تدمرها، ثم ستتحرك فى اتجاه كابول وتدمر كل المدينة. سألته:

– وهل يوجد مستشارون لكم هناك؟

أجاب: نعم يوجد هناك ثلاثة مستشارين، ولكننا فقدنا الاتصال بهم.

وهنا قال فورًا إنه أعطى أوامر لتحريك آلاى الفدائيين المتمركز بوسط كابول بحصن "بالاحيصار" لمحاصرة منطقة الفرقة، بالإضافة إلى تحليق المروحيات فى الجو لتوجيه ضربة للفرقة. سألت جوريلوف عن الشعارات التى يهتف بها المتمردون.

قال: كما قال لى المستشارون فهناك شعارات: "يحيا الرفيق تاراكى!"، "يحيا الاتحاد السوفييتى!"، "تحيا الصداقة بين الاتحاد السوفييتى وأفغانستان!"

أصبح من الواضح لى أن هؤلاء هم الموالون لتاراكى، وأن هذه مرة أخرى مشاكل داخلية بالحزب وأنهم ليسوا من المجاهدين، وأن هذا استمرار للمعارك داخل الحزب. قلت إنه، على ما يبدو، لا يجب علينا التدخل فى هذا الموضوع. بدأ

جوريلوف فى الاعتراض. ثم انصرفت بينما كان الحديث ما زال مستمرًا عند السفير. ذهبت إلى مكتبى واتصلت بكريوتشكوف هاتفيًا. عرضت عليه الوضع باختصار، وقلت له إنه لا يجب علينا الاشتراك فى عملية تأديبية خصوصًا إذا أخذنا فى الاعتبار الشعارات التى ترفعها المعارضة. كيف يمكن أن نقضى على من ينادى بالصداقة مع الاتحاد السوفييتى، ولكنهم ضد أمين؟ قال كريوتشكوف:

- حسنًا، لقد فهمت.

وانتهى الحديث على ذلك، فعدت إلى مكتب السفير، حيث كان ما يزال به جوريلوف. قلت له مرة أخرى إنى أعتقد أن تدخلنا غير مناسب. قال بانفعال "يمكن أن نخرج من هناك، ولكننا بعد ذلك لن نستطيع العودة". ألقيت له التعليق التالى:

- قد يكون علينا، ألا نعود بعد ذلك؟

كانت قبل ذلك قد وصلت برقية من موسكو إلى السفارة، بتوقيع جروميكو عن لجنة المكتب السياسى الخاصة بشئون أفغانستان. جاء فى البرقية أنه بعد تصفية تاراكى وحدوث الانقلاب، يجب على كل ممثلى الاتحاد السوفييتى البقاء فى أماكن عملهم والاستمرار فى العمل، ولكن لا يجب أن يشاركوا فى أية أعمال تكون موجهة ضد القوى المعارضة لأمين.

بينما كنا نتناقش أنا والسفير وجوريلوف، ظهر عند الباب نائبى الأول فلاديمير تشوتشوكين ونادى علىَّ. قال إن كريوتشكوف قد اتصل وإنه طلب أن يوصِّل أنه نظرًا للوضع القائم، فإن على العسكريين أن يحصلوا على الأوامر من قيادتهم. وقد انتهى الاجتماع عند السفير بذلك. فى الحقيقة، نظرًا لأنى كنت معارضًا لتدخلنا فى هذه العملية، فقد قال جوريلوف فى النهاية إنه سوف يعطى أوامره فقط بمحاصرة منطقة الفرقة وأن يتم توزيع منشورات، ولكن بألا تتم أية عمليات حربية حتى طلوع الصباح. ثم تفرقنا. ظهرت مرة أخرى المروحيات فى الصباح وهى تطير فى اتجاه الفرقة. اتصل بى النائب الأول لرئيس الكى.جى.بى. س.أ.تسفيجون. لم يكن ى.ف.أندروبوف موجودًا فى موسكو فى ذلك الوقت.

سألنى تسفيجون عن الوضع عندنا. فرويت له باختصار. وقد أشار أن علىَّ أن أقدم له تقريرًا فى كل ساعة، وأنه قد أعطى أمرًا بأن يتم توصيلى به فى أى وقت مثل أعضاء المكتب السياسى. مرت ساعة أخرى، ولم يحدث شيء جديد. ولكن حضر فى ذلك الوقت إلى السفارة الجنرالان بافلوفسكى وجوريلوف. ذهب بافلوفسكى إلى الهاتف الموجود فى حجرة صغيرة تمت حمايتها جيدًا بجانب حجرة السفير. أما أنا وجوريلوف والسفير فقد استمررنا فى الحديث فى مكتب الأخير. تبين أن فرقة الدبابات لم تعلن العصيان، ولكن الذى أعلنته هى سرية الطوارئ التى بها ثلاث دبابات. وقد خرجت هذه الدبابات من تشكيل اللواء وظهرت عند الصباح على بعد بضعة عشرات من الكيلومترات من كابول فى منطقة تدريب قوات مدفعية ومشاة اللواء. وقد اتصل جوريلوف فى وجودى من مكتب السفير هاتفيًا، كما يبدو، بمجموعته الاستخباراتية وبدأ يسألهم عن الوضع. قيل له إن مدفعية الآلاى أطلقت النيران على آليات المشاة، التى كانت تتدرب، وإن القذائف تطير فوق مستشارينا الموجودين فى هذه التدريبات...إلخ. ثم التفت إلىَّ وسألنى:

– ليونيد بافلوفيتش، قل لى من هناك من رجالنا؟

كررت له مرة أخرى:

– ليف نيكولايفيتش، لا يجب أن نتدخل فى هذا الأمر. لا تظن أن الجميع هنا يحبوننا.

لم أستطع أن أقول له إن أمين قد طلب منى منذ فترة طويلة عرض موضوع مغادرته أفغانستان هو والسفير أيضًا.

رأيت فى ذلك الوقت وسمعت كيف كان ينظر بافلوفسكى إلى مفكرته ثم يعرض الوضع ببطء على رئيس هيئة أركان حرب الجيش السوفييتى العامة المارشال "أوجاركوف". ثم سمعته يقول:

– وهنا لممثل أندروبوف رأى آخر.

فقلت له: نعم لى رأى آخر.

وأخيرا خرج بافلوفسكى من حجرة الاتصالات وقال إن أوجاركوف قد أصدر أمرًا لعسكريينا بألا يتدخلوا فى هذه المواضيع. فقلت له:

- بذلك أصبح من الواضح للجميع كل شىء، على ما أظن.

ولكن كما يقولون، فقد ثبت ذلك فى عقل العسكريين. فمن الجدير بالذكر أن بعضهم ما زالوا حتى الآن يزعمون أن البارشام هم الذين نظموا هذا التمرد وبمساعدة العاملين بالكى.جى.بى. يجب على أن أقول إن هذه الرواية غير صحيحة على الإطلاق، حيث لم يكن للممثلية أية علاقات على الإطلاق مع البارشام. كما أنها لم تكن تقوم بأعمال استخباراتية فى ذلك الوقت. وقد رأيت بنفسى البارشام لأول مرة فى حياتى فقط فى يناير ١٩٨٠ عندما عدت من إجازة قصيرة وبدأت أعمل مع "نجيب الله". ولكن لم تكن توجد أية اتصالات قبل ذلك مع البارشام. كان أنصار "خلق" هم الذين ثاروا فى الفرقة السابعة.

عاد بوريس سيميونوفيتش إيفانوف إلى كابول بعد أعياد نوفمبر[1]. يجب أن أقول إن موقفه الشخصى كان قد تغير هو أيضًا قبل ذلك. كان إيفانوف أحد أكثر العاملين خبرة. فقد كان شخصًا تعلم طويلاً فى مدرسة أجهزة الأمن. وكان قد عمل من قبل فى الإدارة الثانية الرئيسية (مكافحة التجسس)، ثم فى المخابرات. كما أنه كان رئيسًا لمجموعة الاستخبارات المقيمة بالولايات المتحدة الأمريكية، فى تلك الفترة التى حدثت فيها أزمة الكاريبى[2]. وبعد عودته من مهمته، تم تعيينه نائبًا ثم نائبًا أول لرئيس المخابرات. كان شخصًا مستقلاً ومثابرًا. وكان إذا اتخذ قرارًا ما، يتابعه إلى أن يتم تنفيذه. كما أنه كان يصر بشدة على رأيه فى مواضيع محددة وفى حجم الاستخبارات، بما فيها توزيع الكوادر...إلخ. طبقًا لفهمى، لم يكن ف.أ.كريوتشكوف راضيًا عن هذا الوضع فقد كان هو رئيس الدائرة الرئيسية

---

(١) عيد ثورة أكتوبر.

(٢) هجوم القوات الأمريكية على كوبا فى خليج الخنازير.

الأولى- الاستخبارات. لم يكن يريد أن يتنازع معه صراحة. ولكنه من ناحية أخرى لم يكن يستطيع بسهولة اتخاذ قرار قد يتعارض مع رأى ب.س.إيفانوف. عامة لم يكن إيفانوف شخصًا مريحًا تمامًا لكريوتشكوف، كما أنه لم يكن مرءوسًا مريحًا تمامًا. وفى يوم ما فى صيف ١٩٧٩، استغل كريوتشكوف فرصة وجود إيفانوف مرة أخرى فى كابول، وبمراعاة كبر سنه، تحدث كريوتشكوف من خلف ظهره مع ى.ف. أندروبوف، وكان ذلك ليس صعبًا عليه، لكى يتم نقل إيفانوف من الإدارة العامة الأولى إلى وظيفة أخرى. عندئذ فكروا فى المخرج التالى: تعيينه رئيسًا لمجموعة مستشارى رئيس لجنة أمن الدولة. وقد اتخذ هذا القرار، وتم تعيين "كيربيتشنكو فاديم ألكسييفيتش بدلاً من إيفانوف فى منصب النائب الأول لرئيس الاستخبارات الخارجية. أذكر أننى كنت موجودًا فى ذلك الوقت فى موسكو، وأنى ذهبت إلى كيربيتشنكو فقال لى:

- عند ذهابك إلى كابول، قل لإيفانوف ألا يغضب منى. فأنا لست مسئولاً عن تعيينى فى مكانه.

ولكن بالنسبة لإيفانوف، كان ذلك بالطبع حطًا من قدره، وابتعادًا عن أعمال الاستخبارات، وبالطبع ضربة موجعة. ولكنه لم يُظهر ذلك. ولكن كان بذلك قد فقد مجموعة من الحقوق التى كان يتمتع بها النائب الأول لرئيس الاستخبارات. كما أنه كان مفيدًا لنا، على سبيل المثال، عندما كان يشغل منصبه السابق، حيث إنه كان من حقه التصرف فى السندات المالية واعتمادها. لذلك لم يكن علىَّ أن أكتب كثيرًا إلى المركز فى موسكو، وأن أرسل لها التقارير. فعلى سبيل المثال، إذا كانت هناك حاجة لاستئجار شقة لأحد العاملين بالاستخبارات، أو شراء قطعة من الأثاث...إلخ، كنت أكتب تقريرًا موجهًا مباشرة لإيفانوف، وأضعه فورًا على مكتبه. كان يوافق، ويصدر القرار كتعليمات لرؤساء الأقسام فى موسكو. وعادة كان القرار إيجابيًا، وكانت تحل الأمور. كان من الممكن العمل بحرية. ولكنه قد قال لى فى إحدى المرات:

- أنا أوقع لك... أوقع لك.... وقد تكون النقود هناك قد نفدت.

أجبته: نعم... هى موجودة... النقود موجودة.

كان هذا الجانب بالنسبة لنا مجديًا عامة. وبالرغم من أن وجوده فى كابول لم يكن دائمًا، فقد كان يقيد عمل الممثلية بعض الشىء. وقد قلت ليورى فلاديميروفيتش أندروبوف، فى يوم ما فيما بعد، بأن ذلك كان يقلل من قيمة عملنا بعض الشىء كممثلية، حيث إنه كان يمثل أندروبوف شخصيًا فى هذه المنطقة. كما سبق أن قلت، عاد إيفانوف فى العاشر من نوفمبر من موسكو، وبدأت هنا مرحلة جديدة لتطور الأحداث فى أفغانستان فى ١٠ نوفمبر ١٩٧٩.

نهاية حكم حفيظ الله أمين

انقلاب ديسمبر

جمع إيفانوف بعض الأشخاص فى مكتبه. كان الموجودون بصفة خاصة هم: أنا، ورئيس مجموعة الاستخبارات المقيمة ونائبى الأول فلاديمير تشوتشوكين. هنا حكى إيفانوف لأول مرة بأنه نظرًا لكل الأحداث الأخيرة التى جرت، بما فيها انقلاب سبتمبر ومقتل تاراكى، وأعمال أمين، فإن القيادة العليا فى موسكو اتخذت قرارًا بمساعدة القوى "الصحية" بحزب الشعب الديموقراطى الأفغانى. وأن الهدف هو تغيير القيادة فى كابول. وبصفة خاصة استبدال أمين كرئيس لحزب الشعب الديموقراطى الأفغانى، واحتمال وصول بابراك كارمال لمناصب القيادة فى البلد. كان الهدف مصاغًا بهذا الشكل تقريبًا. وفى نفس الوقت أنذرنا إيفانوف بأنه يحظر تمامًا توسيع دائرة من يعرف ذلك ومن سيشارك فى عمل الخطوات اللازمة. هيا بنا نفكر: على بجدانوف ليونيد بافلوفيتش تحديد ما الذى يمكن أن نقوم به عن طريق الممثلية؟ أما رئيس مجموعة الاستخبارات المقيمة فيجب أن يرى ما الذى يمكن عمله بواسطة مجموعته؟ أما تشوتشوكين، فقد تم تكليفه بتجهيز المستندات التى سوف تظهر. كان ذلك الاجتماع الأول المتعلق بما يجب أن يحدث فى المستقبل فى أفغانستان.

وبذلك لم تكن توجد هناك خطة واضحة بعد. فلم يتم تحديد تواريخ القيام بالإجراءات. ولم تحدد القوى والوسائل... إلخ. كان يجب بدء كل شيء من الصفر، وكان يجب أن نبتكر بأنفسنا كل شيء وأن نمعن فى التفكير. وأنا أقصد ما يخص كابول. وكما اتضح لى فيما بعد، فإن موسكو كانت تقوم فى نفس الوقت بعمل متعلق بذلك أيضًا. فقد عقدت لقاءات فى بلغاريا وفى تشيكوسلوفاكيا. وبعد ذلك تم إرسال الوزراء الثلاثة الذين أخرجناهم بعملية "رادوجا" من بلغاريا، التى كانوا يقيمون بها إلى موسكو، حيث انضم إليهم بسرعة بابراك كارمال. كانت

موسكو تعمل طبقًا لجزء الخطة الذى كان يخصها. كان قد تحدد أحد الاتجاهات بوضوح فى مجموعة الاستخبارات المقيمة - المصادر، الاتصالات السرية مع عناصر المعارضة الموجودة فى كابول. كانوا فى الأساس من البارشام المعارضين لأمين. ولكن كان هذا العمل دقيقًا جدًا، وكان يجب تنفيذه بحرص شديد. لقد تحدثت من قبل عن أننا قد أسسنا وقوينا أجهزة الأمن وأن أمين والمحيطين به قد استخدموا هذه الأجهزة من أجل الحرب مع البارشام، وهو ما قد توقعناه منذ عام ١٩٧٨. حتى أننا قد حصلنا على معلومات تقول إن أمين قد أرسل مجموعة من الإرهابيين إلى تشيكوسلوفاكيا تتكون من فردين أو ثلاثة لتصفية بابراك كارمال.

وقد أرسلنا هذه المعلومات إلى التشيك، فقاموا بتغيير مكان إقامة بابراك كارمال. كان فعليًا لم يعد سفيرًا فوق العادة ومفوضًا بل كان فى وضع غير شرعى. أما ما يخص الممثلية، فلم تكن عندنا أية إمكانيات واضحة للقيام بإجراءات منظمة. كنا لا نعرف ما الذى يجب علينا عمله وما الذى يجب تخطيطه؟ فهل علينا تخطيط عمل ما مع أمين بحيث يتخلى فى مرحلة معينة عن المراكز التى يحتلها. ولكن ذلك كان غير واقعىٍّ عمليًا، حيث إنه قد وصل إلى السلطة بطريقة دموية، بحيث إنه من الواضح أنه لن يتركها بإرادته. أم هل يجب إلقاء القبض عليه بواسطة قوى معارضة بمساعدتنا. أم يجب أن تصفيه المعارضة أو بمساعدتنا؟. ظل كل ذلك غير واضح. ولكن كان من المفهوم أن علينا أن نخلق مواقع استخباراتية بالقرب من أمين عن طريق عملائنا، بحيث يمكن استخدامها بعد ذلك طبقًا للموقف والتكليفات التى سوف تتقرر.

الاتجاه الثانى- تقوية إمكانياتنا البشرية فى كابول، أى يجب إرسال مجموعات أو وحدات من نوعية "زينيت" و"ألفا" إلى كابول، ولكن فى هذه المرة ليس بهدف حماية السفارة، ولكن بهدف القيام بأعمال الاستخبارات فى كابول، ولإمكان استخدام هذه الوحدات فى مرحلة معينة من العمليات المتوقعة فى لحظة ما فى المستقبل. وقد بدأ تنفيذ هذا العمل. وبعد وقت قصير حضرت فرقة من القوات

الخاصة مكونة من حوالى ٥٠ فردًا. استأجرت فيللا قريبة من السفارة كان يعيش فيها أمريكى من قبل، وقد سافر من البلد. أسكننا هذه المجموعة فى الفيللا. وقد ظهر عندها وسائل نقل- سيارة YA3 وسيارة "فولجا". وقد بدأوا فى العمل موزعين على أهداف الاستخبارات - مختلف الهيئات الحكومية وتمركزات الوحدات العسكرية، والتعرف على المدينة باستخدام وسيلة انتقال وسيرًا على الأقدام من هذه الفيللا. تحولت الفيللا إلى قاعدة. وكنا أحيانًا نستخدم أفرادًا من هذه الوحدة كحراسة حيث إننى كنت كثيرًا ما أخرج إلى المدينة التى كان يتأزم فيها الوضع طوال الوقت. فلم تستمر الهجمات المسلحة فقط، بل زادت. وكانت هناك فترة كان موظفو السفارة ينقلون فيها أفراد أسرهم إلى موقع المدينة السكنية للسفارة (من لم يسافر منهم فى إجازة إلى الاتحاد السوفييتى). وكان كل العاملين فى ممثلية الكى.جى.بى. يعيشون مع عائلاتهم فى المدينة، ولم يكن لديهم أية حراسة. وكان المستشارون العسكريون يقيمون فى المدينة السكنية (كان يطلق هذا الاسم على مجموعة المنازل ذات الخمسة طوابق) وكانت توجد عليها حراسة، ومنها الحراسة الأفغانية أيضًا. أما نحن، فكنا نعيش بلا أية حراسة على الإطلاق.

وفيما يخص مواقعنا الاستخباراتية حول أمين، فهنا كانت توجد صعوبات كبيرة. كان لنا مستشار- النقيب ى.كوتيبوف- لمقدم الحرس "دجاندال". ولكن كان دجاندال مخلصًا لأمين. وقد شارك فى عملية تصفية تاراكى. وقد كان احتمال جذب دجاندال، لكى يكون فى جانبنا بصورة ما، غير واقعىٍّ. وبالإضافة إلى ذلك لم يكن كوتيبوف يعرف اللغة المحلية، لذلك فلم يكن يستطيع الحديث مع الضباط الآخرين (كان دجاندال يعرف اللغة الروسية) وتطوير علاقات الثقة أو الصداقة التى نحتاجها، والتى يمكن استخدامها لمصلحتنا.

ولكن ثلاثة من خبرائنا كانوا يعملون مع أمين فى قصره. كانوا أطباء متخصصين فى التغذية. وكان أمين قد طلب هؤلاء الأطباء من قبل لتاراكى. وكانوا قد حضروا إلى كابول فى عهد تاراكى. وكانت إجراءاتهم الرسمية قد

سارت عن طريق المستشار الاقتصادى وليس عن طريق السفارة. كانوا امرأتين ورجلاً. الأولى كانت من معهد التغذية بموسكو. كانت جميلة جدًا ولطيفة. أما الثانية فكانت ممرضة من المستشفى المركزية بموسكو "بوتكين". وكانت هى أيضًا لطيفة واجتماعية. أما الرجل، فقد حضر إلى كابول مع زوجته وابنه. وكان آخذًا جانبًا نوعًا ما. وكانت المرأتان تقيمان فى شقة مكونة من ثلاث حجرات، قدمها لهما الجانب الأفغانى طبقًا للاتفاق. كان متاحًا لهما أن يدخلا القصر فى كل يوم، وأن يحضرا فى كل مواعيد الغذاء والعشاء والإفطار. وكانت الممرضة على علاقة جيدة مع أبناء أمين. كنا نعرف أن زوجة أمين تحضر إليهما أحيانًا فى شقتهما، حيث إنها كانت تحب شرب الويسكى، وإنها كانت تسترخى هناك بالذات، فى الشقة. وكان زوجها لا يعرف ذلك ولم يخمنه.. كان من الممكن استخدام هذا الوضع، فأقمنا معهما أنا ورجل الاستخبارات بوريس كابانوف علاقات شخصية جيدة.

عندما حضر أخصائيو التغذية إلى السفارة بخصوص شئون خاصة، فقد تحدثوا مرتين، على ما أظن، مع إيفانوف. وقد حصلنا منهم، على أساس من الصداقة الخالصة، على بعض المعلومات عما يحدث فى القصر، وعن حياة أمين. ولكن ذلك كان يمثل شيئًا صغيرًا تعلقنا به.

وفى ديسمبر عام ١٩٧٩، انتقل أمين من قصر "ارك" بوسط كابول، إلى قصر "دار الأمان" الذى بناه "أمان الله خان" على الحدود الجنوبية لكابول. وكان قد تم تجهيزه لسكن تاراكى. كان أمين قد طلب منى فى ذلك الوقت المساعدة فى موضوع أمان تاراكى، عند انتقاله إلى هناك...إلخ. كان القصر جاهزًا تقريبًا فى سبتمبر ١٩٧٩. ولكن قُتل تاراكى. فقرر أمين نقل مقر إقامته إلى هناك، خاصة أنه يوجد بجانب القصر مبنى كبير يمكن أن تحتله وزارة الدفاع، ومبنى آخر صالح لأركان الحرب العامة. بدأنا فى دراسة القصر الجديد. وعندما أصبح جاهزًا، فحصت أنا وإيفانوف كل المبنى بصحبة قائد الحرس دجاندال، بدءًا من القبو.

وانتهاءً بالطابق العلوى. شاهدنا حجرات النوم والمكاتب، ورأينا البار الشهير الذى سوف يقتل أمين بالقرب منه، وقاعة الاجتماعات، وحجرات الحمام- كان كل شىء مجهزًا بفخامة: أثاث إيطالى، وثريّات تشيكية، ومعدات مطبخ ألمانية تلمع. كما كانت توجد مصاعد مركبة فى الجدران السميكة للأشخاص ولتوصيل المأكولات....إلخ. ولكننا كنا ننظر إلى كل شىء من حيث موقفنا، مفترضين أية احتمالات يمكن أن تحدث، إذا لزم أن يتم تنفيذ عملية مباشرة فى القصر. شاهدنا، ما الذى يمكن عمله فى المكتب، وما الذى يمكن عمله فى حجرة النوم. وهل من المناسب تركيب مُعدَّة ما، أو أجهزة، إذا احتاج الأمر إلى تقديم مساعدة للمعارضة لاستخدام أية وسائل عسكرية. كان ذلك واحدًا آخر من اتجاهات تفكيرنا.

هنا يجب أن أرجع مرة أخرى إلى الوراء. بالإضافة إلى أنه يجب فى الاستخبارات أن تقوم كل يوم بالتقييم الصحيح للموقف، وأن تتخذ بناءً على ذلك القرار المناسب، ففى بعض الأحيان تحدث أمور حياتية غير متوقعة تساعد تمامًا على تحقيق أهداف محددة. عندما كنت أعمل رئيسًا لمجموعة استخبارات مقيمة فى إحدى البلاد، أرسلوا لنا فى السفارة متدربًا لقضاء فترة تدريبية. ولكن لم يكن أحد فى السفارة وفى مجموعة الاستخبارات المقيمة يعرف أنه أحد رجال استخباراتنا. كنت أنا وأحد العاملين فى الاستخبارات السرية الوحيدين اللذين يعلمان ذلك. وهو لم يحضر إلىَّ أبدًا فى مكتبى بدون اتفاق مُسبَّق. ولكنه إذا جاء، يكون ذلك بحيث لا يراه أحد. لم يكن يتصل به أحد، إلا رجلنا فى الاستخبارات السرية. كانت مهمة هذا "المتدرب" تتضمن استكمال وضع "أسطورة لسيرة حياة". كان يستعد لعمل سرى فى إحدى البلاد الأجنبية. وكان يستكمل عندنا جزءًا ما من "سيرة حياته". أحضره لى رجلنا ٣-٤ مرات لمناقشة سير العمل، ومعرفة إذا كان يحتاج أية مساعدة...إلخ. وعندما انتهت فترة إقامته، وانتهى مما كان عليه أن يقوم به جاء متأخرًا فى المساء إلى مكتبى ومعه رجل الخط السرى. ناقشنا النتائج. ثم قال لى فى النهاية:

– ليونيد بافلوفيتش، أنا مسافر. اسمح لى بإقامة عشاء وداع.

سألته: وأين ستقيم هذا العشاء؟

قال: عند رجل الاستخبارات، فى الشقة.

قلت: وهل تستطيع أنت نفسك أن تعد شيئًا؟

قال: إحدى مهنى هى "طباخ". لقد درست هذا التخصص، وأنهيت دراستى فى معهد متخصص فى ذلك. اتفقنا. اشترى رجل استخباراتنا المقيم كل المواد الغذائية اللازمة وأخذها سرًا إلى شقته، وأقمنا هناك العشاء. كنا ثلاثة. كان العشاء رائعًا، وقُدمت فيه أساسًا أطباق شرقية. غادر "متدربنا" فى اليوم التالى ونسيت أمره بسرعة ولم أهتم بمعرفة مصيره بعد ذلك.

وفى أحد أيام ديسمبر ١٩٧٩ عرفنا من الأطباء – أخصائيى التغذية – أنه جاءت إخبارية من موسكو بأن طباخًا سوف يطير إلى كابول ومعه كل المعدات اللازمة فى خلال بضعة أيام، وأنه سوف يعمل فى المطبخ عند أمين. وكان علىَّ فى أحد هذه الأيام أن أذهب إلى المدينة لقضاء بعض الأعمال. سألنى السائق:

– ليونيد بافلوفيتش، هل سنأخذ حراسة من "زينيت"؟

كان الوضع فى المدينة مقلقًا، فقلت له:

– اتصل، فلتحضر جماعة منهم.

اتصل وذكر الجملة السرية، فجاءوا. كانت لجنود زينيت طقوسهم الخاصة. فعلى سبيل المثال، تقف سيارتى عند مدخل السفارة. يقتربون منها من الخلف فى سيارة "فولجا"، يتوقفون، يفتحون الأبواب الأربعة، ويخرجون من كل الأبواب ببعض التفاخر، ويتكئون بمرفقهم على الأبواب الأربعة، وينتظرون ظهورى أو ظهور إيفانوف. كانوا كلهم مسلحين جيدًا بالقنابل اليدوية والمدافع الرشاشة، والرشاشات اليدوية، والمسدسات. وفى هذه المرة خرجت من السفارة ونظرت،

فوجدت السيارة الفولجا تقف فى الخلف، وأربعة من أفراد زينيت واقفين عند أبواب الفولجا. كانوا يلبسون بذلات القوات الخاصة والكابات، والبنطلونات، والأحذية والسترات. كنت أستعد للجلوس فى سيارتى، ولكن فجأة نادى علىَّ أحدهم:

– ليونيد بافلوفيتش.

نظرت إليه فعرفت أنه نفس هذا "المتدرب" الذى تعاملت معه منذ بضعة سنوات فى ظروف أخرى. اقتربت منه وسألته:

– وأنت! ما الذى تفعله هنا؟

قال: ها أنا، أرسلونى إلى هنا لمعرفتى عدة لغات، ومنها الفارسية.

جاءت فكرة استغلال هذا الموقف إلى بالى فورًا، فقلت له:

– فى المساء، فى حوالى التاسعة، تعال خفية إلىَّ، فى مكتبى.

ذهبنا لقضاء الأعمال فى المدينة، وعندما عدنا إلى السفارة، كتبت فورًا لموسكو، أنه طبقًا لمعلوماتنا فسوف يسافر إلى كابول طباخ سوفييتى من موسكو، بعد عدة أيام. ولكن يوجد لنا بين مجموعة القوات الخاصة رفيق يتبع الخط السرى. وهو قد حصل على تدريب مناسب. وسوف يكون أمرًا جيدًا إذا تم استبدال هذا الطباخ برجلنا. وخرجت من عندنا هذه الإخبارية. حضر "المتدرب" فى المساء إلى مكتبى، فناقشنا بعض التفاصيل، واتفقنا على انتظار رد فعل موسكو. وفى نفس الوقت حكيت لإيفانوف عن الخطة التى فكرت فيها. أعجبته الفكرة، وطلب أن يتم التفكير فى كيفية استخدام "المتدرب" بدون الحاجة إلى سفره إلى موسكو قبل ذلك. كنت أصر على اختيار آخر، حيث إنى كنت أفترض أنه سيكون من المناسب إرساله بسرعة إلى باجرام، ومن هناك إلى الاتحاد السوفييتى على طائرة حربية. وفى موسكو يتم عمل إجراءات رسمية عن طريق خط لجنة الدولة للعلاقات الاقتصادية، وإخطار مستشارنا التجارى بجمهورية أفغانستان الديموقراطية بذلك. وسيقوم الأخير بتنظيم استقبال الطباخ وبتقديمه للأفغان.

وقد قمنا بذلك. وقد عمل رفاقنا فى موسكو بكفاءة عالية، واحترمت كل الإجراءات الرسمية. ولكننا فى كابول لم نظهر أى اهتمام بموضوع الطباخ. وأخيرًا أخبرتنا نساؤنا خبيرات التغذية، فى خلال حديث، إنه قد وصل منذ أيام إلى كابول طباخ جديد، وإنه قد تم استقباله بمشاركة الأفغان، وإنه مُنح شقة فى المنازل التى كان يقيم بها خبراؤنا العسكريون والمدنيون. وفى الحقيقة، حضر بدون أن يكون معه، لسبب ما، أية كسرولات طهى إضافية أو أية أوانٍ أخرى. وقد أقمت اتصالاً سريعًا به. لم نتقابل أبدًا علنًا. كان الاتصال به يتم طبقًا لمبادئ عمل الاستخبارات تمامًا.

عادة كان موظف الممثلية "بوريس كابانوف" يقلنى بسيارة فى وقت الظلام إلى المنطقة التى يقيم بها خبراؤنا. كان ينزلنى فى أحد الطرق، وكنت أسير على قدمى فى مكان معين، وكان يحضر إلى هناك رجلنا قادمًا من شقته، فى الوقت المحدد. كنا نناقش هنا مشاكله، ونكلفه بمهمات، يكون عليه تنفيذها حتى اللقاء التالى. كان أحيانًا يقدم لنا مذكرات بها مخططات تبين أماكن مختلف الحجرات، والمساكن الأخرى...إلخ. كما أنه وصف الظروف التى يتم فيها الإفطار والغذاء والعشاء، وإعداد الطعام، وأيضًا من يعمل هناك، ...إلخ. حصلنا على معلومات تفصيلية. كان ذلك قد مثَّل خطوة كبيرة إلى الأمام، حيث إن هذا الرجل لم يكن مجرد مصدرٍ من بين الاتصالات الموثوق فيها أو من بين العملاء، ولكنه كان ضابطًا من المخابرات الخارجية، وأنه كان بالطبع يحترم كل القواعد والقوانين الخاصة بالاستخبارات الخارجية. كما كان هناك انضباط عسكرىٌ، وسار العمل بنجاح بالرغم من أنه لم يكن قد حصل بعد على تكليفات حربية.

ومن باب الاحتياط أنذرنا "رجال زينيت" المقيمين فى الفيللا ألا يقتربوا من هذا الرجل إذا رأوه فى أى مكان، صدفة. كما أننا درسنا اختيارات أخرى لإجراءات ممكنة. فعلى سبيل المثال، لم نستبعد إمكانية استخدام أطبائنا - خبراء التغذية -"على عماهم". كما درسنا إمكانية إدخال حقيبة بها جهاز ما إلى داخل

القصر. كان عندنا خبراء تفجير فكروا فى ذلك. وكان يوجد قناص من جمهوريات البلطيق السوفييتية فى مجموعة "زينيت". كانت توجد لديه بندقية خاصة بناشنكان من العدسات بدبشك قابل للاستطالة، وطلقات مقوّاة. كما أنه كان يقول إنه يصيب الأهداف التى على بعد يصل إلى كيلومترين بنسبة ١٠٠% فى ضوء النهار. وإذا كان يطلق الرصاص من خلال نافذة حجرة مضاءة على خيال، فإن نسبة إصابة الهدف طلقتان من على بعد حوالى كيلومترين. وقد أخذ ذلك أيضًا فى الاعتبار، حيث لم يكن هناك بعد خطة واضحة، ولم يكن هناك تنسيق بين العمل فى موسكو وفى كابول. كان هذا عملاً تحضيريًا بالمعنى المفهوم. وبالرغم من أن موسكو بدأت تدريجيًا فى الضغط علينا لكى نقوم بتحديد خطتنا بسرعة. كما أنه أصبح من الواضح فى مرحلة ما أن كل شىء أصبح جاهزًا فى موسكو. كان بابراك كارمال والوزراء الثلاثة السابقون مقيمين فى الموقع السرى للمخابرات حيث كان يُجرى تجهيزهم. كما هو معروف، كانوا من أجزاء مختلفة من حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى. فقد كان بابراك كارمال من البارشام، وكان يرأس هذا الجناح فى الحزب.. أما الوزراء، فقد كانوا ينتمون إلى جماعة "خلق". وقد لوحظ أنهم كانوا يبدون متحدين عند اجتماعهم معًا فى المقر وحديثهم مع رجالنا. وكانت هذه الوحدة تختفى بمجرد تفرقهم كلٌّ فى حجرته، وكانوا يعبِّرون عن آراء أخرى تمامًا.

بعد وقت قصير أرسل سرًا أحد الرجال الموالين لبابراك كارمال إلى أرض أفغانستان- عضو اللجنة المركزية للحزب الوطنى الديموقراطى الأفغانى "وكيل". تم ذلك بمساعدة خبرائنا. تم تغيير لون عينيه، وتم لوى فمه بعض الشىء بواسطة مادة خاصة، كما أنه أصبح يعرج. تم إسكانه فى فيللا رئيس مجموعة الاستخبارات المقيمة.. وقد أمرت بأن يتم إسكان اثنين من ضباط "زينيت" فى الطابق الثانى، بحيث تكون هناك حراسة ما.. بدأ وكيل يخرج إلى المدينة فى المساء ويتصل بالموالين له. كانوا بالطبع من البارشام.

هنا، يجب أن أقول إن أمينًا قد شدد من الرقابة على البارشام. أذكر عندما حضرنا فى يوم ما أنا وإيفانوف إلى رئيس جهاز الأمن أسد الله أمين. كنا نتحدث. وفجأة عرض علينا خريطة عليها دوائر وأسهم وهو يقول إن البارشام قد نشّطوا عملهم، وأن على الخريطة تظهر بعض الاتصالات السرية، وأنه قد تم القبض على امرأة لها اتصالات بالخارج. وبعد القبض عليها رفضت أن تقدم أى اعتراف. كما قال أمين، إن من يرفض الاعتراف، نحن نعاقبه. وقد ذكرت من قبل أن كلمة "نعاقب" كانت تعنى "نصفى". وبذلك، فقد كانت تتسرب فى مكان ما معلومات، بالرغم من حرصنا على حفظ كل الأمور بسرية شديدة، وأننا قد نجحنا عامة فى ذلك.

وقد شدد أمين الرقابة أيضًا على الخبراء السوفييت. كانت عندنا معلومات عن أنه قد كوّن مجموعة خاصة من الضباط، بها ١٢-١٥ فردًا، كانت تتوزع قبل نهاية يوم العمل على مختلف الهيئات التى كان بها خبراؤنا ومستشارونا، وكانوا يجمعون معلومات عن تصرفات الخبراء السوفييت، وعما يتحدثون عنه ...إلخ، عن طريق الموظفين الرسميين وكذلك عن طريق أهل الثقة والعملاء. كما علمنا أنهم قد ركبوا معدات تنصُّت فى أسفل حائط مبنى الضيوف الواقع فى وسط كابول. وبالطبع، لم يخبرونا بذلك. وقد ينزل هناك كبار مسئولينا. وبصفة خاصة أقام به الجنرال بافلوفسكى عدة شهور، ثم النائب الأول لوزير الداخلية بابوتين، الذى أقام هو أيضًا فى هذا المنزل. أخطرنا العسكريين بوجود أجهزة تنصُّت مركبة هناك، ولكنهم على الرغم من ذلك لم يراعوا ذلك. وأتذكر، أنه لكى نختبر صحة هذه المعلومة، قمنا فى مرة، كنا فيها أنا وإيفانوف فى مكتب السفير، وفى وجود بافلوفسكى وكبير المستشارين العسكريين جوريلوف، فألقينا بضع جمل عن قصد. كانت هذه الجمل تفيد أنه طبقًا لبعض المعلومات، فإن أمين يرغب فى تعيين أخيه الأكبر "عبد الله أمين"، الذى كان فى مدينة "كوندوزى" وكان مالكًا لشركة "سبينزار" لتجارة القطن، وزيرًا للداخلية. كنا نعرف أن بافلوفسكى لن يذهب إلى أى مكان فى المساء، وأنه سوف ينشغل بالعمل مع جوريلوف. ذهبنا فى اليوم

التالى إلى أمين. لم يكن العسكريون قد لحقوا مقابلته. وفجأة، أعلن أمين فى خلال الحديث:

- تنتشر شائعات بأنى أريد أن أعين أخى وزيرًا للداخلية. ولكن هذا غير صحيح. فكيف يمكننى تعيينه، وهو ليس حتى عضوًا بالحزب؟ لذلك فإن هذه الشائعات لا تتطابق مع الحقيقة.

لمَّحنا أيضًا إلى أننا قد سمعنا مثل هذه الشائعات، ولكننا لا نصدقها تمامًا. كان من الواضح أن جوريلوف ناقش وبافلوفسكى هذا الموضوع فى بيت الضيوف بعد حديثنا فى السفارة. كان أمين يتلقى فى كل صباح معلومات عن الأحاديث التى دارت فى صالون استقبال هذا المنزل. يجب أن أقول إننا قد استخدمنا فيما بعد هذا الوضع لصالح أهدافنا. وسوف أتحدث عن ذلك فيما بعد بالتفصيل. كنا نشعر، بأنه يبدو أن كل الإجراءات التى كان يجب عملها عن طريق المركز فى موسكو قد تم تنفيذها. لم نكن نعرف كل التفاصيل، ولكن موسكو بدأت فى دفعنا: أرسلوا بسرعة الاقتراحات الخاصة بكابول. لم تكن توجد بعد خطة موحدة للعمل. أذكر، كيف أن ب.س.إيفانوف قال لى فجأة، ليس لأنه قد بدأ فى التوتر، تحت تأثير هذا الضغط:

- اختر لى مترجمًا يكون أعزب أو أسرته صغيرة. سوف أصحبه معى إلى أمين. وسوف ننظر فى الأمر هناك معه.

استمعت إلى هذا الطلب، ولكنى لم أفعل أى شىء. فى يوم ٣ ديسمبر طار إلى كابول النائب الأول لرئيس إدارة الاستخبارات الخارجية "فاديم ألكسييفيتش كيربيتشنكو". للحق، لم تكن هناك حاجة كبيرة لذلك. ولكن كما كتب كيربيتشنكو نفسه، يبدو أن كريوتشكوف كان يريد أن يكون له ممثل كبير أثناء الأحداث التى كان يجب أن تقع فى أفغانستان. فى ذلك الوقت، كان إيفانوف لم يعد نائبًا لرئيس إدارة الاستخبارات، فقد كان يرأس مجموعة من المستشارين برئاسة الكى.جى.بى.، ولذلك فقد كان بالنسبة لكريوتشكوف شخصًا لم يكن شخصيًا تحت رئاسته. وصل كيربيتشنكو، ولكنه عامة كان ينشغل بأمور روتينية. حقيقة، تحدثنا

معًا مرة أو مرتين، محاولين وضع خطة لعمل رجلنا الموجود فى قصر أمين. أحضرناه خفية إلى السفارة. ولكن علىَّ أن أقول إنه توجد بعض الأخطاء فى كتاب ف.كيربيتشنكو: "الاستخبارات: الوجوه والشخصية". بالطبع، لقد انشغل بهذه المنطقة طبقا لواجبات عمله، ولكنه لم يكن على علم بدقائق بعض التفاصيل. فإن عبارته فى الكتاب تقول إننا كنا نراهن فى جمهورية أفغانستان الديموقراطية على البارشام وليس على خلق، فى رأيى، ليست صحيحة من وجهة النظر السياسية. حيث إن رهاننا ومحاولة توجهنا كانت على وحدة حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى. وأن كل الإجراءات كانت تُعد وتُنفذ بمشاركة أتباع خلق، وليس فقط البارشام.

يجب أن أقول إنه بعد وصول بابراك كارمال إلى السلطة، وأثناء العمل مع رئيسَ جهاز الأمن الجديد "نجيب الله" كان علىَّ متابعة تنفيذ سياسة وحدة حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى، وأن أستخدم فى جهاز الأمن ممثلى كل من جناحى "خلق" و"بارشام" السياسيين.

فلنعد إلى أحداث بداية ديسمبر ١٩٧٩. مر الوقت، وقررنا تشديد أدائنا تحت "ضغط" موسكو. فكما افترضنا، من حيث المبدأ، أنه علينا فى شأن مساعدة القوى السليمة أن نقوم بشكل ما بتحييد "حفيظ الله أمين"، ورئيس جهاز الأمن "أسد الله أمين" ورئيس هيئة أركان حرب الجيش الأفغانى العامة "يعقوب". وفى النهاية قررنا استخدام إمكانيات رجل استخباراتنا "الطباخ" للتعامل مع حفيظ الله أمين. جاء إلى كابول ممثل القسم الخاص للمركز بموسكو. كان هذا القسم متخصصًا فى العقاقير الخاصة المختلفة لاستخدامها فى حالة الحرب.

يجب الإشارة إلى أنه كانت توجد أيضًا صعوبات موضوعية فى استخدام الوسائل الخاصة. عرفنا من إخباريات "طباخنا" أنهم لا يشربون الكوكاكولا من الزجاجات على مائدة الطعام. فهم يصبونها فى دورق ومنها إلى الأكواب. ويُقدَّم اللبن الزبادى لكل الموجودين فى أطباق صغيرة، كل على حدة. ثم يقوم أحد

خبرائنا فى التغذية أو الطباخ بأخذ عينة من كل طبق بملعقة شاى. كما تُختبر المأكولات الأخرى.

وبعد عدد من الأعمال التحضيرية تقرر تنفيذ إجراء خاص فى يوم ١٤ ديسمبر. اتفقنا مع "طباخنا" على أنه إذا كان كل شيء يسير بطريقة حسنة عنده، فسوف يتصل من القصر هاتفيا بالجهاز النوبتجى لمستشارنا الاقتصادى. وسوف يكون هناك فى وقت الغذاء رجل الممثلية بوريس كابانوف. يجب أن يُسأل "الطباخ" عما تم بخصوص قطع الأثاث الإضافية لشقته فى كابول. سوف تعنى هذه العبارة أنه قد قام بالإجراء وأنه سوف يخرج من هناك ويتوجه إلى السفارة.

وفى نفس الوقت، تم تكليفى بالقيام بإجراء خاص برئيس جهاز الأمن أسد الله أمين. أقمت فى ذلك اليوم فى مقرنا غذاء عمل، كان يجب أن يحضره أيضًا ب.س.إيفانوف ومترجم، وبالطبع أسد الله أمين. ولكن اعتذر ب.س.إيفانوف فى آخر لحظة عن المشاركة فى الغذاء، وطلب إبلاغ أسد الله أمين بأنه قد مرض. فقلت له:

- بوريس سيميونوفيتش، كيف مرضت؟ سوف يهتم بمعرفة مكانك. كما أنه سوف يرغب فى زيارتك؟

- عندئذ قل إنى موجود فى عيادة المستشار الاقتصادى، فى حجرة منفصلة، وإنه لا يُسمح لأحد الآن، عدا الأطباء، بالدخول إلىَّ.

أصبح الموقف دقيقًا بشكل كبير.

طبقًا لتعليمات وتفسيرات موسكو، فإنه يجب أن يبدأ تأثير الوسيلة الخاصة خلال ٤-٦ ساعات بعد تناولها. كان ذلك يعنى أنه أمامنا تلك الفترة الزمنية لتنفيذ الإجراءات التحضيرية، ثم تبدأ الأعمال النشطة للسيطرة على بعض المواقع بالقوات الموجودة وكذلك بواسطة ممثلى المعارضة.

وهكذا، وصلت الإشارة المتفق عليها من "طباخنا" فى حوالى الساعة ١٤:٠٠ وحضر بسرعة إلى السفارة. أعطيته مفتاح شقة الجنرال أ.فاسيليف المكوّنة من حجرة واحدة، والتى وفرتها له الممثلية التجارية. قلت "للطباخ" منذرًا:

– انتظر فى هذه الشقة حتى المساء، ثم سوف يتم نقلك إلى باجرام، وإذا احتاج الأمر– بعد ذلك إلى موسكو.

أما أنا، فقد ذهبت إلى مكانى للغذاء. ولسبب ما فقد تغيّب مترجمنا الأساسى، فأخذت مترجمًا من مجموعة مكافحة التجسس العسكرى. قمنا بالإجراءات اللازمة أثناء الغذاء. ودعت رئيس جهاز الأمن الذى انصرف بعد الغذاء. عند وصولى إلى السفارة، أخبرت إيفانوف بأن الغذاء قد سار طبقًا للخطة. ولكن كانت الصعوبة متمثلة أيضًا فى الحصول على معلومات عما يحدث فى القصر. لم تصل أية إشارات من القصر. مرت عدة ساعات أخرى، وجاء المساء. كنت فى موقع السفارة. كنت كثيرًا ما أقضى الليل فى السفارة. أتذكر أننى اضطررت مرتين إلى النوم ساعتين أو ثلاثًا فى مقعد طبيب الأسنان. وعندما بنوا العيادة بجهاز المستشار الاقتصادى، اتفقت مع رئيسها على أن يحتفظوا بحجرة لى فى الطابق الثانى، بحيث أتمكن، عند الحاجة، من الذهاب إليها فى الثالثة أو الرابعة صباحًا للنوم فيها إلى السابعة.

أخطرونى فى الساعة ٢٣:٣٠ بأن علىَّ الذهاب إلى مكتبى، حيث وصلت برقية عاجلة جدًا من موسكو. كانت متعلقة بالوضع فى هذه المنطقة، وبصفة خاصة فى إيران. تحدثت عن الخطط الأمريكية المحتملة للنزول إلى أرضها. كان موظفو السفارة الأمريكية فى ذلك الوقت مازالوا رهائن داخل سفارتهم بطهران. كانت سمة المعلومة الموجودة فى البرقية صارمة جدًا. كانت توجد ملحوظة فى آخرها تقول: "نطلب منكم أن تذهبوا بصفة عاجلة إلى حفيظ الله أمين لتوصيل هذه المعلومات له، أما الهدف الأساسى فهو رؤية ما يحدث فى القصر والحالة التى يوجد عليها حفيظ الله أمين نفسه". كانت صعوبة تنفيذ هذا التكليف تتلخص فى أن

حظر التجول كان قد بدأ. وقد كان لوزارة دفاع جمهورية أفغانستان الديموقراطية ولوزارة الدفاع ولجهاز الأمن مختلف الكلمات السرية للمرور، وكنا لا نعرفها. وبالإضافة إلى ذلك، كان يجب العثور على مترجم، ثم بعد ذلك الاتصال بوسيلة ما بالقصر، حيث لم يكن ذلك وقت عمل. أيقظت موظف السفارة المسئول عن الأمور البروتوكولية، وطلبت منه الاتصال بنوبتجى وزارة الخارجية، وأن يحاول عن طريقه الوصول إلى القصر وأن يقول إن لدينا معلومة عاجلة يجب أن نوصلها لأمين. لذلك فإن سفارتنا تطلب إرسال سيارة بها أحد الضباط من أجل توصيل مندوبى السفارة عبر المدينة، بدون عوائق.

تم الاتصال بالقصر بسرعة، وعثرت على مترجم يعمل مع حرس الحدود. أطلعته على البرقية، وطلبت منه أن يقوم بعمل مسودة للترجمة، وبأن يقرأها بتمعن حتى يُلم جيدًا بمحتواها. مرت ٤٠ دقيقة أخرى، وبدأت ساعة الليل الأولى. ظهرت سيارتان عند البوابة. خرج منها ضابط وقال إنه جاء بناءً على طلب السفارة.

لم يكن حفيظ الله أمين قد انتقل بعد إلى مقر الإقامة الجديد، ولكنه كان يقيم ويعمل فى نفس القصر الذى كان يعيش فيه من قبل الملك، وداود، وتاراكى. سرنا عبر المدينة. أوقفونا عدة مرات للتفتيش. كانت تُطلَق صيحات: قف. وكالعادة، كانت تُسمع طلقات النار فى مختلف الأحياء. وصلنا أخيرًا إلى مكان القصر، عبرنا موقعه، واقتربنا من الباب الرئيسى وكان مغلقًا. قرعنا الجرس طويلاً وطرقنا على الباب. ظهر الضابط النوبتجى، وفتح الباب. بعد ذلك، صعدت أنا والمترجم إلى الطابق الثانى، على السلم المألوف لنا، حيث جرت المحاولة المزعومة لاغتيال حفيظ الله أمين، ودخلنا نفس الحجرة التى كان تاراكى يستقبل فيها دائمًا الرفاق السوفييت، وحيث جرى معه الحديث الأخير.

استقبلنى حفيظ الله أمين فى الأعلى. وكما يبدو، خرج رئيس جهاز الأمن أسد الله أمين من غرفة النوم إلى الردهة.. كان هو أيضًا يقيم هناك مع زوجته. ولكنه لم يذهب معنا، فجلسنا نحن الثلاثة فى حجرة الاستقبال. نظرت بتمعن إلى

حفيظ الله أمين. ابتسم، ولكنه كان شاحب الوجه، ومغمومًا بعض الشيء. اعتذرت عن الإزعاج، وقلت له إن معى رسالة عاجلة، لذلك قررت الحضور إليه. بعد ذلك، قرأ المترجم المعلومات. أعطاها أمين أهمية كبيرة. قال: "إننا فعلنا الصواب بأن حضرنا، حتى فى الليل". ثم طلب فى حالة تطور الأحداث بعد ذلك، إبلاغه بالأحداث الجديدة، وبسرعة بقدر الإمكان. ثم بدأ أمين فى وداعى. خرج مرة أخرى أسد الله أمين. أوصلانى إلى أسفل على السلم. كانت توجد آثار طلقات رشاش بقيت على الحائط عندما أطلق حارس تاراكى الرصاص على تارون. صاحبنى حفيظ الله أمين إلى آخر درجات أسفل السلم وهو يروى لى بالتفصيل كيف تمت "محاولة اغتياله". كنت أعرف أن ذلك لم يحدث بالمرة كما يروى. كان مرتديًا ثيابًا بوشتونية: سروالاً واسعًا، وقميصًا فوق البنطلون. مزحت معه فى نهاية السلم بسؤاله:

- وأين تفصلون هذه الثياب الجميلة؟

أجاب نصف مازح:

- سوف نهديك ثوبًا مماثلاً.

وانتهى اللقاء على ذلك. كانت نفس السيارة فى انتظارى، ونفس الضابط. فعدت أنا والمترجم إلى السفارة. كتبت فى المساء برقية عن تنفيذ المهمة. وبالمناسبة، فقد روى لى فيما بعد فى موسكو الجنرال نيشوموف، إن المعلومات التى أُرسلت إلى حفيظ الله أمين قد صاغها الجنرال "أخراميف" بنفسه. وأنها كتبت، بالطبع، بذكاء شديد.

وانتهت أحداث ذلك اليوم. تفرق الموظفون فى الصباح التالى، كل إلى مكان عمله. ولكن فى الساعة١١، حضر ب.كابانوف. قابل بعض الناس وقال إنه قد تم استدعاء أطباء إلى القصر، ومن بينهم أطباؤنا العاملون بالمستشفى العسكرى. يبدو أنه تم استدعاؤهم لأمين الذى كان يشعر بتوعك. رفعت سماعة الهاتف واتصلت بف. كريوتشكوف، وأبلغته بالموقف. ولكنى علقت بأننا لا نستطيع تأكيد ذلك الآن.

ويبدو، أننا سوف نعرف بدقة قرب الساعة ١٨:٠٠ إذا لم تتطور الأحداث بطريقة أخرى. أنصت ف.كريوتشكوف بدون أى تعليق. انصرف ب.كابانوف مرة أخرى، وانشغل الجميع بأعمالهم، ولكن كان التوتر يتزايد.

فى حوالى الساعة الثانية نهارًا، عاد ب. كابانوف فجأة إلى السفارة وقال لنا إن من يشعر بتوعك هو أسد الله أمين، وليس حفيظ الله أمين. وإنه قد تم استدعاء الأطباء له. دخل إيفانوف فى هذه اللحظة إلى المكتب، واتصل بف.كريوتشكوف ووصف له الموقف الحالى. كان ف. كريوتشكوف غير راضٍ أبدًا. ثم أخذت أنا السماعة. قال لى بنبرة حادة:

- أنت هناك، فيم تفكرون؟ لقد أوقفنا الجميع على قدم وساق.

قلت له: فلاديمير ألكسندروفيتش، لقد أبلغنا عن الأحداث تمامًا كما وقعت. وقد ذكرت أنا إنه سوف يمكن تأكيد هذه الأحداث ومعرفة حقيقة ما دار فيما بعد.

كان هذا هو الحديث الذى دار. وقد دهشت بأنه لم يتم أى تغيير للإجراءات الأخرى.. لم تكن توجد بعد.خطة عامة على شكل وثيقة واحدة. فأنا، على سبيل المثال، لم أعرف ما الذى تفعله موسكو ومتى. ثم اتضح بعد ذلك، أنه بعد إبلاغنا المعلومة الأولى عن أمين، بدأ نقل بابراك كارمال من موسكو إلى طشقند. ثم إرساله من طشقند إلى باجرام. وطارت معه مجموعتنا الاستخباراتية وكذلك المحيطون به القريبون منه.

كانت موسكو قد أطلقت خطتها بكل قوة. وكان كل شىء عندنا متوقفًا. والأهم من ذلك، هو أن أمينًا كان سليمًا معافًى. وكان الإنجاز الحقيقى الوحيد الذى تم، هو إخراج رئيس جهاز الأمن أسد الله أمين من اللعبة. توجه حفيظ الله أمين إلى السفير وإلى أطبائنا لمساعدة رئيس جهاز الأمن. اعتنى به أطباؤنا. ثم فى النهاية تقرر إبعاد أسد الله أمين إلى الاتحاد السوفييتى. وقد تم ذلك. وأُرسل إلى هناك للعلاج.

بقى أن أقول إنه حتى ذلك الوقت كانت لدينا قوات صغيرة فى كابول: كانت عندنا مجموعتان من القوات الخاصة "زينيت". كما كانت توجد كتيبة للجيش السوفييتى وباجرام، وكذلك فصيلة من ضباط حرس الحدود فى السفارة. ولكن كانت موسكو مازالت مصرة على تنفيذ هذه العمليات بواسطة هذه القوات. مضى بعض الوقت الآخر، ووصلنا إلى النصف الثانى من اليوم.. وصل قرب الساعة ١٨:٠٠ إلى السفارة رئيس المستشارين العسكريين "س.ك. ماجوميتوف" الذى حل محل جوريلوف، الذى كان قد غادر البلد فى السادس من أكتوبر ١٩٧٩. كان فعليًا قد تم سحبه. كنت موجودًا فى مكتب ب.س. إيفانوف، وكذلك ف.أ.كيربيتشنكو وس.ك.ماجوميتوف. تحدث ماجوميتوف مع المارشال "أوستينوف" فى وجودى. أخبر وزير الدفاع أنه ليس عنده قوات كافية لتنفيذ عمليات كبيرة للاستيلاء على مواقع وحمايتها وحفظ النظام فى كابول...إلخ.

- ماذا بك، هل جَبُنت يا رفيق ماجوميتوف؟

كان ماجوميتوف يمسح صلعته بمنديل أثناء الحديث. من ناحية المبدأ، كان التقرير الذى قدمه لأوستينوف موضوعيًا، حيث إنه لم يكن يستطيع ضمان نجاح العمليات باستخدام القوى المتاحة. مزحت وأنا أنظر إلى ماجوميتوف:

- سلطان كيكيزوفيتش، لن تكفينا المناديل، يجب علينا شراء نشاف حبر، واستخدام خفاضات لمسح العرق من على الصلعة. ويمكن استبدال الخفاضات بسهولة.

ولكن كان الموقف بالفعل يفيد بأن الوضع حرج. فعلى سبيل المثال، لم أكن أعرف أن بابراك وكل مجموعته موجودون فى باجرام. وهناك أركبوهم عربات نقل مدرعة. كنت أعرف فقط أنه كان قد تم توزيع رجالنا بمجموعة "زينيت" لتنفيذ عمليات عند الأهداف الرئيسية. كان حفيظ الله أمين مازال موجودًا بالقصر القديم فى وسط كابول ويبدو أن موسكو قررت إلغاء كل الخطوات بعد حديث ماجوميتوف مع أوستينوف. وصدر أمرًا بألا يتم تنفيذ أية تحركات بعد ذلك، فى

هذا اليوم. طار بابراك ومجموعته عائدين مرة أخرى إلى طشقند. وبذلك فإن العملية التى بدأت فى ١٤ ديسمبر ١٩٧٩ لم تتطور بعد ذلك، واضطررنا أن نتخلى عن أهدافنا التى حددناها مؤقتًا.

وصل إلى علمنا فى اليوم التالى، أن حفيظ الله أمين قد حلل أحداث اليوم السابق. وبالطبع، لقد ظهر على السطح الغذاء الذى أقيم فى مقرنا. وبالطبع كان هناك إثبات نفسى بسيط. لقد نجحنا فى تحديد أن أمين الشاب قد ذهب بعد الغذاء عندى إلى شقة نساء من معارفه، وأنه أكل هناك تفاحة. تم القبض على النساء واستجوابهن. ولكن اعتقد حفيظ الله أمين، على أية حال، أن ذلك حدث على المائدة فى أثناء الغذاء عندنا. وكانت النتيجة أنه صرح لأحد المقربين منه:

- يجب عقاب بجدانوف.

كان ذلك ثانى حكم يصدره علىَّ. وكان غير سار، حيث إن كلمة عقاب كانت تعنى فعليًا أن الحديث يمكن أن يكون عن التصفية. أبلغ ب.س.إيفانوف ذلك إلى موسكو. وبعد مرور يوم، اتصل بى كريوتشكوف وقال:

- ليونيد بافلوفيتش، لقد قرأنا الخبر. وقد طلب يورى فلاديميروفيتش أن نبلغك أننا لن نتخلى عن بجدانوف.

قلت: أعتقد، سوف يكون كل شيء على ما يرام؟

بعد ذلك الحديث، بدأت أفكر فى ما الذى يمكن أن يكون "على ما يرام". وكيف يمكن ألا يتخلوا عنى إذا كنت موجودًا بعيدًا عن موسكو، وفى ظروف مختلفة تمامًا؟. وبالطبع، فقد ساء بذلك وضعى كثيرًا، ويجب علىَّ أن أتابع الوضع الذى تكوّن حولى بحرص أكبر.

لم يكن من الممكن ألا تنبه أحداث ١٤ ديسمبر حفيظ الله أمين بشكل ما. فقد دعا ما حدث لأسد الله أمين، الذى اضطر لإرساله إلى موسكو للعلاج، إلى التفكير. حدثت أيضًا مشكلة فى مطار باجرام. كان مستشارنا لرئيس مكافحة التجسس هناك

بالقاعدة الجوية العسكرية قد تلقّى أمرًا: بأن عليه تحييد رئيس القاعدة الجوية للأفغان، لأن طائرة هبطت بها وعلى متنها كل من بابراك كارمال ومرافقيه. ولم يصل إلى مستشارنا أمر بتغيير الموقف، فاستمر فى العمل طبقًا للخطة الموضوعة. لذلك فقد ألقوا القبض على رئيس القاعدة ومعه شخصان آخران، وقيدوهم، وأخذوهم إلى أحد الملاجئ. وبعد ذلك وصل أمر بإلغاء العملية، فاضطروا لإطلاق سراحه. وقد وصل ذلك إلى حفيظ الله أمين. وأذكر أنه صدر قرار بألا يُسمح بدخول مستشارنا هذا بعد ذلك إلى العمل فى باجرام. وقد صدر تكليف له للعمل مباشرة فى كابول مع القسم الخاص فى أركان حرب القوات الجوية لجمهورية أفغانستان الديموقراطية.

ويبدو أنه لم يحدث فصل آخر فى باجرام عن طريق الصدفة. فعندما بدأت الطائرة الحاملة لبابراك كارمال ومجموعته فى الهبوط، فجأة أطفئت إضاءة ممرات الهبوط والانطلاق. كانت الطائرة قد أصبحت قريبة من الأرض، وتمكن قائدها، الماهر فى عمله، من أن يقوم بالهبوط فى الظلام بسلام. وبالإضافة إلى ذلك، ففى نهاية نوفمبر وفى ديسمبر تحرّق كل من حفيظ الله أمين ثم أسد الله أمين شوقًا للسفر إلى موسكو. وفيما يخص حفيظ الله أمين، فقد كان يحاول حل هذا الموضوع عن طريق السفير. أما أمين الشاب، فقد قام بجس نبض هذه الإمكانية عن طريق إيفانوف وعن طريقى.

خططنا الوضع التالى للحديث مع أسد الله أمين. فقد حصل أسد الله سارفارى على دعوة رسمية من كى.جى.بى. الاتحاد السوفييتى، عندما كان مازال فى موقع رئيس جهاز الأمن، لزيارة الاتحاد السوفييتى مع زوجته. ولم يتم إلغاء هذه الدعوة، بل بقيت سارية. قلنا ذلك للرئيس الجديد لجهاز الأمن أسد الله أمين. وقد أكدنا أنه يمكن أن يسافر إلى موسكو باستخدام هذه الدعوة. فى البداية لم يكن متحمسًا للسفر إلى الاتحاد السوفييتى. ثم عاد إلى فكرة السفر إلى الاتحاد السوفييتى بصورة تزايد تكرارها ورغبته فى لقاء القادة الرفاق فى موسكو. ولكن نظرًا لقرار

موسكو الحاسم بخصوص حفيظ الله أمين والمحيطين به، فقد تم تصحيح موقفنا فى كابول فأصبحت هذه الزيارات مؤجلة. وقد تحججنا على ذلك بنهاية العام، وبأننا فى شهر ديسمبر، وقلنا إنه قد تم تخطيط الزيارات حتى شهر يناير مسبقًا، ولذلك يبدو أنه لا يمكن ببساطة تنظيم سفر واستقبال مناسبَيْن فى موسكو. وأعتقد أن هذه المماطلة أيضًا قد أمكنها أن توجه حفيظ الله أمين إلى أفكار غير سارة.

أما ما يخص "طباخنا"، فإنه لم يلحق السفر إلى موسكو. فأرجعناه بسرعة من باجرام إلى كابول. وفى اليوم التالى، ذهب إلى عمله بقصر أمين، وكأن شيئًا لم يحدث. ولكن ما الذى حدث فى الحقيقة فى مقر إقامة أمين؟ لقد نفذ "الطباخ" الإجراء المطلوب. لقد روى إنه نجح فى إضافة المادة اللازمة فى الكوكاكولا. سبق أن ذكرت أنه تم صب الكوكاكولا فى إبريق، ثم تم ملء أكواب من كان يجلس حول المائدة. وقد تمكن من إضافة هذه المادة فى الإبريق. ولكن لم يلِ ذلك أى تأثير. أنا أعرف أن إيفانوف قد اتصل بموسكو بسبب ذلك، وأن الخبراء قد توصلوا إلى رأى يقول إن الكوكاكولا بالذات قد تكون قد عادلت خواص هذه المادة. لذلك لم يتأثر لا أمين، ولا أى ممن كانوا حول المائدة.

استمر العاملون فى الممثلية فى الذهاب كل يوم إلى أماكن عملهم، إلى نظرائهم، وفى أداء عملهم. ولكن فى الحقيقة، انخفض كل مستوى التعاون بشكل ملحوظ بوصول حفيظ الله أمين إلى السلطة، لأنه تم استبدال الكوادر القيادية، كما ظهر نواب جدد لرئيس جهاز الأمن ورؤساء أقسام جدد لم نكن نعرفهم من قبل. فى كثير من الحالات كان علينا أن نبدأ كل شىء من جديد. كان وضعى خاصًا بشكل أكبر، حيث إنه لم يكن يوجد رئيس لجهاز الأمن، لأنه كان موجودًا الآن فى موسكو للعلاج. ذهبت إلى الجهاز، وتحدثت مع أحد النواب والذى كان يعتبر نائبًا أول. ولكنه كان شخصًا جديدًا تمامًا. لم يبق من بين النواب السابقين إلا يوسف فقط. ولكن لم يكن قد سُمح تقريبًا ليوسف بالعمل فى أعمال الاستخبارات. وبالإضافة إلى ذلك، فإن يوسف كان عند كل مقابلة معه، عندما كنا نصبح وحدنا،

يطلب أن نعمل على سفره إلى موسكو، بصفة خاصة، من أجل الدراسة أو للعمل، حيث إنه كان ما زال يخشى من تنكيل حفيظ الله أمين به. وأذكر أن فى ٢٠ ديسمبر عام ١٩٧٩، فى "يوم رجال المخابرات" كما يقولون عندنا، فإن رئاسة جهاز الأمن بتشكيلتها الجديدة قد أقامت مأدبة غذاء تمت دعوة العاملين فى الممثلية إليها. حضرها ١٢-١٤ فردًا من عندنا. وبالطبع ذهبت أنا أيضًا إلى هذا الغذاء. وقد راقبت كل ما كان يجرى على المائدة بحرص. وكالجميع أكلت من الطعام الذى قُدم، وشربت كأسين أو ثلاثة من الكونياك المحلى. كان الحديث على المائدة عامًا.

لم يبدأ أحد أى حديث عن رئيس جهاز الأمن أسد الله أمين. كانت هذه إحدى آخر زياراتى المباشرة لرئاسة جهاز الأمن. كان السبب فى ذلك هو أن موسكو ظلت مصرة على تنفيذ العمليات التى تمت الموافقة عليها من الجهات العليا بخصوص أفغانستان، وأن لا أحد قام بإلغاء هذه العمليات. كان ذلك يعنى ضرورة إعداد عملية جديدة بحيث يتم التنفيذ بلا أى خطأ. وصف كيربيتشنكو فى كتابه "الاستخبارات: الوجوه والشخصيات" هذه اللحظة؛ فقال إنهم اجتمعوا (ب.س. إيفانوف وس.ك. ماجوميتوف)، وإنهم قيَّموا الوضع، واستخلصوا النتائج عن العمليات السابقة، وإنهم طلبوا من موسكو أن تقدم لهم مساعدة إضافية، فى حالة الاستمرار فى السياسة القائمة، أى عللوا ضرورة أن يكون عندهم قدر معين من القوات تحت تصرفهم. وكما كتب ف.أ.كيربيتشنكو، فإن موسكو أفهمتهم أنه سوف يتم إرسال فرقة المظلات ١٠٣. ولم أكن موجودًا فى هذا الاجتماع. وقد يكون ف.أ. قد رأى أن وجودى فيه غير ضرورى. كما أنى لم أر تلك البرقية. ولكن التكليفات ظلت كما كانت.

وكان واضحًا من تقييم الوضع أن من يستطيع إعطاء أية تعليمات أو أوامر للقوات المسلحة وجهاز الأمن والشرطة الأفغانية هم ثلاثة أشخاص فقط: حفيظ الله أمين، ورئيس جهاز الأمن أسد الله أمين، ورئيس هيئة أركان الحرب العامة

يعقوب. كانت تتلخص المهمة فى أن يتم أولاً تحييد هؤلاء الثلاثة، بحيث لا يُسمح لهم بإصدار أوامر واستخدام قواتهم ضدنا. كما قلت من قبل، لم يكن رئيس جهاز الأمن موجودًا في ذلك الوقت فى أفغانستان. كان ذلك مهمًا جدًا حيث إن أسد الله أمين كان أقسى شخص وأكثرهم حسمًا بعد حفيظ الله أمين. وأنا واثق من أن غيابه عن كابول قد أنقذ حياة الكثير من رجالنا. وكان مازال حفيظ الله أمين ورئيس هيئة أركان الحرب العامة يعقوب فى منصبهما. كنت أعرف يعقوب جيدًا. وكما قلت من قبل، كان قائدًا للحرس، أى أنه كان رئيسًا لحرس تاراكى الخاص. كنت قد تعاملت معه، وكان قد حضر إلى مكتبى فى ضيافتى. وبالمناسبة ففى "يوم رجال المخابرات"، فى ٢٠ ديسمبر ١٩٧٨، دعوته هو ورئاسة أجهزة الأمن إلى بيتى لعشاء يعبِّر عن الصداقة. وكنت قد التقيت بيعقوب بعد ذلك أيضًا، عندما أصبح رئيسًا لهيئة أركان الحرب العامة. كانت علاقتى الشخصية به جيدة. كما أنه عندما تم نقل قوات حرس الحدود إلى وزارة دفاع جمهورية أفغانستان الديموقراطية، فإن ذلك قد لمس مصالحنا مباشرة، حيث إن قوات حرس الحدود كانت من ضمن مسئوليات ممثلية كى.جى.بي. الاتحاد السوفييتى. كان قد تم إنشاء قسم حرس الحدود عندنا بالممثلية، وكانت تعمل به مجموعة كبيرة من خبراء قوات حرس حدود الاتحاد السوفييتى. وكان يرأس هذه المجموعة الجنرال فلاسوف أندريه أندرييفيتش. كنت أعلم أن يعقوب لم يكن مؤيدًا تمامًا لبعض عناصر السياسة التى اتبعها حفيظ الله أمين مع تاراكى فى عامى ١٩٧٨ و ١٩٧٩. ولم يعبِّر أبدًا عن تأييده لإجراءات الاضطهاد، ووسائل التعذيب المستخدمة أثناء التحقيقات. وبالإضافة إلى ذلك، عندما كنت فى يولية – أغسطس ١٩٧٩ فى موسكو فقد نظم يعقوب لقاء صداقة فى إحدى الاستراحات خارج المدينة للعاملين فى الممثلية. وفى مناقشة مع أحد رفاقنا، صرح يعقوب بـأنه لا يؤيد كل السياسة التى يتبعها من أُطلق عليهم "المدنيون". كذلك المتناقضات والمشاحنات والدسائس فى قيادة البلد. وقد أنهى هذا الحديث بقوله: "هل يستحق الأمر، أن نأخذ نحن، العسكريين، الأمر بأيدينا؟"

كان كل ذلك مهمًا جدًا. وقد اقترحت على ب.س.إيفانوف محاولة الاتفاق مع يعقوب، كنوع من الإعداد للعملية التالية. وأن تشرح له صعوبة الموقف القائم فى أفغانستان، كما نراه، والمستقبل الضعيف للتحسين...إلخ. والتلميح إلى أن القيادة الحالية ليست قادرة على التعامل جيدًا مع الموقف ولا تستطيع أن تتحكم فيه. وقد عبرت عن استعدادى لإجراء هذه المناقشة ومشاهدة رد فعله. فإذا كان إيجابيًا بالنسبة لنا فسوف "تستقطب" يعقوب إلى جانبنا ونخرجه من هذه اللعبة. اتصل ب.س.إيفانوف بكريوتشكوف فى وجودى (كان ذلك قد حدث فى العشرينيات من شهر ديسمبر) وقال له إنه توجد فكرة عند ل.بجدانوف لمحاولة فصل يعقوب عن حفيظ الله أمين، وبذلك يتم تحييده. كان رد فعل كريوتشكوف قويًا: "لا! لا يجب عمل ذلك!".

وانتهى الحديث عند هذا الحد. وعلى الرغم من ذلك، فقد قررت أنه يجب لقاء يعقوب.

حاولت أن أتفق معه على لقاء عن طريق المترجم. منذ البداية قال إنه مشغول جدًا، وإنه لا يستطيع ترك مكتبه، وإنه سيكون من الأفضل إن تمكنت أنا من الذهاب إليه فى مكان عمله. فذهبت إليه أنا والجنرال فلاسوف، إلى هيئة أركان الحرب. وقد دعا يعقوب رئيس جهاز حرس حدود جمهورية أفغانستان الديموقراطية لحضور هذا اللقاء.، وكذلك أحد قدامى النقباء والذى أطلق النار على داود فى انقلاب أبريل، وأصيب هو نفسه. تناولنا الغذاء نحن الخمسة فى مكتب يعقوب. وبالطبع لم نتمكن من إجراء المناقشة اللازمة لنا.. عندئذ طلبت من كبير المستشارين العسكريين س.ك.ماجوميتوف إقامة غذاء باسم رئاسة مستشارينا العسكريين. وقد تم الاتفاق على تنظيم هذا اللقاء عند نائب ماجوميتوف للشئون السياسية الجنرال "توتوشكين". وقلت لهم إننا سنتحمل التكلفة. اتفقنا على دعوة يعقوب وزوجته. وكان يجب أن يكون صاحب المنزل، وأحد المستشارين العسكريين الآخرين مع زوجاتهم. كانت زوجتى فى ذلك الوقت فى موسكو.

وبالإضافة لى، تمت دعوة الجنرال أ.فلاسوف. من جانبنا.. لم نكن بحاجة لمترجم، حيث إن يعقوب كان يجيد التحدث بالروسية. واتفقنا على توزيع الأدوار.

جرى هذا اللقاء فى ٢٠-٢٣ ديسمبر. وفى خلال الغذاء كان الحديث عامًا. ثم انتقل الجميع إلى حجرة الاستقبال لتناول القهوة. لمّحت ليعقوب بأنه ما زال عندى بضعة مواضيع أرغب فى مناقشتها، فبقينا فى حجرة الطعام نحن الاثنان. رسمت له رؤيتى للوضع، ولكن بالطبع ليس بتلك القسوة أو الجدية التى كنت أرغب فيها. قررت أنه إذا تجاوب مع هذا التقييم العام للوضع، عندئذ سوف أوضح بعض النقاط. وإذا ذهب أبعد من ذلك، ففى هذه الحالة يجب الاستمرار فى الحديث وتعميقه. ولكن إذا لم يُظهر مبادرات، فلم أكن أستطيع تصعيد الحديث معه، حيث لم يكن ذلك من حقى، لأنه كان يوجد حظر من كريوتشكوف. وللأسف حدث ذلك. سار الحديث جيدًا بود. وقد اتفق يعقوب مع التقييم العام للوضع، ولكنه لم يظهر أية مبادرة بنفسه فى تقييم الأحداث أو أشخاص معينين. وقد أفقدنى ذلك إمكانية تصعيد الحديث معه بأى شكل. لذلك تناقشنا حوالى ١٥ دقيقة، ثم انضممنا لكل المجموعة التى كانت قد بدأت فى تناول الحلوى. هكذا كان الموقف. وبالطبع كنت أشعر بأسف، حيث إنه بعد هذه المناقشة، حكم يعقوب على نفسه بتوابع مأساوية.

حتى ذلك الوقت، كنا قد قوينا من إمكانياتنا فى كابول نفسها، وصلت مجموعة أخرى من "زينيت". أسكنتها فى فيلا أخرى قريبة من السفارة. ثم وصلت فرقة "ألفا" مكونة من حوالى ٢٠ فردًا. جاءوا على رحلة خاصة لطائرة TY-134 التى كان يُطلق عليها اسم "طائرة أندروبوف". وقد طرت عليها عدة مرات. كانت تتبع فى موسكو قوات حرس الحدود، وكانت ضمن وحدات الطائرات الحكومية. وكان طاقم قيادتها من ضباط حرس الحدود.

أذكر أنه عند وصول مجموعة "ألفا"، أنى استقبلتها فى المطار. وصلت حافلة بسرعة إليهم. وبمجرد خروج أفراد مجموعة "ألفا" من الطائرة اتجهوا فورًا إلى الحافلة بدون تقديم جوازات سفر أو تأشيرات دخول، أو أية مستندات. اقترب

منى رئيس المطار عدوًا، فقد كان يعرفنى، وسألنى بالروسية، وهو قد بدأ فى الاستياء:

– ما هذا؟ من هؤلاء الأشخاص، أيها الرفيق بجدانوف؟

هدأته بقولى: رجالنا، أنا أعرفهم.

قال: سوف أتقدم بشكوى.

قلت: لا يجب تقديم شكوى، فمن المعروف أن هؤلاء رجالنا. وأنهم قد جاءوا إلينا.

عامة، اتفقنا. وتوجه القادمون الجدد إلى مكان تمركزهم بدون أن تُراجع أوراقهم. وبذلك زادت إمكانياتنا، وتم تركيز قوات فى كابول طبقا لخطتنا.

وبالإضافة إلى ذلك، اتصل بى كريوتشكوف هاتفيًا، فى يوم ١٧ ديسمبر، وأخطرنى بأن رئيس إدارة الاستخبارات السرية بالإدارة الأولى العامة الجنرال "دروزدوف يورى إيفانوفيتش"، الذى تم تعيينه حديثًا، سوف يطير إلى كابول فى يوم ١٩. كما أنه أضاف على ذلك بأن عنده أفكارًا معينة وأنه سيعرضها علينا بعد وصوله. فعلاً، وصل ى.أ.دروزدوف إلى باجرام فى يوم ١٩ ديسمبر ١٩٧٩، ثم انتقل بسيارة إلى كابول. حضر إلىَّ، فسألته:

– يورى إيفانوفيتش. ما هى الأفكار التى عندك. لقد لمح كريوتشكوف؟

قال: لا توجد أية أفكار.

فقال ب.س.إيفانوف:

– إذن لماذا حضرت إلى هنا؟ ما الذى ستفعله هنا؟

بعد ذلك، وطبقًا للخطة انشغل دروزدوف بتجهيز العمليات والإشراف على أعمال تلك القوات التى سوف تُخصَّص للهجوم على قصر حفيظ الله أمين. وسوف تحصل هذه العملية الخاصة على اسم "العاصفة ٣٣٣".

تغير الوضع فى كابول فى ٢٠ ديسمبر بشكل كبير. ففى هذا اليوم انتقل حفيظ الله أمين من قصر أرك، الموجود فى وسط كابول، إلى مقر جديد هو قصر "طادجبك" الموجود بطرف المدينة. كان "أمان الله خان" قد بنى هذا القصر فى بداية القرن العشرين. وقد تم توصيل خط سكة حديد إليه. وقد ظلت بقاياه حتى ذلك الوقت الذى كنا فيه فى جمهورية أفغانستان الديموقراطية. كما انتقلت وزارة الدفاع إلى نفس المنطقة، وكذلك هيئة أركان حرب الجيش الأفغانى. استقروا فى مبنيين، على بعد كيلومتر واحد تقريبًا من من قصر طادجبك. وقد وصل إلى كابول فى نهاية شهر نوفمبر – بداية شهر ديسمبر النائب الأول لوزير داخلية الاتحاد السوفييتى، وهو شخص لطيف جدًا. كان يحضر إلىَّ تقريبًا كل يوم، وكنا نناقش المواضيع التى تهمه والتى تخص وزارة الداخلية. كان يجب أن يرجع إلى موسكو فى منتصف ديسمبر، ولكنه كان يشعر بأنه يجرى الإعداد لشيء ما. وقد يكون أحدهم فى موسكو قد لمَّح له بخصوص الأحداث المرتقبة. ففى مرة قال لنا:

– هيا، فلأبق معكم هنا.

بدأت أنا وإيفانوف وكيربيتشنكو فى إقناعه، بأن الأمر لا يستحق بقاءه هنا، وأنه لا معنى لأن يبقى. عندئذ ظهر عند بابوتين اختيار آخر.

– ولكن، يمكن أن أطيْر إلى طشقند، وأن أعود إلى هنا عند الحاجة.

ولكننا رفضنا أيضًا هذا الخيار، حيث إننا لم نكن نملك الحق فى إشراكه فى هذه الأحداث، فلم يكن ضمن الشخصيات المصرَّح لها بذلك. ولكننا قمنا بعملية استخباراتية باشتراك بابوتين، كما أشرت من قبل. أسكنوه فى نفس منزل الضيافة الذى نزل به من قبل الجنرال بافلوفسكى. كنا نشعر بأن أمين، بالرغم من ذلك، كان متوترًا. وقد سبق أن قلت إن المعلومات عن تجنيد البارشام كانت تتسرب من مكان ما. وهاهو بابوتين قد دعانا إلى مقره أنا وإيفانوف وكيربيتشنكو وكبير مستشارى وزارة الداخلية اللواء "أ.م.كوسوجوفسكى"، الذى كان نائبًا لى فى هذا المجال، وجنرال وزارة الداخلية "ستيبانوف". كنت أعرف منذ فترة طويلة كل من

كوسوجوفسكى وستيبانوف، فقد درسنا معًا فى الماضى بمعهد وزارة الداخلية بموسكو. هكذا حضرنا إلى الغذاء عند بابوتين. كانت توجد هناك حجرة استقبال كبيرة متصلة بحجرة الطعام. جلسنا قبل الغذاء حول مائدة مستديرة فى حجرة الاستقبال بالقرب من الحائط. كنا نعرف أن هناك جهاز تنصُّت مركبًا داخل الحائط. بدأنا حديثًا استمر حوالى ٣٠ دقيقة. كان النقاش عامًا، فعرضنا آراءنا فى مختلف المواضيع الحية، وتحدثنا عن النساء، ولكننا كنا فى بعض الأوقات نزج بتقييم الوضع فى أفغانستان. أكملنا بعضنا، واحدًا بعد الآخر. فأشرنا إلى أن الوضع صعب، وأنه يجب مساعدة أمين. وأن الوضع صعب عليه لذلك يجب زيادة المساعدة المادية والتسليح أيضًا...إلخ. أى أنه تم توجيه الحديث ليس فقط لطمأنة أمين، ولكن أيضًا لخلق رؤية لمستقبل تنمية علاقاتنا فى مختلف المجالات، ومنها العلاقات بين الأجهزة الخاصة.

ذهبت فى اليوم التالى أنا وإيفانوف إلى حفيظ الله أمين لبعض الأمور. كانت حالته النفسية مرتفعة، فوقف، ورحب بنا بحرارة شديدة، حتى أنه كاد أن يعانقنا. ابتسم وكان مزاجه جيدًا. لم يكن من الصعب فهم أن الأحاديث التى أجريناها فى اليوم السابق أثناء الغذاء عند بابوتين قد وصلته، وأنها قد لعبت دورًا إيجابيًا، من وجهة نظرنا، فيما كنا نريده.

جاء يوم ٢٥ ديسمبر. وكما هو معروف، فقد بدأت جيوشنا فى عبور الحدود بين الاتحاد السوفييتى وأفغانستان، فى الساعة ١٥:٣٠ بتوقيت موسكو. وقد بدأ إدخال القوات فى بضعة اتجاهات. لم أكن أعرف شخصيًا تفاصيل قرار إدخال الجيوش، وحجمها، وفكرة هذه العملية نفسها، وكيف سيتم تنفيذها...إلخ. وقد اتضحت لى بعض البوادر منذ الصيف. فقد رأيت فى السفارة مجموعة من ٥-٦ أشخاص أقوياء البنية بملابس مدنية. وكان يقف بالقرب منهم رئيس مجموعة هيئة الاستخبارات العسكرية المقيمة، الذى كان صديقًا جيدًا لى. وقد سألته فيما بعد:

- من هؤلاء الأشخاص الذين كانوا واقفين فى الفناء؟

أجاب: هذه مجموعة من هيئة أركان الحرب العامة للجيش السوفييتى، من الإدارة الرئيسية للعمليات. وهى قد جاءت للاستكشاف، من باب الاحتياط.

الآن معروف أن هيئة أركان الحرب العامة، وبصفة خاصة، الإدارة الرئيسية للعمليات لهيئة أركان الحرب العامة للجيش السوفييتى قد وضعت اختيارات مختلفة لمختلف الأحداث. فقد بدأ كل من تاراكى وأمين، من مارس ١٩٧٩ وباستمرار، فى طلب دخول جيشنا. وقد أصر أمين على ذلك حتى بعد أن أزاح تاراكى. ولا يوجد أى شك فى أن القوات المسلحة قد دخلت بناءً على طلب قيادة أفغانستان. وقبل ذلك بيومين، عرفت من رئيس إدارة العمليات بالجيش الأفغانى أن الجنرال "بابالدجان" وفريق من الضباط قد سافروا إلى الشمال لتنسيق العمل مع القيادة السوفييتية. ولكن فى الواقع، لم أكن أعلم عن كل العمليات، ولم تكن عندى كل المعلومات، حيث لم يكن أحد يبلغنا بها. أما ما يخص ممثلية الكى.جى.بى.، فهى لم تشارك على الإطلاق فى المفاوضات مع الجانب الأفغانى بخصوص إدخال جيشنا. فهذا لم يكن موضوعنا.

تم فى مساء ٢٥ ديسمبر إسقاط الفرقة ١٠٣ مظلات فى كابول. كنت طوال الليل أسمع بنفسى هبوط الطائرات فى مطار كابول. كانت هذه بالطبع عملية رائعة، بالرغم من فقد إحدى الطائرات فى منطقة سالانج، حيث اصطدمت بالجبال.. قُتل فى هذا الحادث حوالى ٣٠ فردًا. عند التحدث عن دخول الجيش يجب التدقيق فى إحدى النقاط. أثناء عبور قوات جيش الاتحاد السوفييتى الحدود فى يوم ٢٥ ديسمبر، كان من المفروض أن يخطب حفيظ الله أمين فى الإذاعة والتليفزيون متوجهًا للشعب من أجل إعلامه بأن قيادة الاتحاد السوفييتى قد لبت طلب الرئاسة الأفغانية وأنه بدأ دخول القوات السوفييتية. على قدر علمى، لم يكن قد تم الاتفاق بعد على نص هذا البيان قبل ٢٥ ديسمبر عن طرّق قناة هيئات العلاقات الخارجية لجمهورية أفغانستان الديموقراطية والاتحاد السوفييتى. لذلك لم يتمكن حفيظ الله أمين من إلقاء خطبته فى يوم ٢٥ ديسمبر. وفى يوم ٢٦ ديسمبر

كانت قواتنا قد أصبحت فعلاً فى أفغانستان، ولم تكن هناك وثيقة متفق عليها. فقط فى صباح يوم ٢٧ قدّموا لأمين نصًا جاهزًا للبيان عن ذلك الموضوع. ولكن فى يوم ٢٧ ديسمبر وقعت أحداث أخرى، سوف أكتب عنها بعد ذلك بقليل.

بعد إسقاط الفرقة ١٠٣مظلات تم الانتهاء من تركيز القوى الرئيسية فى كابول للقيام بالعملية "بايكال-٧٩". وقد بدأنا فى وضع خطة محددة للعمل فى ٢٦ ديسمبر.

حُدد موعد تنفيذ العملية ليكون فى يوم ٢٧ ديسمبر. كانت توجد مكتبة فى السفارة، فى الطابق الأول. عرضنا حمايتنا عليها، واستخدمناها كحجرة، يمكن فيها أن نقوم مع العسكريين بالتخطيط لمختلف العمليات. علقنا لافتة "ممنوع دخول الغرباء"، وقد خصص العسكريون اللواء "كوزمين" لكى يقوم بوضع خطة محددة مكتوبة على هيئة خريطة - مخطط مع حاشية مفصلة. أما أنا فقد كلفت العقيد "فلاديمير كيريلوف" للمشاركة فى ذلك، فهو ضابط ذكى جدًا ذو خبرة فى القيادة وفى أركان الحرب. وقد جلس هذان الشخصان إلى المائدة وبدآ فى التخطيط. فيم كانت تتلخص فكرة العملية؟ كما أشرت من قبل، كان يوجد فى نظام جمهورية أفغانستان الديموقراطية ثلاثة أفراد يمكنهم إصدار الأوامر الخطيرة لوحدات الجيش وفرق وزارة الداخلية. هم حفيظ الله أمين نفسه، ثم رئيس جهاز الأمن أسد الله أمين ورئيس أركان الحرب العامة يعقوب. وكان حفيظ الله أمين فى نفس الوقت وزيرًا للدفاع. كان الهدف الأول يتمثل فى تحييد هذا الثلاثى، وأن يُحرموا من إمكانية مقاومة العمليات التى ستقوم بها المعارضة بمعاونتنا. وبالإضافة إلى إخراج هؤلاء القادة الثلاثة من اللعبة، كان يجب أن نساعد القوى السليمة فى السيطرة على أهم المواقع، وخصوصًا فى كابول. وكان هذا هو العنصر الثانى فى الخطة. أما العنصر الثالث، فبعد تنفيذ العنصرين الأولين يجب ضمان استقرار الوضع والنظام فى كابول، وفى البلد كلها.

لذلك فقد تم تقسيم العملية إلى مرحلتين. المرحلة الأولى تتلخص فى تحييد القادة والاستيلاء على أهم المواقع، وقد تم تنفيذ العملية فى هذه المرحلة بواسطة قوى الوحدات الخاصة لكى.جى.بى. الاتحاد السوفييتى مع وحدات المظلات والإدارة العامة للاستخبارات العسكرية المضافة. وقد قادها رئيس لجنة أمن الدولة. وفى المرحلة الثانية تم تنفيذ أهداف حفظ النظام والاستقرار فى البلد بواسطة وحدات قوات الجيش السوفييتى. وكان قائد المرحلة الثانية للعملية هو ممثل وزارة دفاع الاتحاد السوفييتى. كانت هذه هى الفكرة.

كان علينا فى النهاية تقرير موضوع هام. يتلخص الموضوع فى أنه فى الصحافة وفى كثير من الكتب يجرى الحديث طوال الوقت عن عملية باسم مجازى هو "العاصفة ٣٣٣". أتذكر أن بوروفيك الأكبر[١] قد بدأ حديثًا فى التليفزيون باستخدام هذا الاسم لهذه العملية. وقد استمر استخدام هذا الاسم حتى اليوم، وهذا غير صحيح.. الموضوع هو أن عملية "العاصفة ٣٣٣" كان لها سمة خاصة، وأنها قد نُفذت فى قصر "طادجبك" مقر إقامة حفيظ الله أمين. كان أحد قادة هذه العملية من الكى.جى.بى. هو ى.أ.دروزدوف. وقد خُصصت لتنفيذها قوى وإمكانيات القوات الخاصة للكى.جى.بى. وتشكيلات الجيش، ومنها "الكتيبة المسلمة" من هيئة الاستخبارات العسكرية لهيئة أركان الحرب العامة للجيش السوفييتى. أما كل عملية أفغانستان فقد أُعدت ونفذت باسم اصطلاحى آخر هو "بايكال-٧٩".

وقد تم وضع خطة العملية على هيئة خريطة- مخطط، وكما يقال: حاشية عسكرية كبيرة لها. وكانت موضحة على الخريطة المواقع المزمع الاستيلاء أو السيطرة عليها. وقد تم فى الحاشية تقديم وصف تفصيلى للمواقع نفسها وللقوات الأساسية والمعدات المخصصة للعمل فى كل موقع، وكذلك قوى وإمكانيات دعمها. وقد تم حساب الزمن، وتم تحديد المسئول فى كل موقع. وقد كان الرمز بالأرقام للمواقع فى الحاشية كما يلى: رقم واحد هو حفيظ الله أمين. ثم بعد ذلك

---

(١) صحفى سوفييتى شهير.

مقر إقامة حفيظ الله أمين، قصر طادجبك. وبعد ذلك أركان الحرب العامة، جهاز الأمن، وزارة الداخلية، الإذاعة والتليفزيون، وزارة الخارجية، سجن بوليتشارجى، وعدد من المواقع الأخرى. كان إجمالى ما أمامنا هو التنفيذ باستخدام قواتنا وكذلك باستخدام الأفغان الذين كانوا موجودين فى ذلك الوقت فى كابول فى ١٨ موقعًا، ومنها تشكيلات الجيش الموجودة فى كابول نفسها وفى أطراف المدينة. كانت تمثل قوة كبيرة من حيث العدد. ويمكن بالتقريب إحصاء القوى التى كان يملكها الجانب الآخر: فرق المشاة ٧ و٨- فى كل منها ١٠ آلاف فرد، لوائى دبابات ٤ و١٥- حوالى ٢٠٠ دبابة، آلاى "فدائيين"- ٣ آلاف فرد، الحرس الشعبى، الحرس - ٢٠٠٠ فرد، جهاز الأمن-١٥٠٠ فرد. ويجب أن نضيف إلى تلك الأرقام هيئات أركان الحرب العامة، والإدارة، والشرطة، ووحدات الدفاع الجوى، وسلاح الطيران الحربى، والطائرات فى باجرام وعلى أرض مطار كابول.. أما نحن فكان عندنا من "القوات الخاصة" للكى.جى.بى. أكثر قليلاً من ١٠٠ فرد، مجموعة "ألفا"- أكثر قليلاً من ٢٠ فردًا، سرية حرس حدود (حوالى ١٠٠ فرد)، ولكنها لم تشارك مباشرة فى العمليات فى المواقع، بل قامت بحراسة السفارة. وبالإضافة إلى ذلك "الكتيبة المسلمة" من إدارة الاستخبارات العسكرية- ٥٠٠ فرد. كما تم إسقاط فرقة مظلات بها أكثر قليلاً من ٣ آلاف فرد - النسق الأول. كانت هذه هى نسبة القوى تقريبًا. أما فى المواقع، فكانت النسب مختلفة تمامًا. وبالطبع لم تكن فى صالحنا. طبقًا للخطة، كنت مسئولاً عن "السطر الأول"، كما كان يطلق على حفيظ الله أمين، وعن جهاز الأمن، ووزارة الداخلية، كما أنى شاركت فى تخطيط العملية الخاصة بهيئة أركان الحرب. يجب الإشارة إلى أنه نتيجة للإجراءات التى نفذت فى ١٤ ديسمبر، فإن رئيس جهاز الأمن أسد الله أمين لم يكن موجودًا فى كابول ولكنه كان فى موسكو. وبالطبع لم يكونوا سيتركونه فى موسكو حتى انتهاء كل الأحداث.. ولكن الجهاز نفسه كان موجودًا، فقد كان به عدة نواب للرئيس. كما كان يوجد شخص غير لطيف أبدًا وخطير هو رئيس القسم السياسى "سلطان". كنت

أدخل دوريًا إلى الحجرة التى كانت توضع فيها نقاط الخطة. وعندما كانت تقريبًا جاهزة، اقتربت من كيريلوف، وقلت له:

- الخطة جيدة، ولكن عندى إحساس بأن الأحداث سوف تتطور بطريقة مختلفة عما هو مكتوب.

وسألنى الجنرال كوزمين:

- ليونيد بافلوفيتش، كيف ستنجح؟ أنت هنا تعمل فى ثلاثة مواقع.

أجبته: بما أنه تم وضع التكليفات، سيكون علىّ تنفيذها. قبل غذاء يوم ٢٦ ديسمبر، كان كل شىء جاهزًا. أريد أن أنهى فورًا قصة مصير هذه الخطة. حسب علمى، وصلت النسخة الوحيدة من الخطة إلى موسكو بعد ديسمبر ١٩٧٩. وقد قدمت الخطة ليورى فلاديميروفيتش أندروبوف. وقد قيل لى إنه بعد اطلاعه عليه نادى على رئيس سكرتارية الكى.جى.بى. وقال له:

- أغلق على هذا المستند فى ظرف واختمه.

أخذ كيربيتشنكو المستند، ثم أحضر بعد ذلك ظرفًا مختومًا. أخذ أندروبوف قلمًا وكتب عليه بنفسه بحروف كبيرة: "لا يُفتح بدون إذن رئيس لجنة أمن الدولة". ثم أمر "كيربيتشنكو" بوضع هذا المستند فى خزينة رئيس لجنة أمن الدولة، التى كانت فى نفس المكتب. وأنا لا أعرف مصير هذه الخطة بعد ذلك. قد يكون قد تم إهلاكها، حيث إنه بعد قيام انقلاب لجنة الدولة للطوارئ[٢]، عندما تم تفتيش مكتب كريوتشكوف لم يعثروا على هذه الخطة.

ولكن، فلنعد إلى كابول. اعتمد الفريق إيفانوف الخطة عن الكى.جى.بى.، حيث كتبت كلمة "يُعتمد" على الجانب الأيسر مع توقيعه. كما كانت توجد كلمة "يعتمد" على اليمين مذيلة بتوقيع كبير المستشارين العسكريين بالقوات المسلحة

---

(٢) لجنة تكونت فى موسكو فى أغسطس ١٩٩١ بغية الانقلاب على جورباتشوف الذى كان يستجم فى ذلك الوقت فى القرم.

الأفغانية الفريق أول ماجوميتوف سلطان كيكيزوفيتش. وقد أشّرت على هذا المستند، حيث كانت تأشيرتى فى الأسفل. كما أشر على الخطة رئيس مجموعة الكى.جى.بى المقيمة فى جمهورية أفغانستان الديموقراطية. وهل أشر عليها أحد آخر؟ لا أعلم. يقال كأنما أشر عليها أيضًا نائب قائد قوات المظلات الفريق جوسيف، الذى كان موجودًا فى ذلك الوقت فى منطقة كابول، وكانت تحت قيادته وحدات قوات المظلات فى أفغانستان. هذا ما كان يخص الخطة. ولكن تم وضع خطة أخرى منفصلة خاصة بقصر أمين سميت اصطلاحيًا باسم "العاصفة-٣٣٣"، والتى انشغل بها الجنرال دروزدوف يورى إيفانوفيتش مع العسكريين الذين كانوا سوف يتعاملون مع الهدف "القصر". ولم يعتمد هذه الخطة الخاصة أى أحد آخر من الرئاسة.. وإذا رجعتم إلى الكتب التى عبر فيها ى.أ.دروزدوف وآخرون عن استيائهم بسبب عدم التصديق على هذه الخطة، فلم تكن هناك حاجة لذلك، حيث إن القيادة، بما فيها موسكو، قد قامت باعتماد الخطة العامة. لكنه كانت توجد خطة عمليات أخرى فى هيئة الأركان العامة، ولكن تم هنا كل شىء طبقًا لسيناريو آخر.

انشغلت بهذا العمل، وقد تم تعيين رئيس العمليات فى هيئة أركان الحرب كبير حرس حدودنا الجنرال "فلاسوف أندريه أندرييفيتش". كنت أنا وهو صديقين مقربين منذ سنوات الشباب، وبالطبع ناقشنا عملياتنا معًا. كانت توجد فكرة أن تتم قبل بدء العملية دعوة رئيس أركان الحرب العامة يعقوب إلى قائد فرقة المظلات، الذى كان قد تمركز مع أركان حربه فى منطقة مطار كابول. كانت هذه المقابلة ستُعد بحجة التعرف على قيادة الفرقة ١٠٣، وأن يرتب له هناك غذاء، ثم اتخاذ اللازم حتى لا يترك يعقوب الموقع أثناء تنفيذ العمليات المخططة فى المدينة. ولكن يعقوب اعتذر عن هذه المقابلة، معلنًا أنه مشغول جدًا، وأنه سيكون من الأفضل إذا جاء إليه ضباطنا فسوف يتعرفون على بعض عن قرب.

تم الاتفاق على استغلال هذه الإمكانية. ونظرًا لمزاج يعقوب، فقد كنا نريد عمل ما يلى: سوف يذهب فلاسوف مع قائد الفرقة، كبير المستشارين العسكريين

لرئيس أركان الحرب العامة، ومجموعة من الضباط، الذين سوف يمثلون مجموعة "زينيت"، إلى أركان الحرب العامة. وسوف يتم ضم وكيل، من الأفغان، حيث سيتنكر ويلبس هو أيضًا زى قواتنا الخاصة. جلست أنا وفلاسوف إلى مائدة صغيرة فى منزله ووضعنا وكتبنا، كما قلت أنا فى ذلك الوقت، خطبة "العرش". وطبقًا لما فكرنا فيه، كان يجب أن تظهر هذه المجموعة فى مكتب يعقوب، قبل لحظات قليلة من بدء العملية. سوف يعرّفه فلاسوف على قائد الفرقة ، ثم سوف يبادر بالحديث، ويعرض رأيه فى أن الوضع فى أفغانستان بقى معقدًا جدًا، وأن القيادة الحالية لا تستطيع أن تتعامل مع هذا الوضع. وقد تكلف الاتحاد السوفييتى الكثير ، وكذلك سياسيًا، فأدخل جيشه فى أفغانستان. وهو ما كان صعبًا جدًا لنا. ونحن نرى ضرورة أن يتم، فى ظل هذا الموقف، توحيد كل القوى "الصحية" بالبلد لكى يتم تغيير الوضع بشكل جذرى إلى الأحسن.. ومن المشكوك فيه أن تستطيع القيادة الحالية أن تتعامل مع ذلك. وهنا يوجد بين مجموعتنا ممثل القوى الصحية، وتوجد لدينا رغبة فى أن تناقشوا مواضيع القيادة المستقبلة للبلد مع ممثل هذه القوى.

كانت الخطوط العريضة للخطبة تظهر تقريبًا بهذا الشكل. كما أننا لم نستبعد أن يعقوب قد لا يوافق على ذلك الاتفاق. عندئذ، طبقًا لفكرتنا، كان يجب على الوكيل التحدث معه من موقع قوة، هذه المرة، وأن يعمل كل ما يلزم حتى لا يستخدم يعقوب مكانته ضدنا. كان الوكيل مزودًا بمسدس أجنبى به طلقات خاصة موضوعًا فى جيبه. لذلك فقد كان مجموع من توجهوا إلى هيئة أركان الحرب العامة ١٦ فردًا فقط من القوات الخاصة.

والآن، عن جهاز الأمن. لقد سبق أن قلت أن رئيسه كان فى موسكو. وكان ذلك عملاً كبيرًا لأننا حافظنا على أرواح الكثيرين. باختصار، كانت فكرة العمليات بخصوص هذا الهدف كما يلى: كان أحد نواب رئيس جهاز الأمن "يوسف" (هو نفسه الذى كان موجودًا مع أسد الله سارفارى كنائب أول له) قد استمر فى وجوده

معارضًا لأمين. كان فى ذلك الوقت طريح الفراش فى منزله لمرضه. كنت أريد أن يذهب إليه فى منزله نائبى فلاديمير تشوتشوكين تقريبًا ٤٠ دقيقة قبل موعد الإشارة العامة لبدء العمليات، وأن يحضره بسيارة إلى جهاز الأمن. ثم كان من الواجب أن يقول أن الوضع غير هادئ أبدًا فى كابول، وأنه يمكن أن تحدث أية تطورات للأحداث، وأننا نطلب أن يتواجد طوال الوقت فى مكتب رئاسة جهاز الأمن، وألا يخرج منه بدون الاتفاق معنا. سوف نراه مرة أخرى. ولكن كانت تستعد أيضًا مجموعة عسكرية للاستيلاء على جهاز الأمن. كانت تتكون من ١٥ من ضباط الممثلية. وقد رأس هذه المجموعة نائبى لشئون مكافحة التجسس المقدم "ف.غيليبوف"، وقد زُودت بفصيلة من فرقة المظلات فى ثلاث سيارات مدرعة.

وكان من المخطط لعمليات وزارة الداخلية أن يقوم بها عدد من ضباط ممثليتنا العاملون بوزارة داخلية أفغانستان، ومجموعة من القوات الخاصة ضمن "زينيت". وكان يرأس كل هذه المجموعة نائبى لشئون وزارة الداخلية اللواء كوسوجوفسكى ألكسندر ميخائيلوفيتش.

والآن عن الإذاعة والتليفزيون. كان يجب أن تعمل هناك مجموعة من قواتنا للمظليين. وقد ضم إليها من الجانب وزير الدفاع الأفغانى السابق الرائد فاتاندجار، الذى تم نقله إلى الاتحاد السوفييتى ضمن الوزراء الثلاثة ثم حضر إلى هنا مع بابراك كارمال. أما فى سجن بوليتشارجى، فكان يجب أن تعمل مجموعة صغيرة من قواتنا الخاصة من "زينيت" ووحدة جنود مظلات بسياراتهم الحربية.

كان أحد أهم نقاط الخطة، هو تعطيل كل وسائل الاتصال، بما فيها الحكومية والدولية وبين المدن، وكذلك اتصال التشكيلات والوحدات العسكرية بهيئة أركان الحرب العامة. وكانت هذه المهمة معقدة جدًا. أما ما يتعلق بخطوط المدينة، فقد نجحنا فى العثور على مهندس خبير سوفييتى، كان موجودًا فى كابول، حيث كان يعمل فى مجال تطوير وسائل الاتصال فى كابول وفى أفغانستان عامة. تبين أن عنده خريطة لكل خطوط الكابلات. وقد أراها لنا، فحددنا ما يسمى"البئر الصفرية"

التى تتقابل فيها كل الكابلات الرئيسية التى تستخدمها خطوط الاتصال. تقع هذه "البئر" فى وسط كابول تمامًا بميدان بوشتونستان. وأمامها على بعد ٦٠-٧٠ مترًا، يبدأ سور مجموعة مبانى القصر، أى مساحة كبيرة فى مركز كابول، كان يستخدمها الملك وداود وغيرهم. تم العثور على هذه البئر. وتم تخصيص مجموعة صغيرة من أفراد "زينيت" التى كانت تقوم دائمًا بالتجسس فى المدينة ودرست هذا الهدف أيضًا. كانت البئر مغطاة بغطاء ثقيل. وقد أعد رجالنا مُعدة خاصة يمكن أن يرفع بها هذا الغطاء شخصان أو ثلاثة. كانت توجد نقط حراسة شرطة بالقرب من الهدف، لذلك أُعدت مجموعة أخرى لحمايتها فى حالة تعقد الموقف.

كان سجن بوليتشارجى يقع خارج المدينة، على بعد ٢٠ كيلومترًا تقريبًا من مركز كابول. وكان من المخطط إرسال مجموعة "زينيت" إلى هناك ووحدة من قوات المظلات.

ولكن كانت توجد الكثير من هذه الأهداف. وبصفة خاصة، وحدات عسكرية، لم نكن بالطبع نخطط لاستخدام قوة السلاح ضدها. كان مستشارونا العسكريون موجودين هناك. لذلك فقد فُرض أنهم بالذات من سيحاولون تحييد هذه الأهداف، بألا يسمحوا بخروج الحاميات الأفغانية خارج حدودها.

بالطبع كان يجب أداء عمل خاص بذلك معهم. كما كان يوجد مركز اتصال فى هيئة أركان حرب الجيش العامة، وكان يجب العمل على تعطيله هو أيضًا. ثم، لقد أنشأنا نحن بأنفسنا شبكة لاسلكى صغيرة لعدد ٧-٨ أفراد لرئاسة البلد، ويجب الآن تحييدها بطريقة ما. تحدثت مع خبرائنا من إدارة الاتصالات الحكومية، الذين كانوا فى كابول. فقالوا إن ذلك ممكن، وأنهم سيقومون بهذا العمل باستخدام الأجهزة الموجودة لديهم. سبق أن أشرت إلى أنه تم وضع خطة منفصلة خاصة بقصر أمين. يجب أن أقول إنه بالإضافة إلى كل القوى ذات الطبيعة العسكرية التى كان يجب أن تقتحم القصر، فقد ضُم إلى تشكيل هذه المجموعة الصغيرة بعض الأفغان. كان من بينهم بصفة خاصة الرئيس السابق لجهاز الأمن أسد الله .

سارفارى، والوزير السابق جوليابزوى اللذان حضرا مع بابراك كارمال من موسكو.

كان من المخطط أن تنفذ العملية كلها كما يلى: فى يوم ٢٧ ديسمبر، يجب أن يقوم رجل استخباراتنا، الموجود بمقر أمين، باستخدام مادة معينة لإخراج أمين نفسه من اللعبة. وطبقًا لرأى الخبراء، فإن تأثير هذه المادة يبدأ فى الظهور فى خلال ٤-٦ ساعات، ويستمر تأثيرها لمثل هذه المدة تقريبًا. وبهذه الطريقة يكون أمين قد أُبعد عن إمكانية العمل بنشاط فقط قرب المساء، فى الساعة ١٨-١٩ هذا بالحساب. ويجب أن تكون كل مجموعاتنا ووحداتنا قد شغلت مراكز انطلاقها للعمل فى الساعة ٢١:٠٠ فى كل هدف محدد. كان يجب أن تكون قوتنا القتالية قد وصلت إلى ميدان بوشتونستان فى الساعة التاسعة إلا ربع مساءً تقريبًا، وأن ترفع غطاء "البئر الصفرية"، وأن تضع فى قاعها متفجرات كبيرة، تبلغ حوالى ٤٨ كيلوجرامًا من المتفجرات ومفجرًا مضبوطًا على الساعة ٢١:٠٠. ولكى يتم تأمين عملها، أى ألا يُسمح باتخاذ إجراءات مضادة، تقوم بإلقاء قنبلة دخان إلى نفس المكان، وبعد ذلك تقفل الغطاء وتعود إلى مكانها فى الفيللا.

يجب أن تنفجر البئر فى الساعة "٢١:٠٠". وكان يتوقع أن تكون قوة الانفجار كبيرة، نظرًا لحجم كمية المتفجرات. وسوف يكون ذلك إشارة لبدء تنفيذ العمليات فى نفس الوقت عند كل الأهداف. وبعد السيطرة على الأهداف والهيئات الرئيسية، يجب تسليمها فورًا لتكون تحت مسئولية الأفغان.. كان من المخطط أن الجزء التنفيذى من العملية سينتهى فى حوالى منتصف الليل. وفى نفس ذلك الوقت يجب أن يصدر من الإذاعة بيان بابراك كارمال الموجَّه للشعب، الذى سوف يعلن له أنه قد تم تغيير السلطة فى كابول، وأنه لم يعد يوجد بها أمين بعد ذلك، وأن تتم دعوة كل السكان للهدوء... إلخ. وهنا يجب على فاتاندجار، الذى يكون قد استولى على الإذاعة والتليفزيون، أن يعلن أن على كل الحكومة أن تذهب إلى أماكن عملها. كان يجب أن تنتهى المرحلة الأولى من الخطة تقريبًا بهذا الشكل. وكان

يجب على وحدات قوات المظلات أن تشغل أنسب المواقع فى المدينة قبل الصباح. وحسب ما هو متاح، يجب أن تُشرك فى ذلك وحدات الجيش الأفغانى التى تحولت إلى جانب الحكومة الجديدة. ثم تبدأ المرحلة الثانية من الخطة- حفظ النظام. وعدم السماح بأى نوع من التجاوزات فى كابول. ويجب أن تبدأ الحكومة الجديدة فى عملها التنفيذى من الصباح، بما فيه تنظيم الاتصالات وفرض نظمها فى البلد.

تم عرض الخطة باختصار على موسكو، وحصلنا على موافقتها عليها، أى أنه قد تم اعتمادها فعليًا. نقلنا "طباخنا" فى مساء يوم ٢٦ ديسمبر إلى السفارة، حيث تلقى آخر تعليمات. وعند مناقشتنا للاختيارات، فقد اقترح بنفسه استخدام عقار بإضافته إلى البلوف[٣]، الذى سوف يقوم بإعداده للغذاء. ولكن للأسف لم نكن نعرف- لا نحن ولا هو- من سوف يتناول الغذاء، وبصفة خاصة لم نكن نعلم أنه سيكون عند أمين الكثير من الضيوف فى هذا اليوم. وترك ذلك أثره على الأحداث فى القصر فى اليوم التالى.

وقد قامت رئاسة العملية بإنشاء مركزين للقيادة. واحد فى موقع نقطة الاتصال "ميكرون"، حيث كانت توجد مختلف وسائل الاتصال، ومنها السرية. وهى قد سمحت باستمرارالاتصال اللاسلكى مع كل وحدات قوات المظلات. ولم تكن توجد مثل هذه الإمكانيات لدى مجموعة "زينيت"، لذلك فقد استخدمنا محطات لاسلكية من طراز "أفرورا" للاتصال المباشر بروساء مجموعاتنا. وهى محطات لاسلكية مماثلة لتلك التى أعطيناها لقادة أفغانستان أثناء إنشاء شبكة حكومية لاسلكية صغيرة. وقد كانت الموجات فيها ثابتة ولم يكن بها نظام لجعلها سرية. أى أنه كان يجب فقط أن تكون كل الأحاديث على المكشوف. أما المركز الثانى للقيادة فقد أنشئ فى السفارة.. وقد اخترنا له حجرة فى الطابق الثانى، كانت مخصصة لمجموعة الاستخبارات المقيمة من قبل، ومجهزة بحماية خاصة من التنصت. وقد وضع بها اثنان من رجالنا من العاملين بإدارة الاتصالات الحكومية أجهزتهما. كان

---

(٣) البلوف هو طبق شهير فى دول وسط آسيا، وهو يتكون من الأرز واللحم والجزر.

بها نظام اتصال صوتى. كان يجلس بها أحد العاملين ليقوم بدور عامل التشغيل ويقوم بتنفيذ الاتصالات اللازمة مع المشتركين بنظام "أفرورا"، كما كان يستقبل المكالمات الواردة بنفس النظام. كان من المخطط أن يكون كبير المستشارين العسكريين ماجوميتوف موجودًا فى منطقة نقطة الاتصال "ميكرون"، ومن عندنا سيكون هناك إيفانوف ونائبى لشئون مكافحة التجسس العسكرى اللواء "فلاديمير باجنيوك". أما فى مركز القيادة بالسفارة، فقد بقيت فيه أنا والعقيد ف.كيريلوف والعقيد ف.يليسييف من الإدارة الخامسة للكى.جى.بى. (٤)، وعامل تشغيل الاتصالات و كيربيتشنكو، الذى كان فى حجرة أخرى، أى فى الحجرة التى كان يشغلها عادة إيفانوف. كان عندنا جهازا إرسال ذوا تردد عالٍ: واحد فى المكتب، الذى احتله كيربيتشنكو، والثانى فى مكتبى، للاتصال المباشر بموسكو.

وهكذا جاء يوم ٢٧ ديسمبر وقد استمرت منذ الصباح الإجراءات التحضيرية. جرى توصيل مجموعات قواتنا الخاصة بقادة وحدات قوات المظلات. وقام رؤساء مجموعات القتال التى كانت مكلفة بالسيطرة على الأهداف بعمليات استخبارات إضافية، وجرت مفاوضات مع موسكو. كنا فى منتصف اليوم قد أصبحنا فى انتظار إشارة من رجلنا الموجود بمقر إقامة أمين الذى كان يشارك فى إعداد الغذاء. للأسف لم نكن نعرف كيف كان الوضع فى الأوقات المختلفة فى داخل القصر. وبالطبع لم نكن نعرف بأن أمين قد دعا ضيوفًا لتناول الغذاء عنده، ومن بينهم وزير الخارجية شاه والى وزوجته. وبالإضافة إلى ذلك، كما كتبت، كان يجب أن يُلقى أمين بيانًا فى ذلك اليوم من الإذاعة والتليفزيون بخصوص دخول جيشنا فى أراضى أفغانستان. وقد كانت هذه القوات موجودة على أرض أفغانستان، وفى كابول، ولكن لم يكن البيان قد أُذيع. وقد تم الاتفاق على نصه فقط فى صباح يوم ٢٧ ديسمبر. ولكن اتضح أن مجموعة من التلاميذ، الذين نصفهم نحن بالكشافة، جاءت إلى أمين الذى قابلهم، وغادروا القصر فقط قبل الغذاء. وذلك قد

---

(٤) إدارة الدعاية الأيديولوجية.

منعه مرة أخرى من الإدلاء بالبيان الخاص بدخول جيشنا، والإعلان بأن ذلك قد تم بطلب من القيادة الأفغانية. جاءتنا إشارة فى حوالى الساعة ١٤:٠٠ تفيد بأن العملية الخاصة فى القصر قد تمت. وقد صرحنا لطباخنا بمغادرة طادجبك والذهاب إلى السفارة. هاهو يحضر لثانى مرة إلى السفارة ويروى كيف جرت الأحداث فى مقر الإقامة وما الذى فعله هناك. وقد وجدت فى الكتابات التى قرأتها فى السنوات الأخيرة الكثير من الأخطاء المهمة. ففى كتاب ف.أ.كيربيتشنكو، كتب أن سفيرنا ف.أ.تابييف لم يكن يعلم أى شىء عن هذه العملية، وأنه قد اتصل مساء يوم ٢٧ ديسمبر بكيربيتشنكو، وعبر له عن استيائه. كما كتب أحد الصحفيين أن زوجة ف.أ.تابييف قالت لزوجها: "كيف يحدث ذلك، ألا يجعلوك على علم؟".

وهذا غير حقيقى. فأنا أعلم تمامًا، أن إيفانوف قد ذهب، فى صباح يوم ٢٧، إلى السفير قبل الغذاء، وروى له، بدون ذكر تفاصيل، أنه يخطط لعمليات ستتم فى المساء، وسوف تؤدى إلى تغيير كبير للوضع فى كابول، وفى أفغانستان عامة. وكما أخبرنى إيفانوف بنفسه، فإن السفير قال له:

- أنا لا أعارض هذه الأعمال - وأضاف أنه عندما كان يستعد للسفر من موسكو إلى أفغانستان، استقبله ل.إ.بريجنيف ولمَّح له، أنه سوف تجرى هناك أحداث، ستطال كل جوانب الحياة فى أفغانستان. أى أنه جعله يفهم أنه سوف يتم تنفيذ عمليات خاصة. لذلك فإن الحديث عن أن السفير لم يكن يعلم أى شىء، لا يتفق مع الحقيقة. وبالطبع لم يكن السفير يعرف كيف تسير العمليات، وما الذى يحدث بالضبط فى كل موقع. كما أنه كان يستطيع الاتصال بكيربيتشنكو وأن يسأله عن الموقف فى المدينة. وكان يبدو أن كيربيتشنكو سوف يحيط السفير علمًا بالتفاصيل فى الصباح التالى.

وهكذا، فقد تم تنفيذ العملية فى القصر. وطبقًا لتقدير الخبراء، الذين كانوا على علم بالموضوع، كان قد بقى لنا لبدء تأثير العقار حوالى ٤-٥ ساعات. لذلك فكما قلت من قبل، فإنه قد تم الإعداد لتنفيذ العملية فى الساعة ٢١، بالاتفاق مع

موسكو. ولكننا بدأنا نتلقى أخبارًا عن أنه تجرى فى القصر أحداث غير مفهومة. وعلى أية حال تم استدعاء أطباء من المستشفى العسكرى إلى هناك، وكان من ضمنهم أطباؤنا. وبالإضافة إلى ذلك حضر إلى السفارة رئيس قسم الإدارة السياسية بالجيش الأفغانى "إقبال". كان يريد أن يلتقى بالسفير وأن يطلب منه إرسال أطباء أخصائيين إلى القصر، وبصفة خاصة، رئيس المستوصف الذى كان بالسفارة. ولكنه قال فقط إن حفيظ الله أمين متوعكٌ تمامًا هو وأشخاص آخرون كانوا فى القصر وتناولوا الغذاء مع أمين.

كانت هذه هى المعلومات التى وصلت إلينا، ولكننا لم نكن نستطيع عمل أى شىء. وبعد بعض الوقت، عاد رئيس المستوصف وجاء إلينا. وروى لنا إن مَن هناك فى حالة حرجة جدًا. فهم كما قال، غير متنبهين، وأنه جارى عمل غسيل معدة لحفيظ الله أمين، وتم تركيب محاليل له، ويحاولون إفاقته من حالة نصف إغماءة. أما الآخرون فببساطة لا يمكن إفاقتهم. كان ذلك غير متوقع أبدًا بالنسبة لنا. أذكر أن إيفانوف اتصل بموسكو وعرض عليهم الوضع باختصار. ولكن عامة لم يكن الذنب ذنبنا، ولكنه ذنب من أعطى تعليمات باستخدام هذا العقار وتأثيره. ظهرت فورًا أسئلة عن مدة تأثير العقار بحيث يكون القادة الأساسيون خارج اللعبة. أصبح لا يوجد لدينا الآن أية ضمانات. فقد يستمر ذلك الوضع لمدة ساعة، وقد يكون لساعتين، أو أربع أو خمس ساعات، كما قيل من قبل. لقد تعقد الموقف تمامًا. اجتمعنا فى مكتب إيفانوف. قلت إنه يمكن تغيير موعد تنفيذ العملية وتحديده ليكون فى الساعة ١٧ أو ١٨، وإلا فيمكن أن نتأخر، ويفشل كل شىء. ولكننا لم نكن نستطيع تقرير ذلك بدون الرجوع إلى موسكو. لذلك فقد قلت إن موسكو بعيدة، وإننا هنا بالجوار ومسئولون عن كل شىء يحدث. وهذا يعنى أن علينا اتخاذ قرار فورًا. وعلى أية حال فقد تمكننا من الاتصال بموسكو، وفى النهاية، تم تغيير موعد بداية تنفيذ العملية إلى الساعة ١٩:٣٠. ولكن كان يجب تفجير "البئر" التى تتجمع فيها خطوط الاتصال قبل ذلك قليلاً. حددنا أن انفجار "البئر" سوف يحدث فى الساعة ١٩:١٥، وأن ذلك سيكون الإشارة الأخيرة لبدء كل العمليات. بقيت أمامنا

بضع ساعات أخرى قبل الساعة "صفر". استدعينا بسرعة كل رؤساء المجموعات القتالية، ومنهم درازدوف ومعه زملاؤه من العسكريين. مرة أخرى تم تحديد الأهداف آخذين فى الاعتبار تغيير الزمن، ثم تفرق الجميع مرة أخرى، كل إلى مكانه، للاستعداد لتنفيذ العمليات، فى هذه المرة طبقًا للمواعيد الجديدة. كان يحتاج أمر المستشارين العسكريين الموجودين فى مختلف التشكيلات والوحدات، وفى هيئة أركان حرب القوات المسلحة الأفغانية، هو أيضًا لحل. وقد انشغل بذلك ب.س.إيفانوف. أذكر أنه قد تمت دعوة مستشارنا العسكرى لدى قيادة القوات الجوية الأفغانية، وكانت رتبته عقيد، فى وجودى. وعندما حاول ب.س.إيفانوف أن يكلفه بمهمة تتمثل فى عمل اللازم لكى لا يسمح بطيران الطائرات إلى الجو، حيث يمكنها توجيه ضربة للسفارة أيضًا ولباقى مواقعنا، فإن هذا العقيد قال، وهو على حق تمامًا فى وجهة نظره:

- ومن تكون أنت يا هذا؟ لماذا يجب علىّ أن أنفذ أوامرك؟

عندئذ اتصل إيفانوف بموسكو وعثر على رئيس هيئة أركان الحرب العامة للجيش السوفييتى المشير "أوجاركوف". وناداه باسمه وباسم والده، وقال له إن معه فى المكتب عقيدًا ما، ويناقش معه تكليفًا بمهمة فى ظل الأحداث الجارية، ولكن العقيد يرفض تنفيذ الأوامر التى أعطيت له. بعد ذلك قال أوجاركوف:

- أعطه سماعة الهاتف.

أعطى إيفانوف السماعة للعقيد، فأمره رئيس أركان الحرب العامة بأن ينفذ فورًا كل ما سيقوله له ممثل الكى.جى.بى. إيفانوف، أثناء الحديث فى السفارة. وقد تم تحديد مهمات لباقى المستشارين بدون أن يكشف لهم، بالطبع، تفاصيل تنفيذ كل العملية. وقد شارك كبير المستشارين العسكريين ماجوميتوف فى تحديد المهمات. وقد حدث كل ذلك فى أثناء وقوع الأحداث التى رويتها فى القصر. كنا نعرف أن رئيس أركان الحرب العامة يعقوب، الذى كان موجودًا فى مكانه، كان عادة يتناول الطعام الذى يحضر له من القصر. لذلك فقد طلبت من الجنرال أ.فلاسوف الذهاب

إلى أركان الحرب العامة بحجة التأكيد النهائى على المقابلة عند يعقوب فى المساء، ورؤية الوضع فيها وكيف تسير الأمور بالنسبة ليعقوب نفسه. عاد الجنرال أ.فلا سوف بعد حوالى ٢٠-٢٥ دقيقة وقال إنه لم يتمكن من مقابلة يعقوب لأن النوبتجيون قالوا إن رئيس هيئة أركان الحرب نائم. بالنسبة لنا كان ذلك غامضًا فى ذلك الوقت: فهل هو نائم طبقًا لبرنامجه اليومى، أم بتأثير أمور أخرى. كما لم نستبعد أنه تناول الغذاء، فأكل من الطعام الذى أحضروه له من القصر. ولكننا لم ننجح فى استيضاح ذلك.

لقد سبق أن أشرت إلى أن الجميع قد تفرقوا قبل الساعة ١٩، كل إلى مكانه: إيفانوف ونائبى لشئون مكافحة التجسس العسكرى جنرال ف. باجنيوك ذهبا إلى نقطة الاتصالات "ميكرون"، حيث يوجد مقر للقيادة. وقد ذهب إلى هناك أيضًا ماجوميتوف. وقد نقلتُ مركز القيادة إلى الطابق الثانى نهائيًا، إلى حجرة خاصة محمية، وكلفت العقيد فلاديمير يليسييف بعمل سجل يومى للعمليات الحربية. كان يجب أن يسجل فى هذا السجل موعد وصول التقارير من المجموعات القتالية، ومحتواها، ومحتوى الردود، والقرارات أو الأوامر، التى تصدر من مركز القيادة إلى المنفذين. وقد فكرنا بعد عدة أيام أنا والعقيد ف. كيريلوف، أننا قد أمسكنا السجل عبثًا. فقد كان يجب فقط أن نضع جهاز تسجيل، حيث إن كل أحاديثنا كانت تتم عن طريق الاتصال الصوتى، ولذلك كان يمكن ببساطة تسجيل كل المحادثات بواسطة المسجل. فتم التخلص من السجل اليومى والوثائق الأخرى التى كان يجب التخلص منها بعد تنفيذ كل العمليات بقرار من لجنة خاصة شُكلت لهذا الغرض.

قرب الساعة ١٩، كان تقريبًا هذا الجزء من السفارة، الذى كان يتم فيه دراسة وتخطيط العمليات، قد خلا من الناس، وكانت تسخن فيها المشاعر، وكان يجتمع فيه رؤساء المجموعات... إلخ. وقد قمت بتوديع أ.أ.فلاسوف ومعه ١٦ فردًا من قوات "زينيت" الخاصة. وذهب معهم أيضًا وكيل. وكان يجب أن ينضم

إليهم قائد فرقة المظلات والمستشار العسكرى لرئيس أركان الحرب العامة الجنرال "بيتر كوستنكو".

انصرفت المجموعة. وتفرق نوابى على مختلف الأماكن. كان نائب مكافحة التجسس العقيد ف.فيليبوف يرأس مجموعة القتال التى عليها أن تحتل مبنى جهاز الأمن. وكما أشرت، انصرف الجنرال ف.باجنيوك مع ب.س.إيفانوف متجهَيْن إلى مركز القيادة "بميكرون". أما النائب الأول تشوتشوكين، فقد ذهب إلى شقة نائب جهاز الأمن يوسف، كما اتفقنا، حيث كان من الواجب أن يصحبه إلى جهاز الأمن، وأن يعطيه التعليمات ويتركه هناك، ثم يعود هو إلى السفارة. ولكن تشوتشوكين اتخذ قرارًا آخر وبقى مع يوسف فى مبنى جهاز الأمن. أما النائب المختص بوزارة الداخلية الجنرال أ.م.كوسوجوفسكى فقد رأس فرقة القتال، التى كان عليها السيطرة على وزارة داخلية أفغانستان. ولم يكن قد تم بعد، فى ذلك الوقت، تعيين نائب لشئون حرس الحدود. وكان الجنرال أ.أ. فلاسوف هو الأقدم. توجه مع مجموعة إلى أركان الحرب العامة. وكانت مجموعة استخبارات الممثلية من ضمن مجموعة فيليبوف أساسًا. أى أنهم كانوا سيشاركون فى عملية جهاز أمن أفغانستان بوسط كابول. كان رئيس المكتب السياسى بجهاز الأمن سلطان شخصًا كريهًا وخطرًا جدًا، وكان أكثر الناس إخلاصًا لأمين "الأكبر" ولرئيسه المباشر أسد الله أمين. وكان يمكن لسلطان أن يتسبب فى أضرار كثيرة. لذلك فقد أعطيت بنفسى التعليمات لرجلنا الذى كان مستشارًا لسلطان، أى لرئيس المكتب السياسى لجهاز أمن أفغانستان. وقد اتفقنا على أنه سوف يدعو سلطانًا إلى منزله فى النصف الثانى من اليوم للغذاء أو للعشاء. كان سلطان يحب شرب الخمر، وكان يسكر بسرعة. لذلك قلت لرجلنا:

– تصرَّف لكى يشرب سلطان كمية كبيرة من الخمور. وإذا كان لن يقوى على التحرك بدون مساعدة، فأبقه عندك. ولكن لا تتركه بأى حال من الأحوال

ينصرف من بيتك. افعل كل ما يمكن لكى لا يخرج من البيت، ولكى لا يظهر فى جهاز الأمن أثناء سير الأحداث.

وللأسف لم ينجح رجلنا فى تنفيذ هذا التكليف، وكان سلطان موجودًا بمبنى جهاز الأمن فى الساعة ١٩.

كان الجميع فى الساعة ١٩ جاهزين للتحرك، وكانوا موجودين فى مواقع انطلاقهم. كانوا ينتظرون الإشارة. سوف أحكى عن سير الأحداث، بصفتى شخص كان يجلس فى مركز القيادة. ولن أسرد التفاصيل عن تطور الأحداث مباشرة فى كل هدف. دوّى انفجار فى تمام الساعة ١٩:١٥، وسُمع جيدًا حتى فى السفارة، بالرغم من أن البئر كانت موجودة فى الجزء الشمالى من المدينة، وأن السفارة كانت فى الجنوب. ثم سُمع بعد ذلك صوت إطلاق رصاص مستمرًا من منطقة قصر طادجبك، أى من أطراف كابول الجنوبية. ولكن لم يُسمع أى صوت لإطلاق الرصاص، الذى كان يمكن أن يُسمع جيدًا، وأن يدل على حدوث اصطدام مسلح فى الجزء الآخر من المدينة. وبعد وقت قصير تلقينا إخبارية قصيرة من مجموعة دروزدوف: "تقاتل فى القصر". ووصلنا خبر مقلق من أركان الحرب العامة: كان الرقم الحركى لفلاسوف هو "١٠٤". ويبدو أن المترجم أمسك بجهاز اللاسلكى وأخطرنا: "١٠٤ أصيب بإصابة بالغة. تسيل الدماء. ولا نستطيع إيقافها". كانت لدينا مجموعة احتياطية من بعض ضباط حرس الحدود، فأعطيت أمرًا لف.كيريلوف بأن يرسل بسرعة إلى هناك أحد العقداء بسيارة طبية تابعة للسفارة، وكانت تقف فى الفناء. ذهب العقيد إلى أركان الحرب العامة. كان ذلك يستغرق ١٠ دقائق فقط. ثم تبين أن من أصيب بإصابة بالغة هو أحد خبرائنا العسكريين بأركان الحرب العامة. أكد فلاسوف: "تقاتل". ولكن بعد ٤٠ دقيقة جاءت إخبارية منه تفيد بأنه قد تم الاستيلاء على الهدف، وأن كل شىء تمام. ولكن حدثت مفارقة. فطبقًا للخطة، كان يجب أن تحضر فصيلة من قوات المظلات إلى مجموعة فلاسوف كوسيلة لدعمها، بعد ٢٥ دقيقة من بدء العملية. ولكنها تأخرت وحضرت

فقط بعد ٤٥ دقيقة. وحيث إنه كان قد تم الاستيلاء قبل ذلك على أركان الحرب العامة، فإن أ. فلاسوف قد طلب منى الاتصال بالفصيلة وإخطارها بوجود رجالنا فى الطابق الثانى، حتى لا يلقى جنودنا عليهم قنابل يدوية من خلال النافذة. اتصلت بواسطة الهاتف "السرى" بمركز القيادة "بميكرون" ونقلت له طلب ب.س.إيفانوف وس.ك. ماجوميتوف. وقد نقل هؤلاء بدورهم عن طريق القنوات العسكرية التعليمات اللازمة لجنود المظلات. وبذلك انتهى الجزء الأساسى من العملية بأركان الحرب العامة الأفغانية. وقد تم القبض على بعض الوزراء الذين كانوا بالقرب من يعقوب، فى المبنى.

وعند خروج قائد فرقتنا وفلاسوف من المبنى إلى فصيلة الدعم، بدأ إطلاق الرصاص عليهما من رشاش من على سطح وزارة الدفاع. كان هذا المبنى قريبًا من أركان الحرب العامة، وكان يقف على منحدر تل، بحيث إنه كان يمكن كشف المنطقة جيدًا منه. فأمر قائد الفرقة بالقضاء على الرشاش الذى فى وزارة الدفاع باستخدام المدافع المزودة بها سيارات الاستخبارات الحربية لقوات المظلات. وبعد وقت قصير توقف إطلاق الرصاص من الرشاش وشب حريق صغير فى المبنى.

ثم وصلتنا إخبارية من وزارة الداخلية، بأن العملية فى هذا الهدف قد انتهت هى الأخرى بعد حوالى ٤٠-٤٥ دقيقة من بدايتها. وقد حدث هناك مشهد يستحق الاعتبار. كان مبنى وزارة الداخلية يقع فى الجزء الشمالى من كابول، وكان يفصل جبلين، الشمال عن الجنوب. وقد حكى لى الجنرال أ.م.كوسوجوفسكى: عندما نفذوا العملية فى وزارة الداخلية، كان كل شىء حولهم هادئًا لدرجة أنه ظن أنه تم إلغاء العملية وأنهم قد استولوا على هذا المبنى بلا داع. لم يكن مع كوسوجوفسكى جهاز لاسلكى، وقد تعب فى البحث عن وسيلة اتصال مع السفارة للتأكد من الوضع. ولكن مر كل شىء على خير. ولكن للأسف تكلفنا خسارة هناك. فقد أصيب أحد أفراد القوات الخاصة، ثم توفى بعد ذلك.

وصلتنا إخبارية من المجموعة التى كانت تتحرك فى اتجاه سجن بوليتشارجى، الواقع على بعد ١٨-٢٠ كيلومترًا بشمال شرق كابول. كانت الإخبارية غريبة بعض الشيء: "يطلقون علينا الرصاص، نقاتل، لا نستطيع أن نتقدم أكثر". عند سماعى لذلك، أمرت بوقف التحرك، وبالتمركز فى وضع الدفاع، والانتظار إلى الصباح. ولكن تبين أن هذه الاخبارية ليست صحيحة تمامًا، فقد وصلت هذه المجموعة بعد ذلك بقليل إلى سجن بوليتشارجى، واستولت عليه، وأفرجت عن كل السجناء السياسيين، ومن بينهم عائلة تاراكى.

وبعد ذلك جاءنا خبر بانتهاء عملية مجمع الإذاعة والتليفزيون.

وفجأة وصلت رسالة عاجلة من دروزدوف، من طادجبك. كانت تفيد بأنه قد تمت إصابة "السطر الأول" (أى حفيظ الله أمين، كما ورد فى الخطة)، تطلب التعليمات ما يجب عمله. لم أكن أعلم خطط موسكو بخصوص حفيظ الله أمين: فهل يجب أن يلقى الأفغان القبض عليه، أم نصفيه؟. ويمكن أن تكون هناك بدائل أخرى. لذلك ذهبت إلى مكتبى واتصلت بكريوتشكوف بواسطة جهاز الراديو ذى التردد العالى، الذى كان موجودًا بمكتبه. عرضت عليه الموقف وأخبرته بأن حفيظ الله أمين مصاب، وأن دروزدوف يسأل عما يجب عمله؟ أجابنى كريوتشكوف:

- يجب الانتهاء من أمر "السطر الأول".

هذا هو الأمر الذى جاءنا. عدت إلى الحجرة العامة، واتصلت بمجموعة دروزدوف عن طريق جهاز "أفرورا"، ونقلت لهم حرفيًا "يجب الانتهاء من أمر السطر الأول". وكما هو معروف، فقد قتل حفيظ الله أمين فى القصر فى أثناء تنفيذ العمليات الحربية.

اتصل بى كريوتشكوف فى الساعة ١٢ مساءً. كان قد تم الاستيلاء على كل الأهداف، وتم تسليم جزء منها للأفغان. قال لى كريوتشكوف:

- يجب الأمر بإزالة الآثار.

بدأت فى التفكير فى كيفية توصيل ذلك، حيث إن وسيلة الاتصال لم تكن مشفرة، وتدور كل الأحاديث على المفتوح. ونحن لا نعرف: فقد يكون الأمريكان أو الإنجليز يتنصتون علينا، فيمكنهم التقاط هذه الأحاديث. اتصلت فى البداية بالجنرال فلاسوف. فهو من حرس الحدود، وكنت أنا أيضًا قد خدمت فى فترة ما بقوات حرس الحدود. قررت أن أنقل هذا الأمر بلغة مواربة. يوجد عند حرس الحدود وسيلة هندسية عبارة عن شريط للتفتيش عن الأثر، يبين هل تم اختراق الحدود أم لا. ولكن أحيانًا نضطر نحن لعبور شريط ضبط الأثر، فتبقى آثار نقوم بكنسها بمكنسة. لذلك قلت لفلاسوف:

- يجب أن تعمل نفس ما تفعله على شريط ضبط الأثر.

أجابنى فلاسوف: حاضر، لقد فهمت كل شىء.

ثم اتصلت بمجموعة دروزدوف، وأفهمتهم كما استطعت بوجوب كنس الآثار. وبعد ذلك تم تنفيذ الإجراءات المناسبة. وقد كُتب عن ذلك فى بعض الكتب. لقد تم لف حفيظ الله أمين فى سجادة ودفنه فى مكان ما فى الجبال.. ودُفنت معه امرأة قُتلت، يعتقد أفراد مجموعة "زينيت" أنها زوجته. ولكن فى الحقيقة، تبين أن هذه زوجة وزير العلاقات الخارجية شاه والى، التى قُتلت صدفة... وقد تم شحن جثة يعقوب، كما حكى لى فيما بعد فلاسوف، مع باقى الجثث فى سيارة، وأُرسلت، على ما يبدو، إلى مشرحة المستشفى العسكرى.

أما ما يتعلق بجهاز الأمن، فطبقًا لروايات المشاركين، ومن ضمنهم نائبى ف.تشوتشوكين، فقد كان الوضع كما يلى. كان يتحدث تشوتشوكين فى المكتب مع القيادة. كان يوجد فى الحجرة ثلاثة نواب للرئيس ويوسف. وقد جاء إلى هناك رئيس القسم السياسى سلطان. حضرت مجموعة فيليبوف مستقلة سيارة نقل، وفصيلة من المظليين فى سيارات مدرعة إلى الموقع. حطموا البوابة بواسطة سيارة واقتربوا من المبنى الإدارى. وأمر قائد الفصيلة - نقيب شاب - بإطلاق طلقة فارغة على المبنى، بين الطابق الأول والثانى. اخترقت الطلقة السقف

فسقطت قوالب الطوب على رأس أحد نواب رئيس جهاز الأمن. ذعر الحاضرون، ولكن فى ذلك الوقت، اندفعت مجموعتنا من خلال الباب. وتم إلقاء زوج من القنابل اليدوية من باب الاحتياط. وأصيب أحد رجالنا، من ضمن هذه المجموعة، إصابة بسيطة بشظية. ولكن تمت السيطرة على الوضع بسرعة. وقد لعب كل من تشوتشوكين ويوسف دورًا كبيرًا فى ذلك. لم ينجح سلطان فى إخراج سلاحه، وتم القبض على مجموعة من الأشخاص. وبذلك انتهت العملية.

اتصل بى فلاسوف فى حوالى الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وقال لى:

– قل لى، لماذا نحن نجلس هنا؟ لقد تم تقييد كل الأسرى؛ الشخصيات الرئيسية. وقد بدأ الوكيل وبقية أتباع بابراك كارمال عملهم. أليس من الممكن عودتنا للسفارة؟

اتصلت بإيفانوف فى مركز القيادة الثانى، وقلت له:

– يتصل الرفاق من أركان الحرب العامة، ويطلبون الإذن بعودتهم، من حرٌ منهم؟

أجاب: لا، فليبق الجميع فى أماكنهم إلى الصباح.

وفى الصباح، عاد إيفانوف إلى السفارة بسيارة مصفحة. كما جاء فلاسوف، متعبًا ومنهك القوى. وروى لى التفاصيل. فقلت له:

– فى الأسفل، فى الحجرة التى وضعت فيها الخطة، توجد ثلاجة. وبها بعض الشطائر وزجاجة فودكا. اشرب بعضها واذهب إلى المنزل. ارقد واسترح.

ولكن فى الصباح، بدأ إطلاق الرصاص مرة أخرى فى منطقة قصر أمين. كانت هذه هى بقايا الحرس، الذى تحت قيادة الرائد دجاندال، والذى كان ما زال يقاوم. أمر دروزدوف بإطلاق نيران المدفعية، فقد كانت كتيبة مظلات متمركزة فى هذه المنطقة. تم القضاء بسرعة على المقاومة. وقد حضر إلى السفارة العقيد أ.ت.جولوبيف وجاء إلى مكتبى. كان، أثناء الهجوم على القصر، نائبًا لرئيس

المجموعة القتالية التى كانت تحت قيادة العقيد "بايارينوف" الذى قتل أثناء الهجوم على طادجبك. كنت أعرف جولوبيف جيدًا، حيث إننا عملنا معًا فى إيران. كنت في ذلك الوقت رئيسًا لمجموعة الاستخبارات، وكان هو مازال نقيبًا، يعمل ضمن مجموعة الاستخبارات. ثم نما فى المركز بموسكو، وأصبح رئيسًا لقسم. دخل إلى المكتب، ووضع على المكتب خوذة بايارينوف التى كانت مثقوبة فى عدة أماكن وملوثة بالدماء. ثم وضع مسدسًا و"سونكى" المدفع الرشاش الخاص ببايارينوف. وقد روى لى بالتفصيل كيف دارت المعركة فى قصر طادجبك.

كان – بالنسبة لى– مفاجئًا ومضجرًا، أنه أثناء دوران المعركة فى قصر حفيظ الله أمين، بدأت الجرحى تحضر إلى السفارة. كنا قد أعددنا بعض الإجراءات لتحويل مستوصف السفارة إلى مستشفى صغير. كما أن الحظ ابتسم لنا، بقدر ما، لأنه كان يوجد عندى هذا المساء فى ضيافة أحد أطباء المستوصف جراحان من أخصائيينا العسكريين، الذين كانوا يعملون بصفة دائمة فى المستشفى العسكرى. وقد قاما فورًا بتقديم مساعدتهما، وبإجراء عدة عمليات. ولكن انتهت المواد اللازمة لهما بعد وقت قليل، فأرسلنا أحد الأشخاص بإحدى سيارات حرس الحدود المدرعة إلى المستشفى العسكرى. أحضر من هناك ضمادات ومختلف المواد الأخرى اللازمة لإجراء العمليات. كان إجمالى عدد المصابين أثناء الهجوم على القصر هو ١٧، وعدد القتلى ٤، وهذه الأرقام خاصة بالكى.جى.بى. وجرح شخص واحد فى أركان الحرب العامة – ملازم أول من فصيلة حرس الحدود. كانت مهمته تخريب مركز اتصال بواسطة قنابل يدوية. وقد أصيب فى فخذه خلال تبادل إطلاق النيران. كما أصيب مترجم الجنرال فلاسوف بخدش بسيط. وفى خلال عملية وزارة الداخلية، أصيب ضابط من القوات الخاصة "زينيت" إصابة بالغة، وقد فارق الحياة بعد ذلك. ولم تكن هناك خسائر فى الأماكن الأخرى. وقد استغرق الجزء الأساسى من العملية فى غالبية الأهداف ٤٠–٤٥ دقيقة. والمكان الوحيد الذى تجاوز فيه القتال هذه المدة كان قصر حفيظ الله أمين. ومن حيث الوقت، فقد استولت المجموعة المقاتلة على سجن بوليتشارجى متأخرة عن ذلك نظرًا لأنه كان

أبعد كثيرًا. وقد استغرقت عملية الاستيلاء على هذا الهدف ١٥- ٢٠ دقيقة. وقد انتهت بذلك هذه العملية، وعاد كل من لم يصب إلى قواعده قبل الصباح.

يجب أن أشير إلى أنه قد أُحضرت لى بعض صور المستندات وبضعة أشياء شخصية من مكتب حفيظ الله أمين فى المساء. وقد شُكلت لجنة سجلت كل ذلك. لم يكن بين هذه الأشياء ما هو ثمين. وقد وجدت بين المستندات اتفاقية سرية بين أفغانستان والهند عن إنشاء مراكز اتصالات لاسلكية للاستخبارات فى قندهار وجلال أباد، والتى تحدثت عنها مسبقًا.. كنت قد رأيت هذه الاتفاقية من قبل. فقد أراها لى من قبل أسد الله سارفارى.

فى يوم ٢٨ ديسمبر رتب الجميع أمورهم، وتم تقديم التقارير الشفهية والكتابية إلى موسكو.. وانشغل القنصل بإرسال جثث القتلى والمصابين الذين يمكن نقلهم، إلى موسكو.

وقد اتصل بى رجلنا "ألكسندر بتروف" فى صباح يوم ٢٨ ديسمبر. هو نفس بتروف الذى قابل تاراكى فى موسكو وأبلغه بالمعلومات عن خطط حفيظ الله أمين. وقد حضر بتروف إلى كابول مع بابراك كارمال ولعب دور ضابط اتصال بينه وبين رئاستنا فى موسكو. وقد قال لى بتروف إن كارمال يجمع المكتب السياسى للّجنة المركزية لحزب الشعب الديموقراطى الأفغانى، ولكن وحدات فرقة المظلات المتمركزة قرب المطار فى شمال كابول قد بدأت تدريبات إطلاق النار، مما يحدث ضجيجًا كبيرًا، ويهزُ زجاج النوافذ. وهذا يعوق الاجتماع. فهل من الممكن الاتفاق مع العسكريين لكى يوقفوا إطلاق النيران؟ اتصلت بنائب قائد قوات المظلات الجنرال جوسيف، الذى كان قائدًا للقوات الجوية، وقائدًا فعليًا لكل تشكيلات القوات الموجودة فى ذلك الوقت فى منطقة كابول، وعرضت عليه هذا الطلب.

أجاب: سوف نقوم بذلك الآن!

ولكن بعد حوالى ٤٠ دقيقة، اتصل بى بتروف مرة أخرى لأن إطلاق النيران لم يتوقف. اتصلت مرة أخرى بجوسيف، فقال لى:

– ليونيد بافلوفيتش، إذا بدأ إطلاق النيران، فمن الصعب وقفه. ومن حيث المبدأ، فإنه إذا توقف الجيش عن إطلاق النيران، فإنه يتحول إلى عامة الناس.

وعلى الرغم من ذلك، فقد نجحنا بعد فترة ما من تحقيق ذلك، ومن توفير وضع أكثر ملائمة لقائد البلد.

فى أيام ٢٩، و٣٠، و٣١ ديسمبر، غادرت وحدات القوات الخاصة كابول على مجموعات، بما فيها "ألفا" و"زينيت". وفى مساء يوم ٢٩، على ما أعتقد، اجتمع مقاتلو "زينيت" فى إحدى الفيللات على عشاء ودى. حضر العشاء كل من دروزدوف وكيربيتشنكو وكابانوف وأنا من الممثلية، والعقيد كوسترومين ودروزدوف، الذى كانت تتبعه أساسًا وحدات القوات الخاصة، وقد عرض بعض النتائج. ترحمنا على الموتى، وهنأنا من بقى على قيد الحياة وشارك فعليًا فى تنفيذ المهام التى حددتها موسكو. وقد تمت دعوتى فى يوم ٣٠ ديسمبر فى فيللا "مجموعة زينيت" أيضًا إلى حفل عشاء وداع. وسمعت هناك بعض الأغانى التى غناها ضابط موهوب، أصله من مدينة أوديسا. كان فى ذلك الوقت برتبة ملازم أول. وكانت الأغانى مكرسة للأحداث التى جرت فى كابول. وكانت كلماتها مكتوبة جيدًا جدًا. أما الألحان، فكانت مأخوذة من أغانٍ أخرى مشهورة. كما أن "مجموعة زينيت" قد سجلت عدة أغانٍ على أجهزة التسجيل. وقد لفت نظرى أنه قد تم كشف بعض تفاصيل العمليات فى الأغانى، والتى كانت قبل ذلك سرية.. وقد تم إنذار الجميع بشدة بعدم نشر المعلومات الخاصة بالإعداد وبتنفيذ العملية. وكانت قد بدأت تعمل فى موسكو وفى كابول، لجنة خاصة، تم تشكيلها من أجل إتلاف الوثائق المتعلقة بعملية "بايكال-٧٩". قلت لقائد المجموعة:

– احضر إلى السفارة، فيجب أن نتحدث معًا فى هذا الموضوع. يوجد شىء هنا غير صحيح.

وفى يوم ٣١ غنى "أفراد زينيت" مجموعة من الأغانى ملأت شريطًا كاملاً وأهدوه لإيفانوف، للذكرى عن كابول. كان قد تم فيها كشف كل العملية تقريبًا فى

كل المواقع. وعند وصول هذا الشريط إلى إيفانوف، دعانى أنا ورئيس مجموعة الاستخبارات المقيمة. عندما استمعنا إلى الشريط، أمسكنا برؤوسنا. كانت المجموعة ستطير فى مساء ٣١ إلى موسكو. قررنا سحب الشريط بسرعة. فى ذلك الوقت، كان يوجد بعض الأفراد من "ألفا" فى القصر الذى أقام به بابراك كارمال. كانوا يمثلون حراسته الشخصية. وكان بعض رجال القوات الخاصة فى مكان آخر بالقصر، حيث نزل العسكريون. عندئذ طلب ضابط الأمن س.باختورين الذهاب إلى العسكريين، على ما أعتقد. ذهب ف.تشوتشوكين إلى مقر بابراك كارمال، بينما توجهت أنا وإيفانوف إلى فيللا "زينيت". كانت توجد فصيلة فى الطابق الأول. عبّر لهم إيفانوف مرة أخرى عن شكره على العمل الذى قاموا به، وأخبرهم أنهم كلهم سوف ينالون أوسمة من الدولة. وبعد ذلك، قال لهم إنه استمع إلى الشريط، وإن الأغانى تنم عن موهبة كبيرة، ولكنها تحتوى على معلومات يحظر نشرها. ثم أضاف أنه إذا وقع هذا الشريط فى أيدى الأمريكان، يمكن الحصول فى مقابله على مليونى دولار. وقد شدنى ذلك بعض الشىء. ثم طلب إيفانوف بعد ذلك بتسليم كل الشرائط لى، وانصرف. وضع الجنود كل الشرائط فى قبعة أحدهم الشتوية، وسلموها لى. ثم تناولنا كأسين للوداع. أخذت الشرائط وانصرفت عائدًا إلى السفارة. بالطبع لم يحل ذلك المشكلة بالكامل. فأولاً، لا يبدو أن الجميع سلموا نسخهم. وثانيًا، عندما عاد الجرحى إلى موسكو فقد أعادوا غناء هذه الأغانى. وقد بدأت تنتشر، إذا لم يكن على شكل واسع، فعلى الأقل بين المقربين. ويوجد عندى شريط منها.

فى ٣١ ديسمبر، طار إلى موسكو كل من دروزدوف وكيربيتشنكو. ولكننا نحن، كنا نستعد لاستقبال العام الجديد. أقصد العاملين فى السفارة، وفى الممثلية التجارية، والمستشار الاقتصادى. وقد نُظم هذا الاحتفال بحيث دفع كل فرد مبلغًا معينًا عن نفسه أو عن نفسه وزوجته. وقد جاء إلىَّ العقيد جولوبوف، فى النصف الثانى من اليوم وقال لى:

- ليونيد بافلوفيتش، لقد بقى منا هنا ٣٠ فردًا، ولن نسافر الآن. ويبدو أننا سنقضى الليل هنا فى البدروم.

كانت توجد هناك حجرة مجهزة لتكون ملجأ من القنابل. كان ضابط الأمن هو المسئول عن هذا الموضوع، عندما بدأ الوضع يتعقد فى كابول. كانت توجد هناك أسرَّة وملاءات... إلخ. قال جولوبيف: "إننا سنبقى، وسوف نقضى الليل فى السفارة، والعام الجديد قادم، فماذا نفعل؟"

ذهبت إلى السفير ف.أ.تابييف، وأوضحت له الموقف. قلت له إنه يجب الاهتمام بشكل ما بهؤلاء الناس. واقترحت أن تأخذ كل من السفارة والممثلية التجارية وجهاز المستشار الاقتصادى كل ١٠ ضباط، وأن تظهر اهتمامها بهم، وألا يُلقَى بهم فى ليلة رأس السنة للقدر. وقد فعلنا ذلك. فاحتفل كل الرفاق بقدوم العام الجديد بين جماعات سوفييتية. اتصلت فى يوم ١ يناير بموسكو أطلب التصريح لى بالسفر إلى العاصمة للراحة، ولو لمدة عشرة أيام. كان قد سُمح للجنرال فلاسوف بالسفر لمثل هذه الراحة. وقد حصلت على موافقة ى.ف.أندروبوف، وسافرت فى يوم ٢ يناير إلى موسكو فى إجازة قصيرة.

اندفعت الطائرة على ممر الطيران الوحيد بمطار كابول. ارتفعت مقدمتها لأعلى، وبدأت ترتفع للخروج من دائرة الجبال المحيطة بعاصمة أفغانستان. نظرت إلى الأسفل وإلى الوراء قليلاً. كان كل شىء مغطى بالثلج. وظهرت المدينة هادئة ونائية. وفى أثناء الرحلة بدأت أنظم أفكارى التى تجمعت على مدى العام الماضى. وقد سمى نائبى فلاديمير تشوتشوكين، الذى كنا نطلق عليه "العليم"، الفترة الأخيرة لتطور الأحداث فى جمهورية أفغانستان الديموقراطية "عام ١٩٧٩ الذى لا ينسى". كان بالفعل شخصًا بليغًا تخرَّج فى الماضى بكلية الآداب بجامعة موسكو الحكومية، ثم بعد ذلك التحق بعمل الاستخبارات الخارجية، وعمل قليلاً فى أمريكا، ثم اضطر إلى ترك هذا الاتجاه، حيث لم يُمنح تأشيرة دخول.

لقد سبق أن أشرت إلى أنه عند تعيينى رئيسًا للممثلية فى كابول حضر بنفسه إلى "ياسينيف"(٥) ليطلب منى الموافقة على تعيينه نائبًا. وها هو الآن يصنف سمة العام الماضى كعام لا ينسى. وبالفعل، بالنسبة لمن كانت له علاقة بأفغانستان، فإن عام ١٩٧٩ كان مليئًا بالأحداث والمواقف المعقدة المفاجئة غير المألوفة اعتبارًا من مارس، بحيث إنه لا يمكن نسيانها. وقد ذكر بعض العسكريين فى مذكراتهم وفى محاضراتهم العامة، والذين يطلق عليهم "أعداء الكى.جى.بى."، وقد تجمعت لديهم الوقاحة ليكتبوا ويقولوا إن العاملين فى الكى.جى.بى. تقريبًا لم يقوموا بأى عمل، بل كانوا يرتادون المطاعم... إلخ. كل ذلك بالطبع غير صحيح، خاصة فى ظروف كابول. كان العمل متوترًا إلى أقصى حد طوال العام. لقد ذكرت أن يوم العطلة فى أفغانستان هو يوم الجمعة، بينما كانت موسكو تعمل. لذلك لم نكن نستطيع أن نستغل هذا اليوم واعتباره عطلة أسبوعية. وبالإضافة إلى ذلك، فقد ازداد العمل فى أيام الجمعة، عندما تم تركيب وسائل اتصال مباشر فى السفارة. فلم يكونوا يغرقوننا فقط بوابل من البرقيات، ولكننا كنا نتوقع فى كل دقيقة اتصالاً هاتفيًا. وكانوا، بالطبع، فى موسكو يجتهدون فى أيام الجمعة أن يحصروا نتائج الأسبوع، وأن يتعاملوا مع "الذيول" والديون. أما أيام السبت والأحد، التى كان يمكن فيها الاستراحة من موسكو، فكان يعمل بها الأفغان. وحيث إننا ممثلية تعمل مع قواتهم الخاصة، وإننا كنا نعمل معهم. فكنا بالطبع موجودين فى أماكن العمل فى أيام السبت والأحد. وكان هذا الأمر أسهل حتى بالنسبة لمجموعة العملاء المقيمين، حيث إن رجاله كانوا يستطيعون الراحة فى حالة توفر وقت فراغ. يجب أن أقول إن رئاسة الاستخبارات الخارجية كانت مدركة لذلك. وأتذكر أن ف.أ.كريوتشكوف قد اتصل بى فى إحدى المرات، وقال لى أثناء الحديث:

– ليونيد بافلوفيتش. أعط تعليمات لنوابك، وخذ ثلاثة أيام راحة. لا تحضر إلى العمل، بل قم بأعمالك الخاصة.

---

(٥) منطقة بموسكو تقع بها هيئات الكى.جى.بى.

في الحقيقة، لم يكن ذلك واقعيًا. بالطبع، كان بلوغ التقلبات لأوجها متمثلاً في أحداث الشهور الأخيرة، خاصة في ديسمبر. كان الوضع معقدًا، لدرجة أنني كنت أضطر لحل من ٢-٣ إلى ١٠-١٢ مشكلة في مختلف المواقف. وفي كثير من الأحوال لم يكن هناك حتى الوقت للاتفاق مع موسكو على بعض المواضيع. وكنت أضطر لاتخاذ القرارات بنفسي. وكان كل ذلك يتطلب توترًا وجهدًا بدنيًا وأعصابًا. يجب أن أقول إن الوضع كان معطلاً لدرجة أن في مايو ١٩٨٠ كنت قد قابلت عزيز أكبري في مدينة صوفيا، حيث كان يعمل بسفارة أفغانستان، وجلسنا معًا نتبادل الحديث، فقال في خلال الحديث:

- أنا لا أستطيع أن أفهم حتى الآن، كيف تمكنتم على أية حال من الخروج من هذا الموقف المعقد جدًا الذي كان في آخر شهور عام ١٩٧٩؟

وهاهو عام ١٩٧٩ قد انتهى، وتم تنفيذ العملية. لا أرغب في تقديم تحليل للعملية، ولكن على أية حال كنت أرغب في أن أشير إلى بعض سماتها. كانت العملية نفسها فريدة من حيث أهدافها وأحجامها. فقد جرى إعداد بعض الإجراءات ليس فقط في أفغانستان ولكن أيضًا في الاتحاد السوفييتي (بموسكو وبطشقند) وفي تشيكوسلوفاكيا وحتى في بلغاريا. كان ذلك إحدى السمات المميزة لتلك العملية. وثانيًا، أريد أن أشير إلى أن هذه حالة نادرة، عندما لم يتم تسرب معلومات خطيرة أثناء كل فترة الإعداد للعملية. فقد نجحنا في الحفاظ على السرية ولذلك وفرنا لها عنصر المفاجأة. كما أنها تميزت بتعدد المستويات. كانت توجد كثير من العناصر أثناء التحضير للعملية وأثناء تنفيذها، والتي لم يكن فقط من الواجب أخذها في الاعتبار، ولكن كان يجب تحييد جزء منها قبل بداية التنفيذ، وبعضها كان يجب تقويتها بالشكل المفيد لنا. وبالإضافة إلى ذلك، فإن طبيعة عملية "بايكال-٧٩" كانت مركبة: فقد تم تنفيذ عمليات استخبارات، بعضها عن طريق العملاء، وكانت تتم في كثير من الأحيان مع استخدام تكتيكات حربية عامة. وبعد ذلك، كانت هذه أول مرة، تستخدم فيها في عملية قوى كبيرة نسبيًا من القوات الخاصة والاستخبارت،

وعامة كى.جى.بى. الاتحاد السوفييتى. وبالإضافة إلى ذلك، فقد تم تنفيذها بتفاعل لصيق مع بعض وحدات القوات الخاصة للإدارة العامة للتجسس. كما كان هناك، أثناء تنفيذ العملية، تفاعل لصيق بين وحدات الاستخبارات الخاصة بنا ووحدات الجيش السوفييتى- قوات سلاح المظلات. وعلى ما أعتقد، فهذه أول مرة يتم فيها استخدام قوات المظلات فى عمليات من هذا النوع.

وكنت، على أية حال، أرغب فى التوقف عند نقطة معينة. فعندما أتذكر أحداث ديسمبر هذه، وخاصة يوم ٢٧ ديسمبر، تراودنى تساؤلات: هل تم عمل كل شيء بشكل صحيح؟ وهل حصلنا على الحد الأقصى من النتائج فى كل مكان، من حيث تحقيق مصالحنا؟ وهل كانت خسائرنا فى كل مكان مبررة بشكل كامل؟ يظهر عندى سؤال بخصوص العملية التى سميت "العاصفة- ٣٣٣". لقد كتب الكثير جدًا عنها كل من قادة هذه العملية والمشاركين مباشرة فى الهجوم. ووصفوا بالتفصيل الخطة والقوى والإمكانيات والمراحل وديناميكية الأحداث. بل يوجد أيضًا سرد لأعمال مختلف المقاتلين والقادة. لذلك لا أريد أن أُجر إليها، خاصة أننى لم أشارك مباشرة فى هذه العملية المنفصلة. وإذا وُجه لى سؤال، فسوف أجيب بأن التخطيط للعملية، وتنظيمها وتنفيذها، قد تم على مستوى عالٍ. لن أتحدث عن أن المشاركين مباشرة فى الهجوم قد أظهروا بطولة حقيقية واحترافية فى تنفيذ المهام التى كلفت بها الوحدات والمجموعات أو الضباط والمقاتلين على انفراد.

بأمانة، أنا لا أتذكر لمن تعود فكرة حل مشكلة قصر أمين، عن طريق اقتحامه. فعندما كانت توضع خطة "بايكال-٧٩" كتبت للخريطة وللخطة حاشية عن مهمات ومسئوليات أعضاء رئاسة الممثلية، ومجموعة الاستخبارات المقيمة وبعض الضباط، الذين جاءوا من موسكو. كانت مكتوبة بالتفصيل وكانت محدَّدة لهم أهداف معينة. وقد كنت مسئولاً عن ثلاث نقاط من الخطة، ولكن، بالطبع، لم تكن لى أية علاقة بتخطيط العملية الخاصة بقصر الرئيس. ولذلك لا أعلم من الذى بادر بها. ولكنى متفهم لأنه عند ظهور هذه الفكرة فقد تم التصديق أيضًا على

العملية الحربية الكبيرة إلى حد ما، وأن كل باقى خطة العمليات قد تبع هذه الفكرة. أذكر ذلك لأن أكبر خسائرنا قد وقعت عند اجتياح القصر. وقد فقد رجال الكى.جى.بى. وحدهم ٤ موتى و١٧ جريحًا. ولا أستطيع أن أقول إن ذلك كان صدمة لى ولكنه أساءنى بشكل فظيع. ولم تظهر هذه الفكرة عندى فقط اليوم، فقد ظهرت عندى منذ زمن طويل. وأعتقد أنه كان يمكن تنفيذ مهمة السيطرة على الهدف بأسلوب آخر أو بوسيلة أخرى. وقد يكون الاستيلاء عليه غير ضرورى، لو كانت لدينا نتائج أكثر كفاءة، للتعامل مع أمين، باستخدام وسائل استخباراتية وفنية أخرى. ماذا كان الطريق الذى كان علينا أن نسلكه؟ لا توجد لدىّ أية فكرة عنه. أنا لا أفكر فى ذلك، ولكن فى داخلى وبالغريزة أعتقد أنه كان يمكن تنفيذ هذه المهمة بأسلوب آخر، قد يكون بخسائر أقل. وليس من المستبعد أنى قد أكون مخطئًا، ولكن هذا الإحساس موجود عندى باستمرار.

وهكذا، وصلت إلى موسكو فى يوم ٢ يناير، والتقيت بعائلتى، ثم ذهبت إلى عملى، وكنت عند كريوتشكوف لعرض تقريرى. تبادلنا الحديث حوالى ساعة، ورويت له عن الأحداث، كما رأيتها من جانبى. وقد قدر عمل كل المجموعة تقديرًا عاليًا، وعبر عن شكره لى أنا أيضًا. ثم قال لى إن ى.أ.أندروبوف سوف يستقبلنى فى حوالى الساعة ١٢ بلوبيانكا[٦]، فى اليوم التالى- فى ٤ يناير. كان يوم سبت. ذهبت إلى أندروبوف. كان مظهره حسنًا جدًا، حليق الذقن تمامًا، وكان لون وجهه لطيفًا. كان يجلس بدون جاكت، مرتديًا قميصًا وردى اللون، وفوقه حمالات. سلم علىّ بحرارة. كنت أعرف ى.أ.أندروبوف من قبل، فقد تقابلت معه كثيرًا، وسوف أحكى ذلك فيما بعد. سألنى فى هذه المرة ثانية عن الوضع فى أفغانستان، وألقى علىّ عدة أسئلة عن تفاصيل العملية التى تمت. عبرت له عن قلقى بخصوص العقاقير الخاصة الموجودة لدى لجنة أمن الدولة. أشرت إلىَ أنه إذا كان لا يعوّل على هذه العقاقير، فإنها قد تخيب أملنا عند استخدامها. وأنه ليس من المستبعد أن

---

(٦) ميدان بموسكو توجد به إدارة الكى.جى.بى.

بعض الخسائر، التى لحقت بنا فى القصر، كانت بسبب العقار الذى استُخدم، والذى لم يتطابق تأثيره مع الإرشادات المرفقة به. وقد تصرفنا فى كابول بشكل ما، فى ظل هذا الوضع. ولكن قد تكون هناك مواقف أخرى يمكن أن يتسبب فيها عدم اكتمال جودة العقاقير الخاصة إلى فشل كبير، وإلى فضائح، ومنها الفضائح الدولية. وافق على كلامى وقال إنه يجب عمل حساب كل شىء. كنت أعلم أن ف.م.تشيبريكوف كان هو المسئول عن هذا القطاع من العمل، وأنهم سوف يوصلون له أيضًا رأينا. كنت قد سمعت من شخص ما فى اليوم السابق، وأنا موجود فى ياسينيف، أن ى.أ. أندروبوف قد قال فى أثناء حديثه مع أ.أ.كريوتشكوف، إنه يجب نقل كل المشاركين فى العملية بالتدريج إلى موسكو. لذلك فعندما دار الحديث، ألقيت بالجملة التالية، بين الكلام:

– يورى فلاديميروفيتش، أعتقد أنه يجب تغيير كل العاملين الذين شاركوا فى عملية ديسمبر تدريجيًا، وأن يُسمح لهم بالسفر إلى الاتحاد السوفييتى.

قال فورًا: أتظن ذلك؟

قلت: أعتقد أن ذلك سوف يكون الصواب.

ثم أكد على ذلك فورًا: تفكيرك صحيح...صحيح.

ولكنى لم أذهب أبعد من ذلك. أى أنى لم أطلب ما يخصنى، حيث إنى اعتبرت أن ذلك ليس مناسبًا تمامًا. ولكن انتهى الحديث بعد حوالى ٥٠ دقيقة، وكان علىّ الانصراف. ولكن ى.ف. أندروبوف سأل:

– هل يوجد عندك سؤال لى؟

قلت: لا، ثم استدركت: نعم، يوجد.

– هيا قل، ماذا لديك؟

قلت: يورى فلاديميروفيتش، هل ترغب فى الاحتفاظ بى هناك طويلاً؟

كان رد فعله:

- كنت أريد ألا يكون ذلك طويلاً.

سررت تمامًا فى داخلى، بحيث إننى قررت عدم التدقيق. فقلت:

- لا توجد عندى أسئلة أخرى.

بذلك انتهى الحديث مع أندروبوف. ولكن عثر علىّ العاملون بالقسم الدولى للّجنة المركزية للحزب فى يوم ٥ يناير، وطلبوا منى أن أحضر إليهم فى يوم ٦، وأخبرونى بأن نائب رئيس القسم الدولى "أوليانوفسكى راستيسلاف ألكسندروفيتش" يرغب فى الحديث معى. كنت أعرف أوليانوفسكى جيدًا. فقد كنت أتذكره من الهند عندما كان، على ما أعتقد، مستشارًا للقسم الدولى. كان أوليانوفسكى قد حضر إلى الهند للقاء الشيوعيين. كنا عادة نساعد بشكل ما فى تنظيم اللقاءات مع قادة الحزب الشيوعى. أذكر أننى قد قمت بتوصيله. ثم تقابلت معه بعد ذلك عدة مرات بخصوص شئون الحزب الشيوعى بإندونيسيا عندما عملت بجاكرتا. كنا قد تبادلنا الحديث عدة مرات. كما أننا كنا مكلفين بعدد من المهمات، التى سأتحدث عنها فيما بعد. وقد قمت بتنفيذها بالاتصال مع القسم الدولى ومع ب.ن.بونوماريوف وب.أ.أوليانوفسكى، ومع الرفاق من مستوى رؤساء الأقسام ...إلخ.

وهكذا، ففى يوم ٦ يناير، بدلاً من الراحة، ذهبت إلى المقابلة التالية مع أوليانوفسكى. جلسنا معًا على انفراد. كان أوليانوفسكى مستشرقًا كبيرًا، وكان قد جاء إلى أفغانستان منذ العشرينيات، بعد إقامة العلاقات الدبلوماسية معها. وكان بالطبع يعرف جيدًا كل مشاكل البلد. سألنى عن رأيى فى بعض المواضيع، وكنت مهتمًا بخطط القسم الدولى. حكى لى أوليانوفسكى عن حدث مميز. وذلك يتعلق، بالمناسبة، بكيفية اتخاذ قرار استبدال حفيظ الله أمين برئيس آخر. هذا مهم، لأنه مرة أخرى، يحاول كتّاب غير شرفاء تأكيد أن ممثلية الكى.جى.بى. قد تقدمت بمبادرة تغيير حفيظ الله أمين فى منصب أمين عام حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى. لذلك فإنى أروى الحديث مع أوليانوفسكى. كان قد تم فى ذلك الوقت

تشكيل لجنة خاصة بشئون أفغانستان بالمكتب السياسى للّجنة المركزية للحزب الشيوعى، والتى كان من أعضائها جروميكو وأندروبوف وأوستينوف وبونوماريوف. وكانت توجد مجموعة عمل تابعة للّجنة. وهاهو أوليانوفسكى قد انضم لتشكيل هذه المجموعة، وكان رئيسها.

لقد روى لى، إنه بعد أن قام حفيظ الله أمين بالانقلاب فى كابول، وبعد قتل تاراكى، فقد جلست هذه المجموعة بمكتب أوليانوفسكى، حيث كانت تعد مواد الاجتماع التالى للجنة المكتب السياسى لشئون أفغانستان. وفجأة فتح الباب ودخل ليونيد إيليتش بريجنيف وسأل: "بماذا تعملون؟". أجاب أوليانوفسكى بأنهم يعدون مستندات خاصة بأفغانستان. فألقى بريجنيف بجملة: "أمين شخص غير شريف"، وخرج من المكتب، وأقفل الباب وراءه.. وكما قال أوليانوفسكى: "فهمنا بالطبع موقف السكرتير العام، واعتبرناه أمرًا للتنفيذ، وبدأنا نفكر فى كيفية استبدال أمين بشخص شريف".

يبدو أن وضع بداية العمليات، المرتبطة بوصول بابراك كارمال إلى السلطة، كان بهذه الطريقة. ولكنى أعتقد أن هيئات أخرى قد انضمت إلى هذه العملية. لم أر المواد، أو القرارات الخاصة بهذا الموضوع، ولكن على الأرجح بدأت تعمل فيه كل من وزارة الخارجية، ووزارة الدفاع، ولجنة الأمن القومى. هذه كانت إحدى الروايات عن بداية العمل لاستبدال حفيظ الله أمين. وبالإضافة إلى ذلك، فقد حكى لى أوليانوفسكى أن بريجنيف قد ألقى أيضًا هذه الجملة: "هل من الممكن ألا يكون عندنا خمسة عشر من العاملين الشيوعيين الجيدين من أعضاء الحزب، يمكن إرسالهم إلى أفغانستان للعمل مع حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى ورئاسته من أجل بناء الحزب وتقوية تأثيره؟".

قال أوليانوفسكى، إنه قد تم اتخاذ قرار بإرسال ١٥ فردًا تحت رئاسة السكرتير الثانى للّجنة المركزية للحزب الشيوعى بكازاخستان "جريكوفى ليونيد إيفانوفيتش". بأمانة، عرضت رأيى فى ذلك، بأن من المشكوك فيه أن تستطيع كل

هذه المجموعة السفر للعمل فى المواقع التى خارج العاصمة. فقد كانت هناك ١٤ محافظة. أى كان من المخطط إرسال مستشار حزبى واحد إلى كل محافظة، بالإضافة إلى واحد يبقى فى العاصمة. عبّرت لأوليانوفسكى عن شكى، قائلاً، إنه يوجد هناك بصفة خاصة ممثلونا، مستشارونا عن طريق الكى.جى.بى.. وهم يستطيعون بالطبع المساعدة هناك، وأن يعاونوا مستشارى الحزب. ولكن هذا يخص فقط هرات، وقندوز، وجازنى، ومزار الشريف، وجلال أباد، وكابول. يمكن إرسال المستشارين الحزبيين إلى هذه النقاط، أما باقى المدن فيسيطر عليها جزئيًا المتمردون والدوشمان، ولا يوجد أحد من رجالنا هناك. فكيف يمكن أن يعيشوا هناك وأن يعملوا؟ كما أنى متأكد من عدم وجود تنظيمات حزبية هناك. لذلك فقد علقت: "سوف تصلون إلى أنكم سوف تحتفظون بمجموعة من الأفراد الزائدين عن الحاجة بكابول". قال: "هيا نجرب الآن، وسنرى". كانت المناقشة عند أوليانوفسكى تقريبًا كما بينت. بقيت عنده أكثر من ساعة، ثم ودعنا بعضنا واستمرت إجازتى القصيرة.

طرت فى يوم ١٢ يناير ١٩٨٠ من موسكو إلى كابول مرة أخر بصحبة الجنرال أندريه فلاسوف. طرنا على رحلة خاصة على متن طائراتنا. كانت توجد راكبة واحدة أخرى معنا. كانت زوجة أحد ضباط حرس الحدود، الذين يعملون فى الممثلية. توقفنا فى طشقند، وأمضينا بها الليل، ثم وصلنا فى اليوم التالى إلى كابول. كانت المدينة هادئة نسبيًا، بالرغم من أن مدرعات قواتنا للمظلات كانت واقفة فى كل مكان عند تقاطعات الطرق، وكانت، كما يقال، تحافظ على الأمن. ذهبت فى اليوم التالى إلى جهاز الأمن، وقابلت هناك أخيرًا "نجيب الله" الذى عينه بابراك كارمال فى هذا المنصب. كان طبيبًا، من حيث المهنة. وكان بالطبع بعيدًا عن هذا المجال، المتعلق بالاستخبارات ومكافحة الاستخبارات. كان رابع رئيس لجهاز الأمن على مدى يزيد قليلاً عن سنة ونصف. وكان علىّ أن أبدأ كل شيء معه من الصفر- مرة أخرى دراسة، إعطاء تعليمات، نصائح، مناقشات، روايات... إلخ.

ترك لدىّ نجيب الله انطباعًا جيدًا على المستوى الشخصى، كإنسان اجتماعى، متعلم، متنبه، كان يجيد الإنصات، ويعبر عن رأيه بأسلوب راق. ولكن، بالطبع بدأ ببعض التغييرات فى تشكيل الكوادر. وقد مر حوالى أسبوعان منذ تعيينه فى هذا المنصب (كنت متغيبًا) غيّر فيهما النواب، وبدأ فى تغيير الحلقات الدنيا، طبقًا لكلماته، بتثبيت أفراد يمكن أن يعتمد عليهم أكثر. فقد تقابلت مع "بارشام" الآن، فنجيب الله من البارشام. أما جهاز الأمن، قبل اعتلاء بابراك كارمال السلطة، فقد كان من أتباع "خلق". وتوجد فى تأكيدات بعض عسكريينا، فى بعض من الأعمال المنشورة غير الصحيحة إطلاقًا، تفيد بأن الكى.جى.بى. كانت تؤيد وتتجه طوال الوقت إلى "بارشام". وكان أول شخص أقابله من البارشام هو نجيب الله، وقد قابلته فقط فى ١٤ يناير ١٩٨٠. ولم يحدث أى اتصال قبل ذلك مع البارشاميين. وقد تحدثت مع نجيب الله فى موضوع ترتيب الكوادر. فقلت له، بصفة خاصة:

– يبدو أنه لا يمكن الآن تغيير كل كوادر الاستخبارات، خاصة الحلقات المتوسطة. فأولاً هناك العشرات، بل مئات من الأفراد قد سبق أن حصلوا على تدريب. وهم أصبحوا بدرجة ما خبراء فى عملهم. ولقد استهلكنا جهدًا وأموالاً لإعدادهم، وعلىّ إعادة تدريبهم فى مواقع عملهم، وفى دورات قصيرة بكابول. كما نظمت لهم برامج بالاتحاد السوفييتى فى طشقند. كان ذلك ثانيًا. أما ثالثًا، فقد كانوا يتعاملون مع مواد سرية، ولا يجب الآن طردهم، وتركهم ببساطة فى الشارع.

كما أنى أضفت، على سبيل المثال، قدوم ى.ف.أندروبوف إلى الكى.جى.بى. فعندما حضر إلى لجنة أمن الدولة، وكان ذلك فى ١٦ مايو ١٩٦٧، فقد بدأ فى إلقاء كلمة فى اجتماع أعضاء الحزب الشيوعى النشطاء الذى كنت أنا موجودًا به، قائلاً:

– أنتم لم تقدموا إلىّ، بل أنا الذى جئت إلى جماعتكم. لذلك فإن كل الجماعة ستبقى فى مكانها، والجميع سيعملون فى مواقعهم. ولكنه أثناء ذلك أشار إلى أنه: بالطبع، سوف يشغل بعض الأشخاص الجدد المناصب التى سوف أخصصها لهم.

سوف يكون هؤلاء الأشخاص بالنسبة لكم من الخارج. ولكن الكوادر الرئيسية ستبقى كما هى، ويجب ألا تتخاذل وتخفض من معدلات ونتائج العمل.

قلت، إن أندروبوف قد تعامل بهذا الأسلوب، وإنه يبدو من الواجب أن يتم التعامل مع هذا الموضوع تقريبًا بنفس الأسلوب. هل تريد أن تكون أجهزة جديدة من البارشام؟ لقد عملنا ونعمل من أجل وحدة الحزب، بل إنك أنت نفسك عملت على هذه الوحدة. الرجل الثانى فى الدولة هو أسد الله سارفارى، وهو يمثل "خلق". ووزير الداخلية "جوليابزوى" هو أيضًا ممثل لخلق...إلخ. لذلك أقول إنه يجب المحافظة على الوحدة، فمن الخطأ تكرار أخطاء فى الكوادر.

وافق نجيب الله على هذا التفكير، ولكنه، فى الوقت نفسه، جعلنى أفهم أنه، على أية حال، يحتاج إلى أشخاص أقرب، يمكن الاعتماد عليهم أكثر من هؤلاء الذين لا يعرفهم كثيرًا، أو لا يعرفهم على الإطلاق. وبذلك فقد ظهرت مشكلة. وقد أصبحت أنا فى وضع بدأت فيه العمل مع رابع رئيس لأجهزة الأمن، وقد اعتلى السلطة فى جمهورية أفغانستان الديموقراطية ثالث رئيس للدولة وللحزب. لقد جئت فى عهد تاراكى، ثم جاء حفيظ الله أمين، والآن قدم بابراك كارمال. ولم يكن من الممكن ألا ينعكس ذلك أيضًا على تعاوننا، وعلى تطوير أجهزة الأمن. وبالمناسبة، فكما كتبت فى البداية، حضر إلىّ أسد الله سارفارى، بعد عدة أيام من أحداث ديسمبر، إلى غذاء عمل. وبدأ حديثه بأننى أعرف الناس، وأعرف الأحداث، وأنه يبدو أن علىّ كتابة كتاب. حضر بعد ذلك إيفانوف بوريس سيميونوفيتش، على ما أعتقد، إلى نفس هذا الغذاء، فجلسنا معًا نحن الثلاثة. وبمجرد أن بدأ الحديث، أخرج أسد الله سارفارى من جيبه ورقة وقال:

- انظروا، ما الذى يحدث عندنا الآن فى المكتب السياسى. ها هو تشكيله، فى هذه الورقة. هنا موضحة نسبة أعضاء خلق، ونسبة أعضاء بارشام. يزيد عدد أعضاء بارشام عن عدد أعضاء خلق، وهذا غير صحيح.

هنا، لم أتمالك نفسى، وقفت، وضربت على المائدة بقبضة يدى وقلت:

- عمّ يدور الحديث مرة أخرى؟ لقد أقدم الاتحاد السوفييتى على إنفاق ضخم، وعلى تكاليف سياسية بإدخاله لجيشه فى أفغانستان، للمحافظة على البلد، وعلى هذا النظام، ولمساعدتكم على شرط أن يكون الحزب موحدًا، ولا تكون هناك معركة داخلية. أنتم رجال بالغون، وأنت تعلن الآن: هؤلاء أقل، وهؤلاء أكثر...

أمسك أسد الله رقبته بيديه، ونظر إلىّ قائلاً:

- أتعرف، أمسكوا برقبتنا. فهذه هى عقليتنا. وإذا لم تمسكوا برقبتنا طوال الوقت، فيمكن أن نختلف مرة أخرى، وأن نصعد المعركة.

كان ذلك هو الحديث الذى دار فى أول الأيام بعد عودتى إلى كابول فى يناير ١٩٨٠.

كما أنى ذهبت إلى مركز قيادة مجموعة استخبارات وزارة الدفاع، التى كانت هى أيضًا تقع فى أطراف كابول بأحد المبانى القديمة التى بُنيت كقصر. كان هذا المبنى فى الماضى استراحة للضيوف. حكوا لى أن "بودجورنى"[(٧)] قد نزل به فى الماضى. كان يرأس مجموعة الاستخبارات النائب الأول لوزير دفاع الاتحاد السوفييتى ماو مارشال الاتحاد السوفييتى "سوكولوف سيرجى ليونيدوفيتش". قدمت له نفسى. وقد استقبلنى بحرارة. جلسنا على مقاعد بالقرب من منضدة صغيرة. وشربنا كأس كونياك، ثم كأسًا آخر، ثم قهوة. لم تكن لنا أهداف مشتركة محددة. حكيت له باختصار عن الممثلية، وعن الوضع، وكيف كنت أفهمه، وعن مهماتنا. وقد روى لى قصته: كيف حضر إلى أفغانستان. وبصفة خاصة، حسب روايته، كان فى ديسمبر ١٩٧٩ فى إجازة فى "كاريليا"[(٨)]. وقد اتصل به أوستينوف، وقال له إنه جارى تشكيل مجموعة عمل استخبارات خاصة بإدخال القوات المسلحة فى منطقة "ترميز"[(٩)] وطلب منه الطيران إلى هناك ليومين أو ثلاثة، لكى يتابع كيف

---

(٧) الرئيس السابق لمجلس السوفييت الأعلى.

(٨) جمهورية سوفييتية على الحدود مع فنلندا تحظى بالاستقلال الذاتى.

(٩) مدينة على الحدود بين الاتحاد السوفييتى وأفغانستان.

سينظم كل شيء. طار إلى هناك، وبدأ دخول القوات. اتصل به أوستينوف مرة أخرى وقال له:

– أنت الآن هناك، لست بعيدًا عن كابول، فلتطر إلى كابول لرؤية الموقف هناك.

وهكذا روى المارشال سوكولوف كيف جاء إلى كابول. كان معه فى نفس هذا الوقت جنرال الجيش– نائب رئيس أركان الحرب العامة "سرجى فيودوروفيتش أخراميف". وتعرفت عليه هو أيضًا. يجب أن أقول إننى بعد ذلك كنت أحضر دوريًا، ولكن ليس كثيرًا، إلى هذا المقر العام للقيادة، وحدى أو بصحبة أحد آخر. وبصفة خاصة، حضر إلى كابول نائب وزير الداخلية "يليسوف". وذهبت معه هو أيضًا إلى مقر القيادة. كان سوكولوف وأخراميف دائمًا يستقبلاننا بكرم ضيافة. وكانت الأحاديث معهما ودية. كانا لا يتدخلان فى أعمالنا. كما أننا أيضًا لم نكن نتدخل فى أعمال وتفاصيل المواضيع التى كانت تعمل بها هذه المجموعة الاستخباراتية.

عامة كان الوضع يسوء باستمرار فى البلد. لذلك ففى اعتقادى أن دخول قواتنا فى أفغانستان لم يكن مناسبًا من هذه الناحية. كان بعض الرفاق يقولون نتيجة لذلك بأن جيشنا قد دخل هناك لأهداف سلمية، أى كقوى تصنع السلام. ولكنى أعتقد أن ذلك ليس صحيحًا تمامًا، لأن حربًا أهلية كانت دائرة. كما أنها قد شملت كل البلد فعليًا. وقد دخلت جيوشنا إلى البلد فى هذه الفترة المتأزمة، وبالطبع لم تستطع البقاء فى وضع محايد من القوى المتصارعة. كان من الواضح أن الجيش كان فى جانب النظام القائم، لذلك اضطررنا للمشاركة فى عمليات وأعمال حربية لذلك النظام الذى كان يؤيده الاتحاد السوفييتى. وفى النهاية، هذا ما يميزها عن القوى التى تسمى بقوى صناعة السلام. وفى نفس الوقت، فقد كانت المعارضة قد اكتسبت خبرة أكبر. وكانت قد قامت بأعمال واسعة، ليس فقط على أرض أفغانستان، ولكن أيضًا على أراضى الدول المجاورة. وقد تم إنشاء قواعد خاصة فى باكستان

لتدريب مجموعات المقاتلين ووحداتهم، وتم تنظيم الإمداد بالسلاح، وبالأموال. وقد لوحظ نفس الشيء من جانب إيران، ولكن بدرجة أقل، بالرغم من أنه كانت توجد إثباتات على ذلك.

بالطبع، عندما وصل بابراك كارمال إلى السلطة، انشغل في البداية بالإجراءات التنظيمية داخل الحزب، وداخل الحكومة. وبالطبع، انشغل أيضًا بالأمور العسكرية. وكان دائمًا يحاول، بشكل متزايد، أن ينقل ثقل المعركة أو أن يعتمد على القوات المسلحة السوفييتية. ذهبت مرة إلى المشير سوكولوف، فقال لي:

– أتعرف ما أخشاه؟ أفظع شيء هو أن هذا الجيش الأفغاني، أي جيش جمهورية أفغانستان الديموقراطية، سوف يجري كله، وأننا سنبقى وحدنا وجهًا لوجه مع مجموعة المتمردين على أرض البلد كلها.

أي أن الوضع كان يتجه إلى التعقيد. كما أن بابراك كارمال نفسه كان شخصًا غريبًا. فقد كانت عيوبه الشخصية كثيرة. أتذكر كيف أن السفير ف.أ.تابييف نظم في مرة حفل غذاء في السفارة لأعضاء المكتب السياسي وسكرتارية اللجنة المركزية لحزب الشعب الديموقراطي الأفغاني. وقد حُفظت قائمة طعام هذا الغذاء حتى اليوم في مكان ما، وعليها توقيعات الأفغان الحاضرين له. وكالعادة، شرب بابراك كارمال الخمر، أكثر من الجرعة التي يتحملها، ففقد اتزانه بعض الشيء. وفي النهاية، وبعد انتهاء الغذاء، بدأ يأمر كل رفاقه، بطريقة فظة تمامًا، بأن عليهم مغادرة السفارة. فتفرقوا، كل إلى سيارته. وعندما غادر الضيوف القاعة التي كان بها الغذاء، أعلن بابراك كارمال بصوت عالٍ فجأة:

– إنهم كلهم عملاء إنجليز. إنهم عملاء التجسس الإنجليزي، ولا يجب الثقة فيهم.

بالطبع، كان كل شيء غير متوقع. وكان ذلك يدل على أنه توجد لحظات يكون فيها غير متزن. على أية حال، فبعد بعض الوقت، وفي خلال تبادلي الحديث

مع إيفانوف، عرضت رأيى بحرص عن أنه يبدو أن بابراك كارمال ليس الرجل الذى يمكن أن يتعامل مع الوضع القائم الآن فى البلد. فقال لى إيفانوف:

- نعم. توجد هنا مشكلة. ولكن يجب أن تعرف أنه عندما تم إعداد وثيقة عن مساعدة القوى السليمة بحزب الشعب الديموقراطى الأفغانى، فقد تمت كتابتها بمعرفة عدة هيئات، وعليها توقيعات رؤساء هذه الهيئات. وكان بها بند عن تغيير حفيظ الله أمين، وكان به اسم بابراك كارمال. وقد كتبت بين قوسين "كأحد الاختيارات، يمكن النظر فى ترشيح بابراك كارمال".

ومنذ النصف الثانى من شهر يناير ١٩٨٠، اتضح أنه توجد مشكلة "بابراك كارمال"، وأنه توجد صعوبات كبيرة. ولكن كيف يمكن حلها؟ على سبيل المثال، لم أكن أنا أعرف كيف يمكن حلها، كما أنى لا أنوى أن أتحدث عن ذلك اليوم.

ى.ف. أندروبوف فى كابول

وصلتنى فى يوم ٢٤ يناير برقية من موسكو، موجهة لى "شخصيًا بشدة". جاء بها: أن ى.ف.أندروبوف سوف يقوم، فى الفترة من ٢٧ إلى ٢٩ يناير، بزيارة سرية شخصية لأفغانستان. وقد كتب بعد ذلك، أننى سوف أكون شخصيًا مسئولاً عن الزيارة وعن ضمان أمن ى.ف.أندروبوف. كانت هذه البرقية موقّعة من كريوتشكوف. هنا، أريد أن أرجع إلى الوراء لأروى كيف تعاملت مع أندروبوف، وكيف بدا لى.

فى خلال عملى بالاستخبارات، فقد التقيت بالإضافة إلى كريوتشكوف، باثنين من رؤساء كى.جى.بى. الاتحاد السوفييتى هما: "سيميتشاستنى، والثانى هو "أندروبوف". وقد التقيت بسيميتشاستنى مرة واحدة فقط. بعد عودتى من مهمة طويلة فى الهند، فى خريف ١٩٦٤، تم إرسالى إلى دورات دراسية لرفع كفاءة الكوادر القيادية بالكى.جى.بى.. ولكن وقع انقلاب فى ٣٠ سبتمبر ١٩٦٥ بإندونيسيا، كان من نتيجته انهيار الحزب الشيوعى بهذا البلد، و بدأ "سوكارنو" يترنح، واندفع العسكريون لاعتلاء السلطة. فتم سحبى على عجل من الدراسة، وإرسالى كرئيس لمجموعة الاستخبارات المقيمة بجاكرتا. بقيت هناك بعض الوقت، ثم سافرت فى خريف ١٩٦٦ فى مهمة إلى موسكو. استقبلنى سيميتشاستنى فى وجود رئيس الاستخبارات "أ.م. ساخاروفسكى" ورئيس قسم جنوب شرق آسيا. دار الحديث عامة عن أمور الاستخبارات، ثم انتقلنا إلى مشاكل الحزب الشيوعى. كان السبب هو أن الحزب الشيوعى فى إندونيسيا كان يقع تحت تأثير الصين قبل أحداث ٣٠ سبتمبر ١٩٦٥. ولكن كانت علاقاتنا بالصين قد ساءت، وكان رئيس اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الإندونيسى "أيديت" متوجهًا نحو الصين. وفى خلال الانهيار تم قتل أكثر من مليون شيوعى، حيث تم ذبحهم بالخناجر عامة. وفى عام ١٩٦٦ أصدر القسم الدولى للّجنة المركزية للحزب قرارًا عن طريق اللجنة

المركزية للحزب الشيوعى، تم فيه تكليف لجنة أمن الدولة للاتحاد السوفييتى ببعض المهام المتعلقة بالحركات الشيوعية، وهو ما كان غير سليم، من حيث المبدأ. وعندما تطرقنا إلى الحديث عن هذا الموضوع، فقد أشاح سيميتشاستنى بيديه وقال: "كيف يحدث ذلك؟ لمَ يسألوننا؟". وتوجه إلى رئيس الاستخبارات: "لقد قرروا بدوننا".

كان سيميتشاستنى نفسه فى ذلك الوقت عضوًا باللجنة المركزية للحزب. ولكنه لم يكن عضوًا ولا مرشحًا لعضوية المكتب السياسى. وعند اتخاذ القرار الموضح أعلاه بخصوص هذا الموضوع لم يتم الاتفاق عليه مع سيميتشاستنى. وعندما ناقشنا الموضوع المشار إليه، وكان يتعامل معى بحسن نية، قال لى: إن المهمة خاصة، وصعبة إلى حد ما، ويمكن أن يحدث فيها فشل... إلخ. وبالطبع، لم أعارض ذلك. حددنا الإجراءات التى يجب علينا تنفيذها. أتحدث عن ذلك بالتفصيل، لأنه سيتم التحول بعد ذلك إلى الحديث عن أندروبوف. فقد ناقشت معه أيضًا هذه الموضوعات. عدت إلى أندونيسيا بعد الحديث مع سيميتشاستنى. عدت فى العام التالى فى إجازة، أى فى عام ١٩٦٧، فى ٢٢-٢٣ مايو. وكان قد تم تعيين ى.ف.أندروبوف رئيسًا للجنة أمن الدولة فى ١٦ مايو ١٩٦٧. أى أنه كان قد جاء إلى هذا المنصب لتوه، ولم يكن قد ترك بعد مسئوليات سكرتير اللجنة المركزية للحزب، حيث إنه لم يكن قد عُقد المؤتمر العام للحزب الشيوعى بعد. اجتمع فى موسكو الكثير من الرؤساء من خارج العاصمة ومن جمهوريات الاتحاد، فكانت الفنادق مكتظة. فى ذلك الوقت، كنت برتبة مقدم، وكان منصبى فى الجهاز المركزى هو مساعد لرئيس القسم. كان هذا منصبًا فى المستوى المتوسط بالعمل الاستخبارى.

بالطبع، كان كل من حضر إلى موسكو، من خارجها، وكذلك الرؤساء الآخرون، ينتظرون مقابلة الرئيس الجديد. قال لى رئيس الاستخبارات ساخاروفسكى، عند رؤيته لى فى الردهة: "هيا بنا نذهب أنا وأنت إلى أندروبوف

لكى نعرض عليه تقاريرنا". هكذا كنت أول رئيس للمجموعة الاستخباراتية المقيمة فى إدارتنا يستقبله أندروبوف وهو جديد فى منصبه. جلسنا فى مكتبه حول منضدة كبيرة. كان أندروبوف يجلس على طرف المائدة، وأنا على يساره، وبجانبى رئيس القسم. بينما جلس رئيس الاستخبارات على يمين أندروبوف. لفت نظرى فورًا أن أندروبوف كان شخصًا نشيطًا جدًا وخفيف الحركة. اتضح من الحديث أنه فصيح جدًا، وأن لغته الروسية جيدة جدًا، كما أنه كان واسع الاطلاع. فلم يكن يتحدث فقط بطلاقة ولكن أيضًا بسرعة. كان يخاطب الموجودين بألفة. كان الموقف هادئًا ومهيئًا للحديث الصريح. ناقشنا معه بعض مواضيع الاستخبارات، التى كان من الواضح أنه ليس قويًا فيها بعد. أتذكر أنه حدد مهمة ما، لن أكشف عنها. ثم توجه إلى رئيس الاستخبارات قائلاً:

- كم من الوقت نعطيه؟ فلنمنحه نصف سنة للقيام به؟

ابتسم رئيس الاستخبارات ساخاروفسكى وقال:

- يورى فلاديميروفيتش، لو تمكن من إنجازها فى عام، يكون شيئًا جيدًا.

كان رد فعل أندروبوف سريعًا، فقال:

- حسنًا، إذا كان ذلك يحتاج لعام، فلنمنحه عامًا.

ثم ظهر موضوع الحزب الشيوعى بإندونيسيا. طرقنا الموضوع الذى تحدثنا فيه أنا وسيميتشاستنى. هنا، نظرًا لهذا الوضع الحر، استجمعت شجاعتى وقلت لأندروبوف بصراحة، إننى أعتبر القرار، الذى اتخذته اللجنة المركزية للحزب الشيوعى، غير سليم سياسيًا، كما لا يمكن تنفيذه عمليًا. سألنى أندروبوف فورًا:

- ولكن ما الذى تقصده؟

عرضت عليه العناصر الأربعة الرئيسية، فوافق عليها على الفور وقال:

- فعلاً، غير صحيح. هيا نفعل ما يلى. اكتب مذكرة موجهة لى. وسوف أرفق بها مذكرتى. ثم نذهب معًا إلى ليونيد إيليتش بريجنيف، بخصوص هذا الموضوع.

بدأ رئيس القسم الجالس بجانبى، ليس فى الانزلاق من على المقعد، ولكنه طأطأ رأسه خوفًا. قلت:

- حسنًا. تمام. سيتم ذلك.

ثم ناقشنا موضوعاتٍ أخرى. مضت حوالى ٥٠ دقيقة، ثم دخل مساعد أندروبوف، وأخبره:

- يورى فلاديميروفيتش، السيارة عند المدخل.

كان يجب عليه الذهاب إلى الكريملين، فقال:

- هيا نفعل كذلك. سوف أذهب الآن لبعض الأعمال، ولكنى أريد مقابلتك مرة أخرى لنتحدث معًا.

قلت: ولكن ما زالت عندى أسئلة؟

قال أندروبوف: هذا حسن. سوف نلتقى معك مرة أخرى.

وهنا انتهت المقابلة الأولى. وقد تعامل رئيس الاستخبارات مع ذلك بهدوء تام. وقد احترمته على ذلك. ولكن رئيس القسم كان متوترًا بعض الشيء، وألقى لى بجملة:

- الآن سوف يتم تأنيب بوناماريوف (لم يكن قد أصبح بعد مرشحًا لعضوية المكتب السياسى، ولكنه كان رئيسًا للقسم الدولى باللجنة المركزية للحزب الشيوعى). سوف يكون هناك أذى. ولكن سوف يكون علينا أن نعمل معه.

قلت لرئيس القسم:

- ولكنك كنت حاضرًا، أثناء الحديث. لقد عرضت رأيي. كنت تستطيع أنت أيضًا عرض رأيك.

أجاب: حسنًا. سوف نرى كيف ستتطور الأحداث.

ترك عندي اللقاء الأول مع أندروبوف انطباعًا قويًا. الشيء الوحيد، بالطبع، أنه كان هناك إحساس بأنه جديد عندما كان الحديث يمس مواضيع استخباراتية بحتة.

تأجل اللقاء الثاني بعض الشيء حيث إنه بدأت في الأيام الأولى من شهر يونية ١٩٦٧ عمليات حربية بين مصر وإسرائيل، وكان بالطبع الجميع مشغولين بعض الوقت بهذا الموضوع. ولكن بعد ذلك حدثت عدة لقاءات لي معه. وأنا أرغب في تقديم أحد المشاهد. كان من المطلوب حل موضوع خاص بأحد العاملين. كان رجلاً بسيطًا في الاستخبارات، وكانت رتبته نقيبًا. ولكن كما يقولون عندنا: كان تحت أحد "الأسقف"، وكان لا بد من نقله ليكون تحت "سقف" آخر. كانت مدة مهمته قد انتهت، وكان في رأي موسكو يجب عودته الى الاتحاد السوفييتي. ولم أستطع أن أجد حلاً لهذا الموضوع على مستوى دائرتي في الكي.جي.بي. حيث إن "الأسقف" كانت تنتمي لهيئات مختلفة. وعندما قابلت أندروبوف، وبينما كنا نناقش أمورًا أخرى، تذكرت موضوع النقيب. فرفع سماعة الهاتف فورًا، واتصل بمارشال الاتحاد السوفييتي زاخاروف الذي كان في ذلك الوقت يشغل منصب رئيس أركان حرب القوات المسلحة العامة. ثم اتصل برئيس قسم الأجهزة الإدارية للّجنة المركزية للحزب الشيوعي للاتحاد السوفييتي. وفي اليوم التالي تمت كل الحلول وصدرت كل الأوامر.

كنت أرغب وأنا أتحدث عن المقابلة التالية أن أشير إلى موضوع، فقد يكون له جانبان. فمن ناحية، هو يبين مرة أخرى أسلوب أندروبوف. ومن ناحية أخرى، أنا أريد التوقف عند هذا الموضوع لدحض مزاعم بعض هواة نقد مختلف جوانب

حياتنا السابقة، وبما فيها الحزبية. كانت بعض المواضيع المتعلقة بالحزب الشيوعى الأندونيسى مازالت لم تنفّذ. كما كان يلزم تمويل مالى لتنظيم العمل على تنفيذها. قدّرنا أننا سنحتاج طبقًا لحسابنا إلى ٥٠ ألف دولار أمريكى سنويًا. وأثناء الحديث مع أندروبوف، عرضت هذا الموضوع. سأل:

– ما هو المبلغ الذى تحتاجون إليه؟

أجبته: طبقًا لحساباتنا، ٥٠ ألف دولار أمريكى.

رفع أندروبوف سماعة الهاتف فورًا، واتصل بسوسلوف[١]. قال له إنه يوجد عنده الآن رئيس مجموعة الاستخبارات المقيمة بجاكرتا، وإنه توجد قرارات للّجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى خاصة بالحزب الشيوعى الإندونيسى، ولكن لا توجد نقود لذلك.

سأله سوسلوف: وكم هو المبلغ المطلوب؟

أعاد أندروبوف السؤال علىّ، فقلت له:

– ٥٠ ألف.

دار هذا الحديث فى أحد أيام سبتمبر أو بداية أكتوبر. قال بدوره لسوسلوف:

– من المطلوب ٥٠ ألف.

سمعت رد سوسلوف: موقفنا صعب جدًا مع النقود. ما رأيك لو منحنا نصف هذا المبلغ فى هذه السنة، والنصف الآخر فى السنة القادمة؟

سألنى أندروبوف: ما رأيك فى هذا الاختيار؟

أجبته: معقول، يا يورى فلاديميروفيتش.

---

(١) سوسلوف: فيلسوف الحزب الشيوعى السوفييتى.

فقال لسوسلوف: حسن. معقول. هذا الاختيار مناسب.

عندما انتهى الحديث، طلب منى أندروبوف، كما هو متبع، فورًا:

– جهِّز مذكرة للّجنة المركزية للحزب بخصوص هذا الموضوع.

أقدم هذا المثال، لأن بعضًا ممن أُطلق عليهم "كاتب ركيك" من الصحفيين، وعامة من بين سيئى الغرض، يصدرون جلبة، بأنه قد تم إنفاق مبالغ كبيرة على الأحزاب الشيوعية، وأنه كانت تختفى أموال الحزب الشيوعى فى أماكن ما،...إلخ. فقد كان من الصعب الحصول على ٥٠ ألف دولار لإجمالى العمل مع الحزب الشيوعى الأندونيسى، الذى كان فى ذلك الوقت أحد أكبر الأحزاب الشيوعية بعد الحزب الصينى. كما أنى أقدم هذا المثال لأبين كيف كان أندروبوف يحل مشاكل كانت تبدو صغيرة بالنسبة له (فى حالة النقيب) وموضوعات سياسية كبيرة. بعد ذلك تقابلت مع أندروبوف عدة مرات، وقدمت له تقريرًا فى العام التالى بخصوص تنفيذ المطلوب فى أندونيسيا. وكان من الشيق أنه قد قال لى فى المقابلة الأولى معه بينما كنا نناقش أحد الموضوعات الاستخباراتية:

– إذا نفذت هذه المهمة، فسوف نكافئك.

نفذت هذه المهمة. وبالفعل نلت وسام العلم الأحمر، بناءً على مبادرته، بعد ثلاثة أشهر. وهذا أيضًا يحدده كإنسان مسئول، يتذكر ويهتم بالناس. وقد قابلته بعد ذلك فى أثناء وجودى فى مهمة بإيران. أولاً، استقبلنى أندروبوف قبل سفرى، وتحدثنا طويلاً. كما أنه قال لى عندما كنت أنا وهو نناقش بعض موضوعات الاستخبارات:

– سافر لمدة شهرين أو ثلاثة، ثم أرسل لى تقييمك للوضع، وعما إذا كانت توجد لديك اقتراحات لعمل إجراءات ضرورية.

وقد استقبلنى أيضًا عند عودتى من إيران فى إجازة، لكى أعرض عليه تقريرًا عن الوضع. ولكن على ما أظن، كانت لدىّ حالتان، عندما طرت إلى موسكو فى مهمة فقابلت عن طريق الصدفة رئيس إدارتى ساخاروفسكى فى الردهة. سألنى:

- ما الذى تفعله هنا؟

أجبته: ألكسندر ميخايلوفيتش، أنا هنا فى مهمة.

قال: إذن، فلنذهب معًا إلى الرئيس.

أجبته: ألكسندر ميخايلوفيتش، لا توجد عندى الآن أسئلة، يمكن حلها على مستوى رئاسة الكى.جى.بى.

- لا، سنذهب. أنا أعرف طبعك. هيا. ستخبره عن الوضع.

وكنا ننتقل إلى حديث آخر.

كان أندروبوف شخصية دولية وسياسية كبيرة. والآن سوف أتعامل مرة أخرى مع أندروبوف، ولثلاثة أيام.

كانت توجد عدة نقاط ملفتة فى الإخطار عن حضور أندروبوف. كان يُستشف منه أنه تمت صياغته بمساهمة العاملين فى الحراسة - الإدارة التاسعة. كنت أريد أن أتحدث ببعض التفاصيل عن ذلك الموضوع.. أولاً، ذُكر أن أندروبوف سيصل على رحلة خاصة، وطبقًا لفكر موسكو، يجب أن تطير الطائرة فورًا إلى طشقند. وقد جاء بعد ذلك "أن الطائرة سوف تحضر من طشقند إلى كابول بناءً على طلبكم، فى الوقت المطلوب" وقد جاء فيها أمر بعدم إشراك أى من الأفغان فى أية إجراءات لتنظيم مقابلات، وألا يتم إخطار أى أحد مسبقًا. وبالإضافة إلى ذلك، فيجب أن أحضر أنا والقنصل فقط إلى المطار لاستقباله. وعلى ما أذكر، أنه لم يتم حتى ذكر أى شىء بخصوص السفير.

بمجرد قراءتى لهذا الإخطار، جلست فورًا أكتب الرد واقتراحاتى وملاحظاتى. أولاً، شهرا يناير وفبراير يسقط فيهما أكبر قدر من الأمطار فى كابول، كما يسقط الثلج بصفة خاصة، فكابول تقع على ارتفاع ١٨٠٠ متر، لذلك يمكن أن يكون ارتفاع الثلج أعلى من الركب. وبالإضافة إلى ذلك، فبالطبع السحب منخفضة جدًا، وتكون الرؤية فى أحسن الحالات ٢٠٠-٢٥٠ مترًا، وفى كثير من الأحيان يوجد ضباب يمنع فعليًا الرؤية تمامًا، بما فيها منطقة الأمطار. وعامةً مطار كابول ليس قادرًا على استقبال طائرات فى وقت الليل. كما لا يمكن الهبوط وكذلك الإقلاع، إذ كان يوجد فى الصيف أو فى الشتاء غيوم فى منطقة كابول. لذلك فقد كتبت بخصوص النقطة الأولى، أنه بعد وصول طائرة أندروبوف إلى كابول، يجب تركها فى المطار، لأنه يمكن أن ترتفع فى الجو السيئ، ولكنها لا تستطيع الهبوط. ويمكن لهذا الجو أن يمتد لأسابيع فى كابول. لذلك يمكن أن تُحتجز لمدة نصف شهر أو حتى شهر. بل أنى اقترحت فيما بعد وجود طائرة أخرى بطشقند، احتياطيًا. وسوف نوفر حماية للطائرة التى ستصل. ولكن إذا كان الجو جيدًا، فيمكن لتقوية الأمان إرسال الطائرة الثانية من طشقند لكى يسافر عليها أندروبوف. أما الطائرة الأولى، فيمكن أن تطير بدون ركاب، أو بركاب آخرين.

السؤال الثانى: بماذا يتم النقل من المطار؟ اقترحت استخدام السيارة "المرسيدس" المصفحة التى كنا قد أرسلناها فى الماضى لتاراكى، واستخدمها حفيظ الله أمين فى الفترة الأخيرة. فى الحقيقة كانت توجد لحفيظ الله أمين سيارة "مرسيدس" أخرى مصفحة، كنا قد أرسلناها هى الأخرى فى عهد تاراكى، ولكن رجالنا العسكريين قاموا، أثناء الهجوم على القصر، بكسر أحد أبوابها بمرزبة، وسرقوا منها جهاز تسجيل وراديو، وعلى ما أعتقد أيضًا السجاد. وقد اقترحت أن نضع رجال استخباراتنا، على طول الطريق من المطار، فى تلك الأماكن التى يقف فيها عادةً رجال تنظيم المرور من الشرطة. بعد أحداث ديسمبر لم يعودوا موجودين على الإطلاق: فقد هرب نصف قوات الشرطة، كذلك رجل الشرطة الذى

كان يقف عند مبنى الممثلية، حيث كنت أقيم. وقد اقترحت استخدام مكتب الوزير المفوض الموجود فى الطابق الثالث، والذى كان هو أيضًا مجهزًا بحماية خاصة، لإجراء المفاوضات مع الأفغان. وقد اقترحت، عند الحاجة استخدام أحد الموظفين العاملين معنا كمترجم- ديميترى ريوريكوف - والذى كان يعرف جيدًا اللغة، وكان يصاحب السفير دائمًا فى الاجتماعات المهمة.

كانت البرقية تحتوى على عدد كبير من الموضوعات، بما فيها ماء الشرب، والمواد الغذائية... إلخ. أرسلت إلى موسكو تصوراتى، وبدون إبلاغ السفير بأى شيء بعد. ثم جاءنى الرد. جاءت ردود قصيرة بخصوص بعض الموضوعات "يُقبل". ولم يُقبل اقتراح إجراء المحادثات بالدور الثالث بمكتب الوزير المفوض. كان قد قيل من قبل، أن أندروبوف يشكو من قدميه، وأنه يصعب عليه صعود السلم. لذلك اقترحوا البحث عن اختيار آخر. اقترحت أن ينزل فى شقة السفير. وافقت موسكو، وكان من الشيق أن تكون درجة الحرارة فى حجرة نوم أعضاء المكتب السياسى ٢٣ درجة مئوية. اقترحت أن يذهب السفير أيضًا لاستقبال أندروبوف. وقد وافقت موسكو مرة أخرى. بينما رُفضت فكرة السيارة المصفحة. كتبت موسكو: "استخدموا سيارة نقل مدرعة للانتقال من المطار إلى السفارة".

كان ذلك غريبًا بالنسبة لى، حيث إنى لم أتمكن من فهم، كيف سيبدو ذلك. يمكننا أن نضع سجادة، ولكن يجب دخول سيارة النقل المدرعة والخروج منها عن طريق البرج. فكيف سيفعل أندروبوف ذلك؟ من الصعب تخيل ذلك. كانت لدينا سيارتان مدرعتان، كما قلت من قبل. كان قائد قوات حرس الحدود قد خصصها لسرية حراسة السفارة. ولكن كان استخدامها لتنقلات أندروبوف ما زال غير مفهوم لى. كما ظهرت نقطة حساسة أخرى. المارشال سوكولوف موجود فى كابول، وكان هناك أمر قاطع بألا يتم إخطار أحد بأى شيء، وأن يحضر فقط عدد محدود من الأشخاص إلى المطار بعدد محدود من السيارات بعد حصولى على رد موسكو، ذهبت إلى السفير تابييف. ناقشنا معًا كل المواضيع التى كان يراها،

واتفقنا على كل شيء. لم تظهر هناك أية مشاكل، ولكن في اليوم التالي تمامًا جاء المارشال سوكولوف إلى السفارة. ذهبت أنا أيضًا إلى السفير. قال المارشال:

- سيطير يوري فلاديميروفيتش إلى هنا؟

قلت: نعم، نحن نعرف ذلك.

قال: هيا نستقبله معًا.

بصراحة، لم أعرف كيف أتصرف، فسوكولوف عضو باللجنة المركزية للحزب الشيوعي، وعضو في مجلس السوفييت الأعلى للاتحاد السوفييتي، والنائب الأول لوزير الدفاع. هل أقول له إنه يوجد أمر بالحد من عدد المستقبلين، وألمّح له أن ذلك يسري عليه هو أيضًا؟ لم أقم بذلك، وكنت أفكر: "هذا غير مناسب، بل ببساطة ليس من الذوق.. اتفقنا على أن يذهب المارشال هو أيضًا لاستقبال أندروبوف. كان من الواضح أن أوستينوف اتصل به، وأنه قد حصل منه على توصية مباشرة بذلك. هكذا تكونت مجموعة الاستقبال.

طار أندروبوف من موسكو في النصف الثاني من يوم ٢٦ يناير فوصل إلى طشقند، وأمضى بها الليل. وقد سافر إيفانوف على نفس هذه الطائرة. وكان معهم، كرئيس من الإدارة التاسعة، نائب رئيس الإدارة الجنرال "سامودوروف". كنت أعرفه جيدًا. اتصل بي إيفانوف عن طريق جهاز اللاسلكي عالي التردد من طشقند وسأل عن الأحوال. قلت له إن كل شيء جاهز عامة، ولكن يوجد لدينا سؤال عن أنه لن يكون مريحًا لأندروبوف التنقل بواسطة سيارة مدرعة. فمن الأفضل استخدام سيارة "مرسيدس" مصفحة موجودة لدى بابراك كارمال. هنا قال إيفانوف:

- يجب التنقل بالمرسيدس. لا توجع دماغك.

وتوقفنا هنا. وقد وصل أندروبوف طائرًا إلى كابول بالسلامة في اليوم التالي ٢٧ يناير ١٩٨٠، فقد هبطت طائرته في المطار في حوالي الساعة ١١ صباحًا.

أوقفناها فى موقع الانتظار الاحتياطى، على بعد حوالى كيلومتر من المطار. لذلك لم يكن أحد موجودًا بالجوار. بعد أن خرج أندروبوف من الطائرة، استقل الجميع السيارات بسرعة. سارت الأولى وبها الحرس، وراءها "المرسيدس" وبها أندروبوف والسفير. أخذت معى فى سيارتى مساعده "ب.لابتيف". وتحركنا عبر المدينة.. كما خططنا، كان يقف ضباطنا على التقاطعات الرئيسية، حيث كانوا يراقبون مرور هذه المجموعة من السيارات. ومع ذلك فقد كان الموكب كبيرًا. فقد كانت تسير ٨ سيارات وراء بعضها البعض. كان علينا أن نعبر كل المدينة ومنها الحى الدبلوماسى. ولكننا وصلنا بسلام إلى السفارة، وأنزلنا أندروبوف بشقة السفير. كانت تتكون من طابقين. وكانت حجرة الاستقبال فى الطابق الأول، وكذلك حجرة الطعام، وبعد ذلك كانت توجد حجرات الممثلية. أما فى الطابق الثانى، فكانت توجد حجرة النوم، والحمام ودورة المياه...إلخ. وكان يوجد ممر من ردهة الطابق الثانى إلى حجرة عمل السفير. عندما وصلنا إلى حجرة الاستقبال وخلعنا معاطفنا، قال أندروبوف:

- كيف الحال؟ ما الذى تفعله هنا يا بجدانوف؟

أجبته: كيف ما؟ أعمل، يا يورى فلاديميروفيتش.

- هل تم فحص كل شىء هنا؟ ألا توجد أجهزة تنصُّت؟

- نعم، فحصنا كل شىء. وجارى الآن التحكم فى الهواء.

- حسن.

اجتمعنا فى حجرة الاستقبال؛ أندروبوف والسفير تابييف، وكبير مستشارى الحزب "ل.جريكوف"، وإيفانوف، وأنا. أما المارشال سوكولوف، فقد ذهب فورًا من المطار إلى مقر إقامته. هكذا كانت تشكيلة المشاركين فى الحديث عن كيفية تنظيم باقى العمل. قبل أى شىء، فتح يورى فلاديميروفيتش مفكرته وتحدث عن الهدف من زيارته، وعمّن يريد لقاءه. عامة، كان واضحًا أن موسكو كانت قلقة

بسبب الأحداث، التى مازالت مستمرة فى حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى. ثم كان يريد التحدث مع الرئاسة عن الوضع داخل الحزب، وعمّا يسمى بالوحدة. قال أندروبوف فى النهاية، بعد ٥٠ دقيقة:

- ماذا بعد ذلك؟ هل سنتناول الغذاء؟

أعطى السفير أمره، فتم تجهيز المائدة بحجرة الطعام. جاء للغذاء كل من المارشال سوكولوف وكبير المستشارين العسكريين س.ك.ماجوميتوف. كان يوجد حول المائدة، بالطبع السفير تابييف، وكذلك إيفانوف، والطبيب الخاص لأندروبوف، وأنا، ورئيس الحراسة المرافقة. كان قد حضر معه خمسة أشخاص يقومون بالحراسة خارج الحجرة. كان أول حارس من المرافقين موجودًا عادة عند مدخل الشقة. وقد تناولنا الغذاء بهذا التشكيل. لم تدُر أحاديث عن الأعمال أثناء الغذاء. تبادل أندروبوف النكات مع المارشال سوكولوف، ثم بدآ حديثًا طويلاً عن فرق هوكى الانزلاق على الجليد "دينامو" و"تسيسكا"[٢]. كان أندروبوف يتخاطب بألفة، وكان يتهم المارشال بأن العسكريين يستغلون اللاعبين بشكل ما، حيث إن لديهم إمكانيات إضافية. . ولكن ما أدهشنى، هو أنه كان يعرف أسماء كل لاعبى فريق دينامو واللاعبين الأساسيين فى فريق تسيسكا. كان ذلك مدهشًا. كان يعرف الجميع. لذلك كان الحديث واضحًا جدًا. وشربنا بضعة كئوس من الفودكا.

تفرقنا بعد الغذاء، كل إلى مكان عمله. استراح أندروبوف بعض الشىء. وبعد وقت قصير، بدأ يحضر إليه رؤساء الحزب والدولة. لم أحضر هذه اللقاءات، فقد كانت الأحاديث تدور على انفراد، ولكن عن طريق المترجمين.

مر اليوم الأول من المناقشات، واجتمعنا مرة أخرى فى المساء- أندروبوف، والسفير تابييف، وإيفانوف وأنا. حكى لنا أندروبوف باختصار عما تم

---

(٢) تحظى رياضة الانزلاق على الجليد بشعبية كبيرة فى روسيا، وفرقة تسيسكا هى فريق نادى القوات المسلحة السوفييتية.

فى اللقاءات، ثم خرجنا للتريض. كان الجو شتويًا، وباردًا جدًا. تمشينا فى موقع السفارة المحاط بسور. فقط، كنا حريصين عند مرورنا أمام البوابة التى كانت عليها قضبان حديدية. لم تكن الإشاعات، التى كنت قد سمعتها من البعض فى موسكو عن أنه قد تم تغيير شكل أندروبوف الخارجى وأنه كان متنكرًا، تتفق مع الحقيقة. فلم تُتخذ أية إجراءات خاصة. فقط يمكن أن أقول، بهذا الخصوص، بأنه لم يخرج خارج السفارة.

أكمل عمله منذ صباح يوم ٢٨، ولم يزعجنا. فانشغلنا بأعمالنا، بينما كانت لقاءاته تتم فى صالة استقبال السفير. ثم مرة أخرى تناولنا الغذاء مع المجموعة نفسها. وفى النصف الثانى من اليوم استمرت اللقاءات مع بعض أعضاء المكتب السياسى لحزب الشعب الديموقراطى الأفغانى، وانتهت مهمته عند المساء. كما توقعت، كانت السحب منخفضة جدًا، كما كان يوجد ضباب. كان مارشال قوات الطيران "سيلانتيف" موجودًا فى ذلك الوقت لسبب ما. يبدو أنه كان يحاول بالاتفاق مع المارشال سوكولوف تنظيم المطار، خاصة، فى ممر الهبوط والإقلاع. ولكن عندما حضرنا إلى المطار مع نفس المجموعة السابقة، لم يكن قد تم تنظيف الطائرة من الثلج. فقد تساقط الثلج فى اليوم السابق وفى أثناء الليل، حتى أن أجنحة الطائرة تجمدت.

وبذلك كانت الطائرة مغطاة بالثلج وكان جسم الطائرة وأجنحتها غير نظيفة، والرؤية لا تزيد عن حوالى ١٠٠-١٥٠ مترًا. كانت ممرات الطيران والهبوط منظفة جزئيًا، بينما كان الثلج حولها عميقًا. اقتربنا من الطائرة. كان طاقمها موجودًا بداخلها. خرج قائد الطائرة وأخبر أندروبوف بأن الظروف الجوية لا تسمح له بالطيران، حيث إن ذلك سيكون صعبًا فى هذا الجو، خاصة أنه لم يتم تنظيف الطائرة بعد. هذا هو الموقف الذى حدث فى المطار. تذكرت البرقية التى وصلتنى وجاء بها أنه بعد وصول أندروبوف ستطير الطائرة إلى طشقند فورًا، وأنها ستعود ثانية عند طلبنا لها. إذا كانت الطائرة سافرت لم تكن ستتمكن من

العودة إلى كابول. إلى متى سيستمر ذلك؟ لم يكن أحد يعلم. وقد خشى قائدها حتى الانطلاق بها فى ظروف هذه الرؤية.. وبالرغم من أنه طبقًا للتوقعات، كان يجب أن تظهر ثقوب فى السحب، وكان يمكن أن ترتفع السحب فى بعض الأماكن عن الأرض ٣٠٠-٤٠٠ متر، وفى هذه الحالة يمكن للطائرة أن تطير.

حدثت عقبة غير متوقعة فى المطار. جلسنا فى السيارات مرة أخرى، واستدرنا وتحركنا إلى السفارة. لم يضغط أندروبوف على قائد الطائرة. وبعد وصولنا إلى السفارة، قرر مرة أخرى استكمال المحادثات. وقد طلب، بصفة خاصة، حضور أسد الله سارفارى وفاتاندجار إليه. أما نحن فقد انشغلنا بأعمالنا. وقد انتهت أحاديثه مع الأفغان بعد وقت قصير. جلسنا نحن الثلاثة، أندروبوف وإيفانوف وأنا. قرر أندروبوف الاستماع إلى مساعدى لشئون مكافحة التجسس العسكرى الجنرال "فلاديمير باجنيوك". دعيناه إلى حجرة الاستقبال، فعرض فى وجودنا تقديره وتصوره عن عمل مكافحة الجاسوسية العسكرية وكذلك حالة الجيش الأفغانى، من وجهة النظر هذه. بعد ذلك العرض، أردت أنا أيضًا عرض بعض التصورات عن مكافحة "تشكيلات العصابات" وعن توصياتنا الممكنة للجانب الأفغانى، بل أنى أحضرت رسمًا تخطيطيًا. وفجأة سأل أندروبوف:

- أتعرف؟ أعتقد أن عليك السفر من هنا.

التقطت فورًا خيط هذا الموضوع، وقلت إنه لم يكن من المناسب لى أن أضع بنفسى هذا الموضوع أمام قيادة اللجنة، ويجب علىّ بالطبع السفر لأسباب سياسية واستخبارية وشخصية. لقد سبق أن عملت مع أربعة من رؤساء جهاز الأمن فى عهود ثلاثة رؤساء للبلد. فقال أندروبوف:

- حسنًا. نحن راضون عن عملك. وسوف نكافئك. وقد حدثت بابراك كارمال عن دورك فى تلك الأحداث التى وقعت فى الشهور الأخيرة من عام ١٩٧٩، فسألنى عمن يمكن إرساله إلى هنا كبديل لى.

قلت: إذا كان المطلوب حصان عمل، فيمكن إرسال رئيس القسم "ف.سبولنيكوف"، الذى يعرف هذه المنطقة، لأنه سبق أن عمل فى مجموعة الاستخبارات المقيمة بإيران، ويعرف اللغة.

سأل: ومن أيضًا؟

ذكرت اسم نائب رئيس إدارة الاستخبارات "ى.ب.مديانيك"، الذى انشغل بشئون هذه المنطقة لسنوات طويلة، كما أنه كان رئيسًا لمجموعة الاستخبارات المقيمة بكابول فى الماضى. حقيقة، لم يكن يعرف اللغة، ولكنه كان بالطبع شخصًا مناسبًا تمامًا، يعرف هذا العمل، ومحترفًا. وقد ذكر أندروبوف، من ناحيته أيضًا، اسم مرشح من الإدارة العامة الثانية. كنت أعرف هذا الشخص، فقد سبق أن عمل فى كوادر التجسس، وعمل فى مجموعة استخبارات فى الخارج، ثم انتقل إلى هيئة مكافحة التجسس. ثم قال أندروبوف نفسه، بعد ذلك:

– لا. على الأرجح، سنستخدم هذا الشخص فى مجال آخر.

ثم أضاف: هيا نتفق على ما يلى. أنت لن تخفض إيقاع العمل هنا. أما نحن، فسنعد البديل.

نعم، عندما ذكر أندروبوف "نحن راضون عن عملك. وسوف نكافئك"، قال إيفانوف فورًا:

– يورى فلاديميروفيتش، إنه يستحق منذ زمن منحه رتبة جنرال.

وافق أندروبوف على الفور، وقال:

– حسنًا. سوف نمنحك رتبة جنرال. ولكن لا تتخاذل هنا. استمر الآن فى العمل.

انتهى هذا الجزء من الحديث، ثم تناولنا الغذاء معه. وبعد الغذاء كان عنده وقت حر. لم يسمح الجو بالطيران طوال اليوم. اقتربنا من المساء، وبدأت تظلم فى

١٨:٠٠. اجتمعنا بعد الغذاء نحن الثلاثة مرة أخرى فى حجرة الاستقبال. هنا دار حديث ودى للغاية عن مختلف المواضيع. يمكن ملاحظة عدة نقاط مما كان مشوقًا ومميزًا لأندروبوف. حكى عن موضوع لنينجراد[٣]. وقد قال أثناء ذلك، عن أنه عندما التحق بالكى.جى.بى، لم يكن من المناسب له أن يأخذ ملفه بنفسه من الأرشيف. لذلك فقد طلب من مساعده القيام بذلك. قال أندروبوف، إنه كان يوجد فى الموضوع مواد خاصة به تدينه. ولكن تقرر أن يخصص لها ملفًا منفصلاً، أى أنه لم يتم اتهامه فى موضوع لنينجراد الأساسى. ثم تحدث أندروبوف بالتفصيل عن لقاءاته مع "ماو تسى تونج"، وعن سفراته إلى الصين. لقد تحدث بالخير عن رؤساء جمهورية الصين الشعبية. وفيما يخص العلاقة مع "ن.س.خروشوف"، فلم تصدر منه أية كلمات حادة بخصوصه. و لكن كان يمكن أن نفهم بأن علاقته بخروشوف كانت باردة. وقد مر فى ديسمبر ١٩٧٩ مائة سنة على ميلاد أ.ف.ستالين، وتم نشر مقالة طويلة بجريدة برافدا بخصوص هذا التاريخ. وحيث إن الحديث سمح بطرح أية أسئلة، فقد عرضت رأيى فى أن المقالة التى نُشرت بجريدة البرافدا كانت جافة بقدر زائد. قال أندروبوف فورًا:

– لا، إنها لم تكن جافة، ولكنها كانت صارمة.

ثم أضاف: أنت تعرف أن هذا الموضوع معقد، ويجب أن يمر بعض الوقت عليه.

ولم ندخل فى التفاصيل بعد ذلك. لقد كنت أدخن كثيرًا فى ذلك الوقت. ولم يكن هو يدخن، ولا إيفانوف. كانت قد مرت ساعة ونصف أو ساعتين، وكنا مازلنا جالسين نتحدث. فى النهاية لم أتحمل وسألت:

---

(٣) بعد الحرب العالمية الكبرى (١٩٤١–١٩٤٥) قام ستالين باتهام قادة الحزب الشيوعى بمدينة لنينجراد بمحاولة إنشاء الحزب الشيوعى لروسيا، حيث كانت توجد أحزاب مماثلة بالجمهوريات الأخرى، واعتبر ذلك تحديًا للحزب الشيوعى على مستوى الاتحاد السوفييتى، فأمر بالقبض عليهم وإعدامهم رميًا بالرصاص.

– يورى فلاديميروفيتش، اسمح لى بالتدخين.

قال: لا، فلنشرب شايًا أولاً.

ذهبت إلى طباخ السفير، وطلبت منه إعداد الشاى. أحضره وشربناه. وقد لاحظ أندروبوف بعد ذلك معاناتى. كنت أدخن كثيرًا– علبتين أو ثلاثًا فى اليوم، أو حتى اثنتين ونصف وأحيانًا ثلاث علب. نظر إلىّ وقال:

– فلتدخن، دخن، كما تريد. أنت تعرف المدخن الذى عندنا فى المكتب السياسى، مثلك– أوستينوف.

سألته: وماذا يدخن؟ أى نوع من السجائر؟

قال: يدخن "مارلبورو".

لم أستغل السماح لى بالتدخين بأسلوب سيئ، ولكنى دخنت سيجارة واحدة. مرت حوالى ثلاث ساعات وكنا ما زلنا جالسين نتحدث. وفى النهاية قلت:

– يورى فلاديميروفتش، أعتقد أنه يجب أن تستريح.

أجابنى: ماذا بك، هل مللت معى، أم ماذا؟

قلت: لا، لم أملّ. ولكن الساعة أصبحت متأخرة.

– لا. فلنجلس بعض الوقت، ولنتحدث مع السفير، فقد يكون عنده فيلم نشاهده فى المساء.

ولكننا لم نشاهد أى فيلم سينمائى، ولكننا خرجنا نتجول. وقد كرر إيفانوف فى خلال الحديث أننا قد جهزنا رجلنا، المسئول عن معدات الاستخبارات الفنية، بآلة تصوير، واقترح التقاط بعض الصور لنا معًا. ولكن أندروبوف رفض ذلك تمامًا. فيبدو أنه لم يكن يرغب فى أن تكون هناك أية صور مرتبطة بمجيئه إلى كابول. وبذلك لم تُلتقط لنا أية صور. وفى المساء، انشغلت بأعمالى. أما أندروبوف

فذهب يستريح. لم أذهب إلى البيت. وأمضيت الليل مرة أخرى فى نفس المركز الطبى بالمستوصف. ذهبت فى الصباح إلى السفارة، فرأيت الجميع قد جلسوا فى السيارات. اتضح أن المارشال سيلانتييف أخبرهم بأنه ينتظر أن تظهر نافذة فى السحب فى حوالى الساعة العاشرة، وأنه يجب استغلال ذلك. فقمنا بوضع الرجال بنفس الطريقة واتجهنا بسرعة إلى المطار. كان قد تم تنفيذ ممر الطيران والهبوط، كما تم تجهيز الطائرة. ودعنا بعضنا. كانت السحب منخفضة، ولكن كانت قد أصبحت على ارتفاع حوالى ٣٠٠ متر، وكانت الرؤية ٤٠٠ متر. ولكن على الرغم من ذلك، تم تشغيل المحركات، لتسخين الآلة. اندفعت ثم ارتفعت مقدمتها وارتفعت إلى أعلى واختفت بين السحب. رجعنا إلى السفارة. اتصلت بكريوتشكوف، وأخبرته بأن الطائرة قد طارت وعلى متنها أندروبوف من كابول متجهة إلى طشقند.

انتهت الزيارة وانتهى هذا اللقاء بهذه الطريقة. وأريد أن أقول إن هذه الزيارة لم تنعكس كثيرًا فيما نُشر. ولكن يتحدث أحد أوائل الكتب التى صدرت من تأليف "ل.ف.شيبارشين"[٤] بالتفصيل عن زيارة أندروبوف لجمهورية أفغانستان الديموقراطية. ولكن بعض التفاصيل لا تتفق مع الحقيقة. أحد الأخطاء يتمثل فى أنه ذكر أن الزيارة تمت فى عام ١٩٨٢، ولكن فى الحقيقة جاء أندروبوف إلى كابول فى عام ١٩٨٠، فى الفترة من ٢٧ إلى ٣٠ يناير. وبعد ذلك يصف شيبارشين بالتفصيل مسار الحركة فى كابول، وكأنه تم توصيله ببيت الممثلية، حيث نزل. والواقع أن أندروبوف لم ينزل فى أى بيت، ولكنه أقام وعمل لمدة يومين ونصف بأرض السفارة، مباشرة فى تلك الشقق التى كانت مخصصة للسفير.

---

(٤) رئيس الاستخبارات. قبل انهيار الاتحاد السوفييتى.

آخر شهور فى أفغانستان

وهكذا غادر أندروبوف أفغانستان طائرًا. وقد اتضح مستقبلى قليلاً، ولكن لم يتم الاتفاق على تحديد المُدد والمواعيد. ولكن يجب أن أقول إن الكثير قد تغير فى الممثلية نفسها فى الشهور الأخيرة من ١٩٧٩ وبداية ١٩٨٠. أولاً، منذ شهر ديسمبر خرجنا من تحت سقف السفارة بصورة نهائية. كانت عندنا مجموعتنا المالية، وكان رئيسها أحد العاملين القادمين من موسكو، من القسم المالى للإدارة العامة الأولى. كما أننا عيننا شخصين آخرين هنا. ثم أنشأنا قسمًا اقتصاديًا، رأسه هو أيضًا ضابط حضر من موسكو. كما أنى استأجرت على بعد كيلومتر من السفارة أرضًا مساحتها كبيرة، فى هذه المرة بدلاً من قصر بفناء صغير. كانت مملوكة لأخوين أفغانيين تركا البلد. كان أحد أقاربهما قد بقى. فاتفقنا معه على استئجار قطعة الأرض الكبيرة. كان بها مبان. كما كانت إحدى الفيللات كبيرة جدًا وفى حالة جيدة. وبالإضافة إلى ذلك كانت توجد بعض الإنشاءات التى كانت تحتاج لإصلاح. بل كان يوجد أيضًا حمام سباحة صغير. وكان هو أيضًا يحتاج لإصلاح. رُوى لى فيما بعد، عند مغادرتى، أن محطة الأوتوبيس العام القريبة من هذه الأرض أصبحت تحمل، بين سائقى الأوتوبيسات والركاب، اسم "محطة الكى.جى.بى".

تم تجهيز مكاتب لعمل موظفى عدة أقسام فى المبانى المستأجرة. حصلنا على وسائل نقل إضافية، منها "سيارة إسعاف" بشاسيه "فولجا" ونقالات. وكثيرًا ما استخدمها القسم الاقتصادى لنقل الشحن.

وبالإضافة إلى ذلك، فقد اتصل بى أيضًا فى ديسمبر ١٩٧٩ نائب رئيس الكى.جى.بى. جنرال الجيش "تسينيف" وقال لى إنه قد صدر قرار بأن عُهد إلى الممثلية التأمين الاستخبارى لمجموعة المستشارين العسكريين السوفييت. لذلك فقد انضم لعاملينا رجال مكافحة التجسس العسكرى الذين كانوا قبل ذلك فى ركب

مجموعة الاستخبارات المقيمة. بصراحة، كنت أنا ونائبى لشئون مكافحة الجاسوسية الجنرال ف.باجنيوك معارضَين لذلك، ولكننا لم نتمكن من تغيير الوضع القائم. وبذلك فقد عهد إلينا جزئيًا عمل الاستخبارات والتجسس، وخصصوا لهذا النشاط بعض التمويل. كما أضيف إلى هيكل الموظفين مساعد لرئيس الممثلية لشئون الكوادر. وقد شغل هذا المنصب ضابط حضر من الإدارة المركزية لجهاز كى.جى.بى. الاتحاد السوفييتى. وفيما بعد فإن هذا المنصب سوف يتحول إلى نائب رئيس الممثلية لشئون الأفراد. كما أُضيفت وظيفة "جنرال" إضافية. وبذلك فقد قوى وضع الممثلية، واتسعت مهماتها. وفى النهاية، اتُخذ قرار بتبعية مجموعة الاستخبارات المقيمة للممثلية. ولكن كانت توجد مرحلة انتقالية هنا. وأثناء وجودى فى يناير ١٩٨٠ بموسكو، عرجت على نائب رئيس هيئة الاستخبارات الخارجية، الذى قال لى:

- فلنبق حق توقيع الأوراق، على أية حال، أيضًا لرئيس مجموعة الاستخبارات.

لم أعارض.

وفيما يخص إرسال مختلف الإخباريات إلى موسكو، فقد أصبحت تُذيَّل فى نهاية ١٩٧٩ بثلاثة توقيعات: إيفانوف، وتوقيعى، وتوقيع رئيس مجموعة الاستخبارات. وقد استمر ذلك لفترة معينة.

للأسف، لم يتحسن الوضع فى البلد بعد سفر أندروبوف، فكانت هناك اتجاهات سلبية. وبناءً على أوامر المركز كنا نرسل كل مساء مذكرات استخبارية إلى موسكو عما حدث فى خلال اليوم. وكنا عادة نوقعها فى الساعة ٢٢-٢٣ مساءً. وبالطبع أشير فيها إلى الكثير من النقاط السلبية. عندئذ فوجئت لأول مرة بأندروبوف يتصل هاتفيًا ويقول:

- ما الذى يحدث عندكم، هل فقط سلبيات؟ ألا يوجد أى شىء إيجابى؟

يجب أن أقول إن ذلك كان متعلقًا بمحاولات رئاسة جمهورية أفغانستان الديموقراطية وبابراك كارمال شخصيًا لحل الأمور ذات السمة السياسية والعسكرية. لم نكن نشير إليها دائمًا فى مذكراتنا. ثم بعد ذلك أصبحنا نقرأ الجرائد ونسمع الإذاعة ونشاهد التليفزيون بانتباه أكبر، وتبع ذلك أن أصبحت تصل إلينا أخبار الإجراءات التى كانت تنفذها السلطة المحلية بهدف استقرار أو تحسين الوضع. يجب أيضًا ملاحظة أنه كان دائمًا يوجد عندنا فى الممثلية رجال من ذوى الخبرة فى شئون الإعلام. مرة أخرى يبدى بعض العسكريين فى مؤلفاتهم آراء، وهم لا يعلمون بأمور معينة، ببساطة لا تتفق مع الحقيقة. بل أحيانًا تكون استفزازية. فمنذ مايو ١٩٧٨، عندما سافرت أول مجموعة استخبارات من الكى.جى.بى. إلى كابول، ضُم إليها فى ذلك الوقت ممثل لشئون الإعلام بجهاز الاستخبارات، على مستوى رئيس قسم. وكان ينشغل بالمواضيع السياسية بالمنطقة. وبعد ذلك كان دائمًا ما يوجد ممثل لهذا الاتجاه فى كابول. كان يحلل مواد مجموعة الاستخبارات المقيمة والممثلية. وفى إحدى المرات، فى أثناء الحديث مع كريوتشكوف، لدرجة أنى طلبت إرسال نائب رئيس قسم الإعلام بإدارة الاستخبارات الخارجية للكى.جى.بى. إلى كابول من أجل تحسين هذا العمل، وضبطه بشكل أكمل. فأرسلوا إلى كابول صديقى القديم، الذى كان نائبًا لى فى إيران فى مجال الاستخبارات السياسية. وكان قد شارك شخصيًا على مدى عدة شهور فى إعداد المواد الإعلامية وضبط هذا العمل المهم. (لذلك فإن رجوع بعض، ممن نسميهم الخبراء العسكريين إلى أن واحدًا من رئاسة الممثلية كان يخترع المعلومات، ليس له أى أساس).

استمر فى فبراير تزايد المصادمات الحربية بين القوات المسلحة الأفغانية والمتمردين والعصابات فى معظم محافظات البلد. وقد شاركت بنشاط مجموعة محدودة من وحدات جيشنا فى تنفيذ العمليات الحربية.

أريد أن أشير إلى نقطة من بين أحداث فبراير. عُقد حفل استقبال بالسفارة فى ٢٢ فبراير ١٩٨٠ بمناسبة عيد الجيش السوفييتى. حضر كثير من الضيوف، ومنهم ممثلو السلك الدبلوماسى. وحضرت كل رئاسة الدولة والحزب، وفى مقدمتهم بابراك كارمال. فى الحقيقة، كان ذلك أول لقاء لى معه. وكان أندروبوف قد نفذ وعده قبل ذلك، ففى يوم ١٤ فبراير بناءً على قرار من مجلس وزراء الاتحاد السوفييتى وبتوقيع من "أ.ن.كوسيجين" تم منحى رتبة "لواء". وقد تم توقيع القرار بخصوص ثلاثة أشخاص فقط. وقد حصل أيضًا رئيس القسم الخاص بالجيش الأربعين، الذى كان يعتبر محاربًا، على رتبة جنرال، وفى هذه الحالة تحول منصب رئيس القسم الخاص ليكون على مستوى جنرال. كما حصل أيضًا على رتبة جنرال، أحد رؤساء أقسام الاستخبارات السرية، والذى كان مختصًا بالقوات الخاصة، الموجودة بأفغانستان.

وفى أثناء حفل الاستقبال، ذكر السفير تابييف لبابراك كارمال أن بجدانوف ليونيد بافلوفيتش قد رُقى إلى رتبة "لواء". فجاء رد فعل بابراك كارمال:

– نحن سعداء جدًا، بأنك نلت هذه الرتبة هنا، فى أفغانستان.

مضى بعض الوقت، ثم حضر إلىّ بعض رفاقنا وأخبرونى بأنه بدأت فوضى فى المدينة، وأنه جارى إطلاق نيران مستمر. قلت إنه يجب على بابراك كارمال أن يذهب بسرعة إلى مكان عمله، وأن ترافقه حراسة مكونة من أربعة أفراد من مجموعتنا "ألفا". تم إبلاغ بابراك كارمال عن هذا الوضع، وفعلاً ذهب إلى مقره بالقصر بصحبة ٤ ضباط من مجموعة "الفا". وقد تركت نصيرة بابراك كارمال "أناخيتا" السفارة، واختفت فى مكان ما، وتم البحث عنها طوال الليل. أما باقى الوزراء فقد ذهبوا إلى منازلهم. كان إطلاق النيران قد أصبح قريبًا من السفارة. فقد جرى تبادل كثيف لإطلاق النار على بعد حوالى كيلومتر من السفارة، وقُلبت حافلات، وأُحرقت سيارات... إلخ. وقد تأخر وزير الخارجية وزوجته

بعض الشيء، فلم يتمكنا من الذهاب إلى مقرهما، واضطرا لقضاء الليل في موقع السفارة.

وقد هدأ الوضع بعض الشيء قرب الفجر. فلم يعد هناك مثل هذا التبادل الكثيف لإطلاق النيران. ولكننا كنا لا نعرف أساس الموضوع، وفي أي إطار يمكن فهم هذه الأحداث. وقد أنشأ الأفغان هيئة أركان حرب لتصفية هذه الانتفاضة. وقد عُين أسد الله سارفاري ليكون رئيسا له. ذهبت في الصباح إلى هذه الهيئة. على ما أعتقد أن مقرها كان في مبنى رئاسة الوزراء. وعندما وصلت، كان أسد الله سارفاري هناك، وكذلك وزير الداخلية "جوليابزوي"، والجنرال "قدير"، وشخصان أو ثلاثة آخرون. كالعادة كانوا جالسين يشربون الشاي. سألت عن الوضع في المدينة. كانوا يعرفون بعض الأشياء، ولكن كان من الواضح أنه لم يكن عندهم معلومات كافية. هنا، قال جوليابزوي إنه سيأخذ معه اثنين من الحراس، ويذهب إلى المدينة لمشاهدة ما يجري في الشوارع، في الأحياء المختلفة لكابول. أتذكر الحديث الذي دار مع سارفاري بهذا الخصوص. سألته:

– أيها الرفيق سارفاري، في تقديرك، إلى متى يمكن أن يستمر هذا الوضع غير المستقر، وهذه المعركة مع المتمردين؟

قال: سيمر عام، ثم سنذهب أنا وأنت نسبح. سوف تسبح أنت، أما أنا فسأقوم بحراستك على الشاطئ من هؤلاء المجرمين. ثم سيمر عام آخر، وسوف نذهب نسبح مرة أخرى. وسوف أسبح، بينما ستقوم أنت بحمايتي من هؤلاء المجرمين...

عندئذ وجهت إلى الجنرال قدير سؤالاً مماثلاً:

– أيها الرفيق قدير. أنت رجل عسكري، خبير. كيف تقيّم هذه الحالة؟ وكم سنة يمكن أن يمتدها؟

نظر إليّ وقال: عشر سنوات.

ساندته قولاً: يبدو أن الأمر يسير نحو ذلك.

كانت قد وُجدت مثل هذه التقديرات فى ذلك الوقت. وفى اليوم التالى عُقد اجتماع فى هيئة أركان الحرب حضره أعضاء المكتب السياسى "نور أحمد نور" و"زيراى". كما حضره سفيرنا أم تابييف. ولا أذكر إذا كان المارشال سوكولوف وُجد به. مرة أخرى جرى الحديث عن اتخاذ إجراءات لفرض النظام فى كابول. كانت تقف قواتنا المسلحة فى المدينة. وكانت مدرعات الجيش السوفييتى تراقب كل تقاطعات الطرق. وحيث إننا أخذنا على عاتقنا الكثير من الأشياء، فقد تذكروا فى الاجتماع قرار لجنة حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى بالمدينة. فطبقًا لهذا القرار، كان يجب أن يحدد كل حى ٣٠٠ مقاتل للحراسة ولحماية الأهداف فى كابول، ولكن لم ينفذ ذلك أحد. أتذكر أن ف.أ.تابييف كما تعودنا، قد ضرب على المائدة بقبضة يده وقال بصوت عالٍ:

– لماذا لا تُنفَذ قرارات الحزب؟! يجب فصل سكرتارية الحزب فى الأحياء التى لا تنفذ هذا الأمر.

كان ف.أ.تابييف جديدًا فى جمهورية أفغانستان الديموقراطية. وكنت أفهم أولاً أن سكرتارية الأقاليم الأفغانية لم يكونوا يفهمون الكثير، وثانيًا، أنهم لم يكونوا يتحكمون أبدًا فى تلك الأماكن التى كانوا قد وُضعوا فيها.

وبالمناسبة، فقد نسيت الإشارة إلى أنه قد تم إنشاء هيئتنا الحزبية أيضًا فى ممثليتنا، وأنه قد ظهرت لجنة حزبية وأنه قد تمت تنحية سكرتير الحزب الشيوعى المتفرغ. أى أننا أيضًا كنا نمارس نشاطًا سياسيًا اجتماعيًا عامًا.

لقد حاولت عدة مرات فى النصف الثانى من شهر فبراير وبداية شهر مارس بواسطة الاتصال هاتفيًا أن أتحسس حال أمر استبدالى. اتصلت مرتين بالنائب الأول لرئيس الاستخبارات الخارجية ف.أ.كيربيتشنكو. ولكن ظل هذا الموضوع معلقًا فى الهواء بشكل ما. أذكر أن كيربيتشنكو قال:

- أنت تجلس عاليًا الآن لدرجة أنه لن يقرر ذلك الأمر أحد بدون أندروبوف.

وقد فهمت من التلميحات أن أندروبوف قد مرض. وأنه لم يذهب إلى مكان عمله في جزء من فبراير وكذلك مارس وحتى نصف أبريل. لذلك تمّ تأجيل موضوع سفري.

اقترب يوم ١٤ مارس، وهو التاريخ المرتبط بما يسمى "العصيان في هرات"، والتي مر عليها عام كامل بالتمام. تقرر سفري إلى هرات لرؤية كيف استتب الوضع هناك، وما هي الإجراءات التي يتخذها الأفغان. وإذا احتاج الأمر سنتخذ الإجراءات الإضافية معهم. كانت قد أصبحت مروحيتان من طراز -МИ 8T تحت أمر الممثلية. فقد خصصها لنا، بناء على طلبنا، رئيس قوات حرس سواحل الاتحاد السوفييتي جنرال الجيش "ف.ماتروسوف"، من بين التجهيزات الفنية التي عنده، وكذلك طاقما قيادة من بين ضباط حرس الحدود. كانتا متمركزتين بمطار كابول. وكان الطاقمان يستبدلان دوريًا. وبالاتفاق مع إيفانوف، الذي كان في ذلك الوقت في كابول، طار إلى هرات كل من الجنرال فلاسوف وكابانوف. وكان رجلنا المقيم دائمًا في هرات في ذلك الوقت في مهمة بكابول، وكان يستطيع العودة معنا إلى مكان خدمته. وقد طلب أحد الصحفيين الطيران معنا، ولو حتى إلى قندهار.

ولكن عندما فكرت أنا والجنرال فلاسوف في هذه السفرية، ظهرت عندنا الفكرة التالية: أن نطير في يوم ١٣ مارس إلى هرات، ونرى الوضع هناك، ونظام الحراسة والدفاع، ونتخذ إجراءات تقويتها. ولم يكن يوجد مكان يمكن أن نُبقي فيه المروحيتين، وكانتا دائمًا تطيران معًا، لأنه لم تكن توجد حراسة يُعتمد عليها في مطار هرات. فقد تمت حمايته فقط على حدوده بواسطة وحدة دبابات صغيرة أعلنت التمرد في مارس ١٩٧٩. لذلك قررنا أن نطير بالمروحيتين في مساء يوم ١٣ إلى مدينة كوشكا التابعة لنا، حيث كانت توجد قوات طوارئ حرس الحدود

ومركز جنود حرس الحدود، وأن نمضى الليلة هناك، وأن نذهب فى نفس الوقت إلى الحمام الروسى، وأن نعود في صباح يوم ١٤ مارس إلى هرات، حيث إن الطيران إليها من كوشكا يستغرق ٢٠ دقيقة.

بناءً على ذلك تم وضع خطة الطيران التى وضعتها فى درج المكتب، بعد أن أخبرت نائبى تشوتشوكين بذلك. طرنا فى يوم ١٣ بمروحيتين فى اتجاه هرات. طرنا على ارتفاع ٤ آلاف متر، تقريبًا، بمحاذاة الطريق الأسفلتى، الذى كان بالنسبة لنا موجهًا جيدًا للطريق. وصلنا إلى قندهار، وهبطنا بمطارها. استقبلنا هناك بعض المستشارين العسكريين، حيث لم يكن ممثلنا فى ذلك الوقت هناك. أكلنا فى مطعم ثم أكملنا رحلتنا. وصلنا إلى مدينة شينداند. كانت توجد بها قاعدة جوية عسكرية متمركزة بها طائرات أفغانية وسوفييتية. كما أنه كانت توجد بها فرقة كوشكا، التى عبرت الحدود فى يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٧٩، وكانت وحداتها قد احتلت مراكز فى بعض المدن ومنها قندهار. ولكن كان يوجد مركز قيادة الفرقة فى منطقة شينداند.

استقبلنا فى المطار رئيس القسم الخاص بالفرقة، وأوصلنا إلى قيادة الوحدة التى كانت تبعد عدة كيلومترات عن المدينة. كان يوجد منزل صغير لا يبعد عن الطريق الأسفلتى، وكانت تقف بجانبه عربة قيادة كبيرة. كان قائد الفرقة يقيم فى البيت، ورئيس أركان الحرب العامة وبعض الضباط أيضًا. تعرفنا على القائد. كان شخصًا اجتماعيًا أو مضيافًا أو ذكيًا. قدموا لنا طعامًا مكونًا من "بلمينى"(٥) جيدة، وشربنا كأسى فودكا، وناقشنا الوضع. كانت قد تحطمت طائرة عندهم فى اليوم السابق. فقد طارت طائرتان لتصفية مجموعة ما، ودخلتا بين السحب. وخرجت إحدى الطائرتين من السحب، بينما فُقدت الثانية فى الجبال. لذلك صدر أمر بالتوقف عن الطيران إلى أن يصدر إذن خاص بذلك. أمضينا الليل فى الوحدة.

---

(٥) طبق روسى، عبارة عن عجين محشو باللحم المفروم.

كان الجو فى صباح يوم ١٣ مارس جيدًا، ولكن لم يُسمح لنا بالطيران. قالوا لنا إنه لا يوجد إذن بالطيران. فقد صدر الأمر لكل القوات الموجودة بأفغانستان. وها نحن بقينا فى انتظار الإذن بالطيران، تمشينا، وتجولنا بلا هدف فى المطار، وشاهدنا الطائرات والمروحيات الرابضة بالقرب من ممر الطيران.

وفى النهاية مُنحنا الإذن بالطيران، فطرنا إلى هرات. لم تكن تبعد كثيرًا، فطرنا إليها حوالى ٢٠ دقيقة. هبطنا فى مطار هرات، واستقبلنا هناك مقدم مستشار لقائد الفرقة. لم تكن توجد بالمطار وحداتنا. كان يوجد مبنى "ميناء جوى" صغير على طرف أرض المطار. وكانت يقف بالقرب منه مجموعة مريبة من الملتحين. وكان جندى اللاسلكى الرامى بمروحيتنا قد جعل المدفع الرشاش فى وضع استعداد. أرسلوا سيارة "فولجا" وسيارة نقل مدرعة لاستقبالنا. بقى الطاقمان للحراسة ولحماية المروحيتين. وقد أبلغنا قائد السرب بأننا سنعود بعد حوالى خمس ساعات، وأننا سنطير إلى كوشكا، قبل حلول الظلام.

ذهبنا بالفولجا إلى المحافظ. أقام غذاء فى مقره، حضره، بالإضافة لنا نحن الثلاثة، رئيس القسم المحلى لجهاز الأمن وموظف كان مستشارًا له. وبعد الغذاء، شاهدنا الوضع على خرائط ومخططات، وكذلك توزيع وحدات القوات المسلحة الأفغانية وبعض وحداتنا. ثم خرجنا إلى المدينة، وشاهدنا شكل كل ذلك على الطبيعة. كان كل شيء معدًا بطريقة حسنة، ولم تكن توجد ملاحظات خاصة. جلسنا مرة أخرى عند المحافظ، وكان الوقت يقترب من غروب الشمس. ذهبنا إلى المطار، وصعدنا إلى المروحية وطرنا إلى كوشكا. طرنا على ارتفاع منخفض، وعبرنا منخفضًا جبليًا، ثم منطقة جبلية. وكانت تظهر خيام وماشية وقوم من الرحالة حتى حدودنا. كنا فى الربيع. كانوا قادمين من باكستان، وبعضهم من إيران. وقد دخلوا إلى أرض أفغانستان، فى المنطقة الجبلية إلى المراعى، بعد أن ساروا مئات كثيرة من الكيلومترات.

طرنا عبر الحدود، وهبطنا فى منطقة قوات طوارئ حرس الحدود. استقبلنا قائد القطاع، ورئيس نقطة الحرس وعقيد، كان قد طار إلى هنا من مركز قيادة المنطقة. اتضح أن الجنرال نيشوموف - رئيس هيئة أركان حرب حرس حدود الاتحاد السوفييتى- عندما علم بأننا سنطير إلى كوشكا، أصدر أمرًا، بصفة خاصة، لهذا المقدم لاستقبالنا ومساعدتنا فى خلال فترة إقامتنا بكوشكا. ذهبنا إلى قائد الفرقة. كانت الفرقة نفسها قد غادرت إلى أفغانستان، وكانت كل الثكنات والمبانى فارغة. وقد جهز أحد الصولات الحمام وأعد العشاء. استمتعنا بحمام البخار، واغتسلنا جيدًا. ثم أنزلونا فى فندق عسكرى. وقد خصصوا لنا غرفة "لوكس"، كانت مخصصة لقادة القوات بمنطقة آسيا الوسطى، وغرفة صغيرة أخرى. قلت لفلاسوف وكابانوف:

- اشغلا أنتما غرفة القادة. أما أنا فسأنزل فى الغرفة الصغيرة، وأقضى بها الليل.

استيقظنا مبكرًا فى الصباح للسفر إلى هرات، وبُهتنا. كنا قد أصبحنا فى منتصف مارس. نظرنا من النافذة، فوجدنا كل الأشجار والأرض مغطاة بالثلج. كانت قطع الثلج المبللة معلقة على الأشجار كالقطن، وكانت السحب الكثيفة تجرى منخفضة جدًا فوق الأرض. وبالرغم من أن كوشكا ليست مرتفعة جدًا، ولكن المكان جبلى. وبذلك فإن السماء مغطاة بسحب منخفضة رصاصية، وعلى الأرض كثبان ثلجية. ذهبنا إلى مطعم قيادة حرس الحدود، حيث تناولنا إفطارنا. وقد أخبرنا قائد سربنا الرائد- طيار إنه نظرًا للأحوال الجوية، فقد أُلغيت كل رحلات الطيران. وها نحن احتجزنا فى كوشكا. وكان علينا انتظار تحسن الجو. اتصلنا بموسكو، وأخطرناهم هناك، بأننا نجلس فى كوشكا، وطلبنا منهم إبلاغ كابول بذلك. جلسنا يومًا كاملاً، ولم يكن هناك ما يمكننا عمله. تجولنا قليلاً فى المدينة، وقد أرانا أفراد حرس الحدود بعض معالم المدينة، والصليب الشهير فى الجبل، وما عليه من توقيعات ضباط القيصر الذين كان يتم نفيهم إلى هنا. ثم جاء سكرتير لجنة حزب

المدينة، فتبادلنا الحديث. بقينا لليوم الثانى، حيث لم نكن نستطيع الطيران. وعرفنا، عن طريق اتصال هاتفى، أن الجو جيد فى كابول، فقلت:

– اسمعوا. فلنبحث عن مطار فى هذه المنطقة. فالعسكريون ينقلون دائمًا موادًا غذائية وملابس ومعدات، بل حتى الحطب، إلى أفغانستان بالطائرات.

بدأ العقيد المرافق لنا فى الاستعلام. وقال لنا فجأة إن طائرة نقل ستسافر من مطار مدينة "مارى" إلى كابول فى صباح اليوم التالى. ويبعد هذا المطار عنا بمسافة ٣٥٠-٣٧٠ كيلومترًا. ماذا نفعل؟ اتخذنا قرارًا بالسفر إلى مارى بسرعة بسيارة. أعطانا رئيس فصيلة حرس الحدود، التى كانت قيادتها تقع فى "تاختابازار"، سيارة فولجا. جلسنا فيها نحن الثلاثة، بينما بقيت المروحيتان فى منطقة كوشكا. وانطلقنا بعد الغذاء إلى مارى. لم يعد معنا قائد فصيلة حرس الحدود، فقد ذهب فى إجازة. ولكن فجأة شاهدنا سيارة فولجا سوداء تقف بجانب كثبان رملية عند تقاطع طرق فى الصحراء. اقتربنا منها، فتبين أن قائد الفصيلة قرر لقاءنا فى الصحراء ووداعنا. كان يحب الشمبانيا، فقال:

– هيا نشرب كأس شمبانيا.

فتح شنطة السيارة. كان بها أربع زجاجات شمبانيا. شربناها فى الصحراء المفتوحة، ثم استكملنا سيرنا. وصلنا إلى مارى متأخرين، فى حوالى الساعة ١٠ مساءً. أنزلونا فى منزل يطلق عليه "فندق" بكتيبة خيالة حرس الحدود. استقبلنا قائد كتيبة الخيالة، الرائد، وأوصلنا إلى الحجرة التى سوف نبيت بها الليلة. تبين أن هذه حجرة رواد الفضاء. فعندما كانوا يتدربون فى هذه المنطقة، وكانوا يتدربون على القفز بالمظلات، ويتدربون على عناصر الهبوط، كانوا ينزلون عند حرس الحدود. كان يوجد سرير واحد، نامت عليه تريشكوفا[٦]. وكانت توجد مرآتها الصغيرة على الكومودينو. بقينا فى هذه الحجرة.

---

(٦) رائدة الفضاء الأولى "فالنتينا تريشكوفا".

قدموا لنا وجبة عشاء، وأمضينا الليل. جاء الرائد إلينا فى الصباح، وأيقظنا. قال لنا إن الطائرة ستنطلق قريبًا، وإن علينا قطع ١٢-١٥ كيلومترًا إلى المطار. أكلنا بسرعة، وذهبنا إلى ما يُطلق عليه "مطار". لم يكن به ممر خرسانى للإقلاع وللهبوط. كانت توجد فقط صحراء منبسطة. اقتربنا بسيارة الفولجا. كانت الطائرة قد أدارت محركاتها، وكادت أن تتحرك لأخذ وضع الانطلاق. كانت الطائرة كبيرة من طراز "إيليوشن-٧٦". ولكن تمكنا من إيقافها فى الوقت المناسب. كانت معنا جوازات سفرنا الدبلوماسية، ولكن لم تكن هناك أية إجراءات. كان يوجد كشك فى الأرض، به نوبتجى المطار. ولم يكن هناك أى أحد آخر. صعدنا إلى القمرة الأمامية للطائرة عن طريق سلم. كانت فى الأساس مخصصة للطاقم، ولكن كان بها غرفة مدخل صغيرة. بعدها غرفة للبضائع. كما كانت مبعثرة بها بعض الأشياء، أردية مشمّعة تتحول إلى خيام...إلخ. طرنا على هذه الطائرة من مكان بعيد، من الحدود مع أفغانستان، أى حوالى ٤٠٠ كيلومتر. نظرنا إلى ما يحدث بقمرة البضائع. رأينا صناديق، مربوطة بوسائل ربط خاصة. دخل جندى اللاسلكى- الرامى إلى غرفتنا فسألناه:

- ماذا تحملون؟

أجاب: أشياء مختلفة، و ١٠ أطنان من المتفجرات.

بالطبع لم يرحنا ذلك أبدًا، أو يطمئننا. ولكن لم يكن بأيدينا شىء. هكذا طرنا على متن هذه الطائرة إلى كابول. وقد هبطت على الأرض بطريقة خشنة، ولكن بسلام. استقبلنا نائبى ف.تشوتشوكين. وصلنا إلى السفارة. وقد طارت مروحيتانا بعد ذلك محازية للحدود ووصلت إلى كابول بعد ٣ أيام. بالطبع لم يكن إيفانوف راضيًا عن أننا قد قمنا بهذه الرحلة. كان الشىء الجيد أن الأمور كانت مستتبة فى هرات، وأن يوم ١٤ مارس قد مر بأمان، حيث إننا لم نتمكن من الرجوع مرة أخرى إلى هرات.

استمر الوضع فى أفغانستان معقدًا. ولم يكن هناك أى إحساس بتحسن خاص. وكانت تُجرّ قواتنا المسلحة بشكل متزايد للمشاركة فى الأعمال الحربية. ذهبت عدة مرات إلى المارشال سوكولوف. عامة، كان يوجد هناك أيضًا الجنرال أخروميف، والذى كنا نتجاذب أطراف الحديث معه أيضًا. وقد نشأت بيننا علاقات حسنة. لم تكن علاقات عمل فقط، بل أيضًا شخصية.

كنت أحضر كل يوم إلى نجيب الله للعمل. كنا نتناقش فى المواضيع السياسية، وأيضًا الاستخباراتية. مرة أخرى كان علىّ أن أجد حلولاً لعدد من المشاكل التنظيمية نظرًا لظهور رئاسة جديدة. ولكن كانت علاقاتى بنجيب الله أيضًا جيدة. فلم تظهر أية مشاكل.

كنا قد أصبحنا فى أبريل، وكان أندروبوف مازال مريضًا، ولم يتم حل مشكلتى. وأخيرًا فى يوم ١٤ أبريل اتصل بى كريوتشكوف وقال:

- هل أفرحك، يا ليونيد بافلوفيتش؟

قلت: نعم. سيكون من المناسب الآن إفراحى؟

أكمل: يمكنك أن تسافر إلى موسكو. أين زوجتك؟

قلت: زوجتى الآن هنا، عندى.

- إذن سوف تعاونك على الاستعداد. يمكن أن تسافر.

أوضحت، أنه يبدو أنى سأتمكن من السفر بمجرد عودة إيفانوف من موسكو. قال كريوتشكوف:

- لا تربط سفرك بحضوره إلى كابول. يمكنك السفر.

لم أستمر فى الاستيضاح. وعندما انتهى الحديث، كنت أفكر كيف أطير، فقد سافرت طائرة الرحلة المنتظمة، وليس واضحًا متى سوف تجىء طائرتنا الخاصة. ولكن فى ذلك الوقت كان زئيس الإدارة الثالثة لكى.جى.بى. الاتحاد السوفييتى (مكافحة التجسس العسكرى) الجنرال "دوشين" موجودًا فى كابول. حضر إلىّ، وجلسنا نتبادل الحديث لمدة حوالى ساعتين عن الوضع وعمل إدارتنا لمكافحة التجسس العسكرى. وقد حضر جزءًا من الحديث نائبى لشئون مكافحة التجسس العسكرى الجنرال باجنيوك. ثم وجهت سؤالاً إلى دوشين عن الكيفية التى سيسافر بها إلى موسكو ومتى؟ كنا فى يوم الجمعة عندما تحدثت معه ومع كريوتشكوف. أجابنى:

معى طائرة. وسوف أسافر عن طريق طشقند إلى الاتحاد السوفييتى.

سألته: هل يمكن أن تأخذنى أنا وزوجتى معك؟ فقد سُمح لى بالسفر النهائى، بأمتعتى.

– لا توجد مشاكل. هيا نسافر معًا.

فرحت. كان قد بقى لى فعليًا يوما السبت والأحد، وكان يجب إنهاء بعض الأعمال. وبالإضافة إلى ذلك كان علىّ وداع الكثير من الزملاء والمعارف، بما فيهم المجموعة التى عملت معها. وبدأ عندى الجرى. اتصلت فى صباح اليوم التالى بالمارشال سوكولوف، وأخبرته بأنى سأطير يوم الإثنين. قال لى:

– هل قررت أن ترفّه عن نفسك هنا فى أفغانستان؟

أجبته: لا. إلى موسكو.

ل.سوكولوف: لمدة أسبوع؟

قلت: لا. سأطير نهائيًا.

قال فورًا كلمتين "بالروسية"، وأضاف:

- تعال إلىّ.

كنت أستعد للذهاب إليه، ولكن مساعده اتصل، وقال لى:

- لقد حضر إليه الآن وزير شئون الحدود. وقد طلب المارشال أن تحضر بعد حوالى أربعين دقيقة، لو كان ذلك مناسبًا لك.

ذهبت إلى سوكولوف. جلسنا حول منضدة صغيرة. كان أخروميف موجودًا. قال سوكولوف:

- كيف ستسافر؟ أنا ليس لى الحق... كنت الآن سأقوم...

قلت: نعم، يوجد عندك الحق، ياسيرجى ليونيدوفيتش. ولكن كان علىّ السفر منذ زمن طويل. ولم تكن موسكو تستطيع اتخاذ القرار، فأندروبوف لم يكن موجودًا. وأنت أيضًا، يجب عليك السفر للراحة، خاصة أن أعياد مايو(٧) على الأبواب.

قال: نعم. أتعرف. منذ ١٥ عامًا أقف فوق الضريح (٨). الآن سيكون هناك العرض العسكرى والمظاهرة، وسوف يظهر سؤال لدى الصحفيين: أين المارشال سوكولوف؟

قلت له: لقد فهمت التلميح، ياسيرجى ليونيدوفيتش.

ثم سأل أخروميف:

- وكيف ستسافر إلى موسكو؟

---

(٧) الأول من شهر مايو- عيد العمال، والتاسع من مايو- عيد النصر على الألمان.

(٨) ضريح "لنين" بالميدان الأحمر حيث تجرى احتفالات الأعياد، ويقف قادة البلد فى منصة فوق الضريح يحيون الجماهير.

قلت له إن الجنرال دوشين سيطير يوم الإثنين إلى الاتحاد السوفييتى، وإننا قد اتفقنا على أن أطير معه. أوضح أخروميف:

– نعم، فقد أعطيناه طائرة إلى طشقند، ولكن بما أنك ستطير، سأعطى أمرًا، الآن، لكى تمتد الرحلة إلى "تشكالوفسكى"[٩]، بحيث يتم استقبالك هناك، ياليونيد بافلوفيتش.

هكذا ودعت سوكولوف أخروميف. ثم جمعت مجموعتى. كما نظم حرس الحدود لسبب ما لقاء وداع آخر منفصل. ثم كان علىَّ وداع الأفغان. ذهبت فى يوم السبت إلى أسد الله سارفارى. كان فى ذلك الوقت سكرتيرًا ثانيًا للّجنة المركزية لحزب الشعب الديموقراطى الأفغانى، ونائبًا لرئيس الوزراء. قلت له إننى سأسافر، فجاء رد فعله فورًا:

– لا. يجب على الأقل أن ننظم غداء. نرجوكم. فلنجلس على الأقل بعض الوقت معًا إلى المائدة.

اتفقنا على أن أحضر إلى الغداء فى الساعة الثانية نهارًا. وقد جاء إليه أسد الله سارفارى وفاتاندجار. جلسنا، وتبادلنا الحديث. وقدموا لى هدية تذكارية صغيرة. ثم ودعنا بعضنا البعض. ولكنى كنت قد ذهبت فى الصباح إلى نجيب الله أيضًا، وأخبرته بسفرى. كان ذلك مفاجئًا له. قلت:

– لا. لقد بقيت هنا طويلاً. يجب أن أذهب.

فقال: إذن فلنجتمع عندى.

أجبته: سارفارى قد سبق بأن دعانى على الغداء.

– إذن تعال إلى شقتى مع زوجتك فى السادسة مساءً. وأحضر أيضًا معك من تريد من نوابك.

---

(٩) مطار عسكرى بضواحى موسكو.

اضطررت إلى الانصراف من الغذاء عند سارفارى لأدخل الفناء، ثم أجلس فى السيارة مع زوجتى وتشوتشوكين وفلاسوف لنذهب إلى نجيب الله. كانت شقته مكونة من أربع حجرات فى حى سكنى. تناولنا هناك العشاء. وقد شاركت فيه كل عائلة نجيب الله. ولم يمر ذلك بدون تقديم الهدايا التذكارية. كان ذلك آخر لقاء لى مع نجيب الله. وبعد ذلك، جمعت فى شقتى أقرب مساعدىّ، ونوابى، ورؤساء الأقسام، وخبراء الشفرة، والسائقين وبعض موظفى مجموعة الاستخبارات المقيمة. اتفقت مع رئيس المجموعة الاقتصادية على أن يمر فى الصباح لأخذ الأمتعة وشحنها فى الطائرة، بينما أذهب أنا وزوجتى بعد ذلك بقليل. ذهبت فى يوم الأحد إلى السفير تابييف. ودعنا بعضنا بحرارة. وقد سلمنى شهادة تقديرية لعملى النشط باسم السفير وسكرتير نقابة المنظمة النقابية بالسفارة.

فى يوم الأحد، وأنا موجود فى المدينة، ذهبت إلى محل صغير بوسط كابول. وقد وجدنى نائبى ف.فيليبوف هناك وقال لى:

– ليونيد بافلوفيتش، يطلب منك بابراك كارمال سرعة الذهاب إليه.

ذهبت مع مترجم إلى القصر. استقبلنى فى مكتب صغير. بدأ يسألنى كيف يحدث ذلك، ولماذا أسافر؟

رويت لبابراك كارمال مبررات سفرى. أحضروا لنا شايًا. أبدى بابراك كارمال أسفه على سفرى، ثم اعتذر لأنه لم تُعدّ لى هدية. قلت إننى لست فى حاجة إلى أية هدايا، وإن كل شىء على ما يرام. أعلن بعد ذلك أنه إذا كانت توجد عندى أية نصائح لكافة الموضوعات، فهو على استعداد للاستماع لها. قلت إننى الآن فى حالة يصعب فيها التركيز، وإنه من المستبعد أن يحصل منى الآن على أى شىء مفيد. فقال:

– ولكن عند وصولك إلى موسكو، فإذا وجدت هناك إمكانية ورغبة، فاكتب لى. وسوف أستفيد بالتأكيد من هذه النصائح التى يمكن أن تقدمها.

استمر تبادل الحديث حوالى ٣٠ دقيقة، ودعنا بعضنا بحرارة. كانت هذه أهم اللحظات المتعلقة بالوداع، والتى كانت فى خلال يومين. أتذكر بأنه عندما كانت عندى خطط للسفر بعد انتهاء مهمات أخرى، فقد استمر الوداع أكثر من يوم، بل أكثر من أسبوع واحد، حيث كان يجب زيارة من قد تكونت معه علاقات فى خلال عدة سنوات فى البلد التى أقيم بها. أنا لم أتحدث عن أنه كان يجب نقل مسئولية مجموعة عملاء الاستخبارات إلى عاملين آخرين فى الاستخبارات. أما هنا فلم تكن هناك حاجة لنقل المسئولية عن مجموعة الاستخبارات، لذلك فقد تم كل شىء بسرعة.

ذهبت فى الصباح أنا وزوجتى إلى المطار، حيث كانت تقف طائرة "تى.يو-١٣٤". حضر دوشين، وكذلك بعض رجال الممثلية. ودعنا بعضنا البعض. انطلقت الطائرة واتجهت أخيرًا إلى طشقند. توقفنا بطشقند عدة ساعات ذهب دوشين إلى أركان حرب المنطقة لأعمال ما، أما أنا وزوجتى فقد توجهنا إلى المدينة، إلى صديقة قديمة لها وُلدت وعملت بطشقند بالمستشفى العسكرى. كنت أنا نفسى قد ولدت بطشقند فى عائلة ضابط حرس حدود. عشنا قرب الحدود، ثم نُقل والدَىّ إلى المدينة. كما أن والدَى زوجتى عاشا فى طشقند، ولكنهما هما أيضًا عملا قبل ذلك فى الخارج. كان والدَىّ ووالديها يعرفون بعضهم جيدًا، وكانت العائلتان مرتبطتين بصداقة. وقد تركت عائلتنا طشقند أولاً، ثم غادرت عائلة زوجتى هذه المدينة بعد ذلك، قبل الحرب الوطنية العظمى. وقد بقى هناك صديقات ومعارف. لذلك فقد ذهبنا لزيارة إحدى الصديقات. تقابلنا، ثم عدنا إلى المطار. كانت توجد دقيقة مؤلمة بالمطار- وصلت "جروز-٢٠٠" (الشحنة ٢٠٠ كما كانت تسمى)[١٠]، ومرت بجانب طائرتنا فى ذلك المكان الذى كنا ننتظر فيه دوشين.

---

(١٠) توابيت بها قتلى الحرب من الجنود والضباط.

هبطنا فى المساء بمطار "تشكالوفسكى". وكانت تنتظرنى هناك سيارة. واستقبلنى أحد موظفى الإدارة من الزملاء. وصلت متأخرًا فى المساء إلى منزلى. وبذلك انتهت مهمتى فى يوم ١٦٠ أبريل عام ١٩٨٠.

وقد ذهبت فى اليوم التالى إلى عملى بياسينيفو، وذهبت إلى كريوتشكوف. قال لى:

- اتصل بأندروبوف، وقدم نفسك بمناسبة عودتك من المهمة.

ذهبت إلى مكتب رئيس القسم، واتصلت بأندروبوف عن طريق مركز اتصالات الكرملين. رفع السماعة، فقلت إننى أقدم نفسى بمناسبة عودتى من مهمة طويلة الأجل، وأضفت هنا:

- يورى فلاديميروفيتش، اسمح لى بالتعبير عن امتنانى لك على اهتمامك وحرصك، اللذين أبديتهما نحو مجموعتنا بأفغانستان ونحوى شخصيًا.

قال أندروبوف بعد ذلك:

- استرح الآن. وسوف يقول لك فلاديمير ألكسندروفيتش كريوتشكوف كل شىء عن عملك التالى.

وبذلك فقد تم وضع نقطة النهاية فى ملحمتى الأفغانية.

بدلاً من الخاتمة

أريد التوقف عند بعض الموضوعات، التى يمكن الاختلاف عليها حتى اليوم، أو التى تعالج بصور مختلفة:

١- ما الذى حدث فى أفغانستان، في يوم ٢٧ أبريل ١٩٧٨- ثورة أم انقلابًا؟

أطلق قائد حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى اسم "ثورة ساؤور(أبريل)" على هذا الحدث. وقد تم بعد ذلك تكرار هذا المسمى فى وسائل إعلام الكثير من الدول، ومنها الاتحاد السوفييتى.

وفى الحقيقة، لم يحدث موقف ثورى فى المفهوم الماركسى- اللينينى فى أفغانستان فى ذلك الوقت. وقد قامت عدة ظروف سمحت لرئاسة حزب الشعب الديموقراطى بتنظيم انقلاب استخدمت فيه إمكانياتها فى الدوائر العسكرية فى البلد.

لا أذكر أنه قد تم تصنيف أحداث أبريل "كثورة" فى أى من المواد المعلوماتية الاستخبارية. بل أن رئاسات القسم الدولى للّجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى، قد اتبعت نفس الفكر.

أتذكر جيدًا الحديث الذى دار فى ٦ يناير ١٩٨٠ مع نائب رئيس القسم الدولى باللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى ر.أ.أوليانوفسكى. بدأت الحديث بقول أن ٢٧ أبريل لم يكن ثورة، ولكن انقلابًا. لم يوافق أوليانوفسكى فقط على ذلك، بل إنه أعلن أن "الماركسية اللينينية لا تنفى إمكانية وصول الحزب إلى الحكم بهذه الطريقة". لذلك لا أرى موضوعًا للخلاف فيما يخص تقييم أحداث تلك الفترة.

٢- بعد وصول م.س.جورباتشوف إلى رئاسة الاتحاد السوفييتى، ظهر سؤال فى بعض دوائر مجتمعنا يقول: ألم يكن هناك ضغط أو دفع من جانب

الرفاق السوفييت موجّهًا لقادة حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى بهدف تأزيم الوضع فى هذا البلد وتنظيم انقلاب؟

دعانى الأكاديمى "ج.أرباتوف"[1] – الرئيس السابق لمعهد الولايات المتحدة الأمريكية وكندا الأكاديمى– فى صيف ١٩٨٥ لزيارة المعهد. وفى خلال الحديث ألقى علىّ هو بالذات سؤالاً مماثلاً. وفى نهاية اللقاء، أشار أرباتوف أنه من الممكن أن م.س.جورباتشوف أو أ.ن. ياكوفليف يرغبان فى الحديث معى فى هذا الموضوع. ولكن، بالطبع لم يقابلنى أى منهم، ولكنى كنت أعرف الإجابة على هذا السؤال.

كان للاتحاد السوفييتى علاقات تقليدية جيدة مع أفغانستان، بما فيها أعوام حكم الملك "ظاهر شاه" وحتى "داود". وقد تمت إقامة علاقات مع رؤساء حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى والمحافظة عليها عن طريق القسم الدولى للّجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى. ولكن كانت حذرة. نظرًا لأن بعض المواضيع كانت تتحقق عن طريق مجموعة الاستخبارات المقيمة، فإنى أعرف أننا لم ندع أبدًا أصدقاءنا الأفغان إلى أعمال حاسمة. بل إذا أمكن أن نقول كذلك، فقد كان يتم إقناعهم بالبعد عن الأعمال الحاسمة والمتهورة. أرجو أن أعود بهذا الخصوص إلى اللقاء والحديث مع تاراكى فى يوم ٤ أغسطس ١٩٧٨. فعندما قدمنى كريوتشكوف لرئيس حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى، وأشار إلى أننى أمضيت السنوات الأخيرة فى إيران، فإن تاراكى قال لى ما يلى، حرفيًا:

"نحن سعداء بأنك جئتَ إلينا فى أفغانستان. أنا أعرف دبلوماسيتكم الهادئة. ولكننا هنا عملنا أحسن، فقمنا بثورة. ولكن أنتم (الرفاق السوفييت–.ل.ب.) كنتم تثنوننا عن ذلك".

---

(١) عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى فى ذلك الوقت.

وبذلك، فإن الاتحاد السوفييتى لم يضغط أبدًا على قيادة حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى بخصوص الأعمال الثورية.

٣- هل كانت الاستخبارات السوفييتية تعرف مسبقًا عن الأحداث المرتقبة فى أبريل بأفغانستان؟

بالطبع لا. كان لا يمكن أن تعرف للأسباب التالية: فلم تكن هناك فى أفغانستان حتى آخر لحظات أية دلائل واضحة لوضع ثورة كلاسيكية. وكما أشير من قبل، فإن الجانب السوفييتى قد أثنى الأصدقاء الأفغان عن أية أعمال حاسمة، ولم يعترض على ذلك رؤساء حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى. كانت لمجموعة الاستخبارات المقيمة مواقف استخبارية قوية فى مختلف طبقات المجتمع، وإذا كانت قد اتُخذت أية خطوات فى السر بالنسبة للرفاق السوفييت، فإنها ستكون بالتأكيد معروفة لمجموعة استخباراتنا المقيمة.

كيف تطورت الأحداث فى شوارع كابول فى يوم ٢٦ و٢٧ أبريل ١٩٧٨؟ ذلك منعكس بالتفصيل فى الكثير من الأعمال المنشورة. ولن أتوقف عند ذلك.

علمت مجموعة الاستخبارات المقيمة بالقرار المبدئى للّجنة المركزية لحزب الشعب الأفغانى فى مساء يوم ٢٦أبريل ١٩٧٨. أى فورًا، بعد مناقشة هذا الموضوع. كما أصبح معروفًا، أن فى ليلة ٢٦-٢٧ أبريل سيُعقد اجتماع ثان لرئاسة حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى حول تنظيم انقلاب، وأنه سيتم اتخاذ القرار النهائى فى صباح ٢٧ أبريل. وقد أخطرت مجموعة الاستخبارات المقيمة موسكو فورًا عن ذلك.

وقد حصلت مجموعة الاستخبارات المقيمة مبكرًا فى صباح يوم ٢٧ أبريل على إخبارية بخصوص القرار النهائى للّجنة المركزية لحزب الشعب الأفغانى ببدء العمل التنفيذى لقلب نظام داود. وقد أرسلت برقية بذلك إلى موسكو.

كانت الأحداث مندفعة وسريعة لدرجة أن موسكو لم تلحق فى التفاعل مع تطورها.

وبعد الاستيلاء على قصر الملك وتصفية داود، توجه نور محمد تاراكى إلى السفارة طلبًا للمشورة عما يمكن إعلانه عن طريق الإذاعة: هل هم استولوا على الحكم باسم الحزب، أم باسم الشعب.

وقد تأخر رد موسكو.

وبذلك، نظرًا لعدم وجود خطط مسبقة أو مناقشتها، فبالطبع، لم تكن مجموعة الاستخبارات المقيمة قادرة على معرفة وجودها قبل يوم أو اثنين. وهذا يعنى أن موسكو لم تكن تعرف ذلك مسبقًا.

٤- إدخال وحدات عسكرية محدودة العدد من الجيش السوفييتى إلى أفغانستان.

يوجد الكثير مما كُتب عن كيفية اتخاذ هذا القرار. كما توجد تقييمات مختلفة له، وتوجد افتراضات كثيرة...إلخ. ما الذى أعرفه عن هذا الموضوع، وكيف أراه من جانبى؟

أولاً، فإن ممثلية كى.جى.بى. الاتحاد السوفييتى لدى أجهزة الأمن بجمهورية أفغانستان الديموقراطية ليست لها أية علاقة باتخاذ القرار الخاص بهذا الموضوع. فلم يتوجه نور محمد تاراكى أو حفيظ الله أمين أو أى أحد آخر من رئاسة أفغانستان إلىّ شخصيًا أو إلى أى من العاملين الآخرين بالممثلية بمثل هذا الطلب. بل أكثر من ذلك، أننى لم أحضر أبدًا أية مناقشة لهذا الموضوع مع الأفغان أو مع أى طرف آخر. لذلك لم يكن من الممكن أن يكون هناك أية معلومات بخصوص إدخال الجيش السوفييتى عن طريق كى.جى.بى. الاتحاد السوفييتى.

اعتبارًا من يوم ١٤ مارس ١٩٧٩، كانت كل الأحاديث والمباحثات والمكاتبات، حول هذه القضية، تتم عن طريق كبير المستشارين العسكريين ل.ن.جوريلوف والسفير أ.م.بوزانوف. وأنا لا أستبعد أن يكون الجنرال ب.س.إيفانوف قد شارك أيضًا فى الأحاديث مع الأفغان بخصوص هذا الموضوع. ولكن إيفانوف ليس من بين العاملين فى الممثلية، وكان من حقه ألا يعلمنى بكل المواضيع.

كما لم يتم إخطارى رسميًا بقرار وتواريخ عبور قواتنا للحدود. لذلك فإن إعلان الكثير من المؤلفين أن ممثلية الكى.جى.بى. هى تقريبًا سبب قرار دخول القوات السوفييتية إلى جمهورية أفغانستان الديموقراطية، وهى مجرد ادعاءات ولا تمثل الحقيقة.

وتوجد ثلاثة اختيارات للتقييم السياسى لإدخال قوات محدودة العدد من جيشنا على أرض أفغاستان:

أ- أن ذلك كان احتلالاً لبلد مجاورة.

ب- أن هذا كان عملاً لإقرار السلام بدرجة ما.

ج- أن الجيش السوفييتى أدى واجبًا أمميًا.

أنا أعلم بثقة أن إدخال القوات المسلحة قد تم بناءً على طلب متكرر من نور محمد تاراكى، وأنه بعد تصفيته تابع حفيظ الله أمين هذا الخط.

ولم يقف أحد من حكومة جمهورية أفغانستان الديموقراطية أو من اللجنة المركزية لحزب الشعب الديموقراطى الأفغانى ضد دخول القوات السوفييتية.

ومنذ ديسمبر ١٩٧٨ توجد اتفاقية صداقة وتعاون مشترك بين الاتحاد السوفييتى وجمهورية أفغانستان الديموقراطية.

وبذلك فقد دخلت القوات المسلحة السوفييتية بناءً على طلب السلطة الشرعية بأفغانستان وطبقًا للمعايير القانونية المسجلة فى الاتفاقية بين الجانبين. لذلك فإنه لا يمكن وصف أعمال جيشنا بأنها احتلال لأرض دولة مستقلة.

وقد أسهم التأخير فى الاتفاق على نص البيان الذى كان يجب أن يلقيه حفيظ الله أمين عبر التليفزيون فى ٢٥ ديسمبر ١٩٧٩ فى هذا التشويش.

هل كان ذلك عملاً لإقرار السلام؟ بالطبع لا. فمن ناحية، فإن تدخلات الاتحاد السوفييتى كانت كأنها لإقرار السلام فى أفغانستان. ولكن يُفترض أن يكون للقوى التى تعمل على إقرار السلام أن تكون لها علاقة محايدة بالجانبين المتصارعين واجتياز أى أعمال مواجهة مع أى من الجانبين. . ولكن كان الجيش السوفييتى منحازًا تمامًا للنظام الجديد فى أثناء الحرب الأهلية الجارية. ولذلك، بالطبع، لا يمكن وصف دخول وحدات قواتنا المسلحة إلى جمهورية أفغانستان الديموقراطية بأى حال من الأحوال كعمل كلاسيكى لإقرار السلام.

هل كانت قواتنا المسلحة تؤدى واجبًا أمميًا؟ بشكل ما واضح، نعم.

يقول البعض: لماذا كان علينا تأييد نظام قام فى أبريل ١٩٧٨، بالرغم من أن علاقاتنا مع أفغانستان كانت جيدة قبل ذلك؟ ويظهر سؤال آخر: وهل كانت علاقاتنا بالنظام الجديد بجمهورية أفغانستان الديموقراطية أسوأ؟ بالطبع لا. أكثر من ذلك، الاتحاد السوفييتى تحت قيادة الحزب الشيوعى السوفييتى الذى يلعب دورًا رائدًا قد وجد شريكًا يُعتمد عليه فى شخص رؤساء حزب الشعب الديموقراطى الأفغانى. وهنا يتمثل عنصر الأممية لعلاقاتنا مع أفغانستان الجديدة.

ولكن الجيش السوفييتى لم يؤد فقط واجبًا أمميًا، فقد كانت الفكرة أنه كان يجب أن يقوّى وضع استراتيجيتنا العسكرية فى هذه المنطقة. كان ذلك بالطبع يتمشى مع مصالح سياستنا الخارجية فى ظل ظروف الحرب الباردة الصارمة.

٥- هل كان دخول قواتنا المسلحة يمثل خطأ؟ وإذا كانت الإجابة نعم، ففيم يتمثل الخطأ؟

هل كانت الحملة الأفغانية تمثل هزيمة للجيش السوفييتى؟ من الواضح بالنسبة لى، أنه لم تحدث أية هزيمة لجيشنا فى جمهورية أفغانستان الديموقراطية. ولكن يمكن أن نقول تجاوزًا إنه عانى من عدم التوفيق. وكان عدم التوفيق ناتجًا من أنه قد وُضع هدف أمام الجيش، وأنه لم يتمكن من تحقيقه.

فلنتذكر: طبقًا للقادة العسكريين السوفييت، فقد كان الهدف المكلفة به القوات المسلحة هو أن تكوّن حامية فى أهم مناطق البلد، وأن توفر بوجودها استقرار النظام الجديد. وطبقًا لما يقوله المارشال س.ل.سوكولوف فى أمر دخول القوات، لم تجئ حتى إمكانية إطلاق النيران.

وقد أصبح هذا الهدف غير واقعى فى ظل تعاظم الحرب الأهلية. نعم، كما أنه يجب على الجيش أن ينشغل بالاستعداد للحرب، بما فيه إطلاق النيران فى ظل أى وضع، والتدريب.

ثم نظرًا للتطور السلبى للأحداث، فإن الهدف قد تحول إلى "المشاركة الكاملة فى الحرب مع المتمردين ومختلف العصابات التى تكونت".

هنا يتمثل الخطأ. فلنتصور أن جيشنا قد حقق الهدف وعاد إلى أرضه. كان الجميع على الأرجح، ماعدا الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاءها، سيتقبلون عمل الاتحاد السوفييتى بهدوء نسبى.

ولكن لا يوجد أى جيش نظامى، حتى الجيش السوفييتى، يستطيع أن يحل جذريًا مشكلة حركة عاصية أو منطقة متمردة. وكانت توجد أمثلة كثيرة على ذلك فى القرن العشرين. فيكفى أن نتذكر فشل الجيش الأبيض فى حربه مع الحرس الأحمر بعد ثورة عام ١٩١٧ وضد حركة الأنصار فى سيبيريا وفى الشرق الأقصى فى العشرينيات، وعدم قدرة الجيش الألمانى على القضاء على حركة

الأنصار فى الأرض المحتلة فى سنوات الحرب الوطنية العظمى، وفشل الجيش الأمريكى فى فييتنام، والأحداث الأخيرة فى العراق، وأعمال القوات المسلحة الروسية فى الشيشان، أى حتى على أرض نفس دولته.

لذلك فإن الخطأ الأساسى لقادتنا السياسيين والعسكريين يتمثل فى أنه قد وُضع أمام الجيش هدف لا يمكن تحقيقه. وبالطبع، كان لا يجب إدخال الجيش إلى أفغانستان بهذا الهدف، حيث إن أعماله كان محكومًا عليها سلفًا بالفشل. من الذى كان يجب أن يقول ذلك؟ من المشكوك فيه أن المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفييتى كان يعرف جيدًا وتفصيليًا الوضع فى أفغانستان. وقد سبق أن قدمت مثالاً عندما أصدر المارشال أوستينوف، فى الهاتف، فى يوم ١٤ مارس ١٩٧٩، لكبير المستشارين العسكريين جوريلوف أمرًا لا يمكن تنفيذه: "جندوا وسلحوا الطبقة العاملة فى أفغانستان". ورد عليه جوريلوف: "تمام!" ويبدو أن أوستينوف كان واثقًا أن جوريلوف سينفذ أمر وزير الدفاع. أما ل.ن. جوريلوف فلم يفكر حتى فى تنفيذ أمر وزير الدفاع، لأن ذلك كان مستحيلاً نظرًا لعدم وجود مثل هذه الطبقة.

لا أريد أن أتهم أحدًا. ولكن يبدو أنه كان على أحد الأشخاص، من بين دوائرنا العسكرية، أن يكون أكثر إصرارًا وأن يثبت، بطريقة أكثر إقناعًا، أنه لا يمكن لجيش نظامى أن يحل مشكلة المتمردين فى أفغانستان.

وبالإضافة إلى ذلك، فبعد وقت محدد، أصبح من الواضح للجميع أن هناك خطأ فى الحساب، وأنه يجب البحث عن مخرج من الوضع القائم. ولكنى متفهم لأنه كان من الصعب عمل ذلك بعد أن انزلقت كل قواتنا المسلحة فى المشاركة فى الأعمال الحربية اليومية فى كل مكان.

كما توجد ملحوظتان قصيرتان.

يقدم بعض المؤلفين فى أعمالهم فكرًا يقود إلى أن الحرب الأهلية بدأت فى أفغانستان بعد دخول القوات السوفييتية إلى هذا البلد. كما يدّعون أن إقدام الاتحاد السوفييتى على ذلك هو الذى حفز بداية هذه الحرب. وهذا ليس صحيحًا من أساسه. فقد كنت شاهدًا على أن بداية الحرب المدنية كانت تتمثل فى الأحداث التى وقعت فى هرات فى يوم ١٤ مارس ١٩٧٩. وبعد ظهور القوات المسلحة السوفييتية فى جمهورية أفغانستان الديموقراطية، زادت العمليات الحربية. كان ذلك بسبب الزيادة الكبيرة فى نشاط باكستان، وتزايد دعم الولايات المتحدة الأمريكية وبعض الدول الأخرى.

كما أن بعض العسكريين يشيرون إلى يوم ٢٧ ديسمبر، كيوم دخول وحدات القوات المسلحة السوفييتية فى جمهورية أفغانستان الديموقراطية. وهذا يبدو، على أية حال، غريبًا. فدوائرنا العسكرية تعرف جيدًا أنه بناءً على أمر وزير دفاع الاتحاد السوفييتى، فقد تم التخطيط لعبور وحدات الجيش السوفييتى للحدود، وتم تنفيذه، فى الساعة ١٥:٠٠ (طبقًا للتوقيت بموسكو) فى يوم ٢٥ ديسمبر عام ١٩٧٩. وفى نفس هذا اليوم بدأت الفرقة ١٠٣ مظلات فى تنفيذ عملية إنزال بمطار كابول.

وبذلك فإن يوم بدء دخول القوات المسلحة السوفييتية فى أرض أفغانسان ليس ٢٧ ولكنه ٢٥ ديسمبر ١٩٧٩.

بضع كلمات أخرى

فى خلال عملى بالاستخبارات فى الخارج، سافرت خمس مرات فى مهمات طويلة الأجل (لعدة سنوات) إلى الخارج، ولم أرسَل أبدًا إلى نفس البلد مرتين وحسب علمى، لا يقابل ذلك كثيرًا فى ممارسة عمل الاستخبارات. ومن ناحية، فإنه يبدو أن لهذا النظام جانبًا سلبيًا، لأن الإنسان يُحرم من تعميق معرفته ببلد محدد. ومن ناحية أخرى، فإن تغيير المنطقة يوفر إمكانية توسيع أفق الرؤية السياسية والاقتصادية والاستخباراتية والجغرافية ومعرفة البلد. فإذا عاش رجل الاستخبارات وعمل مدة طويلة فى نفس البلد، وهذا يكون عمليًا فى مدينة واحدة، فرغمًا عنه يؤدى رتابة الوضع تدريجيًا إلى تراكم التعب، وفقد رهافة تقبل ما يحيط به وبشكل ما إلى إضعاف اليقظة. ولا يقلل ذلك فقط معدل وكفاءة العمل، ولكنه يصبح خطرًا.

ويبدو أنه ليس من قبيل الصدفة، أن أحد أقطاب الدبلوماسية الأجنبية، وهو "هنرى كيسينجر"، قد اتبع قاعدة، فى وقته - إرسال الدبلوماسى الأمريكى للعمل فى سفارة لمدة عامين فقط، يُنقل بعدها إلى دولة أخرى، وهو يعرف مسبقًا التعيين المرتقَب.

تلخصت سمة عملى فى الخارج أيضًا فى أنه فى أول ثلاث مهمات، عملت أولاً كموظف، ثم فى مناصب قيادية بمجموعة استخباراتنا المقيمة بالخارج، وفى أثناء المهمتين الأخيرتين بالخارج فى مناصب قيادية بممثلية كى.جى.بى. الاتحاد السوفييتى بأجهزة أمن أفغانستان وجمهورية ألمانيا الديموقراطية.

لن أتوقف للحديث بالتفصيل عن خصائص كل من هذه الاتجاهات، ولكنى أقول، إنه قد أعجبنى أكثر وأسعدنى العمل فى مجموعات الاستخبارات المقيمة. كان أكثر ما يستهوينى ويسرنى عامة، من بين مختلف المهمات التى تُكلَّف بها

مجموعات الاستخبارات المقيمة، هو جذب من يمتلكون إمكانيات للتجسس (تجنيد العملاء) للتعاون معنا، والعمل مع العملاء الموجودين، الذين قُدموا لى ليكونوا على اتصال معى، وتنظيم وتنفيذ العمليات المفيدة لبلدنا، وتخطيط وتنفيذ العمليات لتحييد نشاط المخابرات المحلية مع رجالنا ومع المواطنين السوفييت عامة. بالطبع كان علىّ أن أنشغل تمامًا بالأعمال الإعلامية، كأحد أهم مهام التجسس، ولكن لم تستهونى تمامًا تقنية تجهيز المواد الإعلامية.

أما ما يخص العمل مع ممثليات كى.جى.بى. الاتحاد السوفييتى، فكانت سمتها مختلفة من حيث المبدأ. بالطبع فإن المهمات كانت متماثلة فى بعض الدول التى توجد بها ممثليات، ولكن كانت توجد أيضًا مشاكل متميزة تمامًا من حيث طبيعتها.

وبصفة خاصة، فقد كانت المهمة الرئيسية فى أفغانستان فى المرحلة الأولى (١٩٧٨-١٩٧٩) هى تقديم المساعدة للنظام الجديد لإنشاء أجهزة أمن البلد وتنظيم عملها.

وكانت مجموعة الاستخبارات المقيمة هى التى تعمل فى مجال المعلومات.

ولكن لم تستطع كوادر رجالنا العاملين فى التجسس من البقاء بعيدًا عن العمل النشط مع الأفراد من أجل إقامة علاقات من الثقة يُعتمَد عليها، وأن يحصلوا، من خلال ذلك، على معلومات سرية أو أن يؤثروا بشكل مفيد لنا.

وقد زودت الممثلية تدريجيًا القدرات المعلوماتية. أصبحت قرب منتصف عام ١٩٧٩ لا تقل عن مجموعة الاستخبارات المقيمة فى هذا المجال.

أتذكر أن فى نهاية أبريل ١٩٨٠، أى بعد عودتى إلى موسكو، أن كريوتشكوف قد كرر فى مرتين بالاجتماعات أن "الاستخبارات لم تحصل منذ زمن على معلومات واضحة وموثوق بها عن وضع القوى السياسية فى رئاسة البلد، كما كان يحدث فى أفغانستان" فى خلال تلك الفترة.

أريد أن أشير إلى أنه قد تم إنشاء الممثلية من رجال مختلف إدارات الجهاز المركزى لكى.جى.بى. الاتحاد السوفييتى، ومن رجال لجان أمن الدولة بمختلف جمهوريات الاتحاد السوفييتى. وكما يخيل لى، وبغض النظر عن التغيير المستمر فى الكوادر، فقد نجحنا فى تكوين مجموعة متآلفة قادرة على العمل وعلى تحمل المسئولية. وأنا لا أتذكر أية حالة لم يقم فيها أحد رجال الممثلية بتنفيذ التكليف الذى أُعطى له، أو خالف فيها الانضباط العسكرى. وعلى مدى الفترة كلها التى عملت بها فى أفغانستان، بما فيها أحداث ديسمبر ١٩٧٩، فقدنا شخصًا واحدًا، فى صيف عام ١٩٧٩، هو "جوك" من حرس الحدود.

وأنا ممتن بعمق لكل رفاق الكفاح الذين كان علىّ المرور معهم من خلال صندوق عجائب الأحداث الأفغانية.

يجب علىّ أن أقول، وأنا أدير الصفحة الأخيرة من هذه "الكراسة"، إنه فى الحياة العملية لم تكن توجد أية كراسة على هيئة كتابات. فعندما كنت أعمل فى الخارج فى مجموعات الاستخبارات المقيمة وفى ممثليات كى.جى.بى. الاتحاد السوفييتى، لم أكن أكتب أية مذكرات يومية، ولم أدون أية مذكرات شخصية أو ملحوظات. وإذا لم أكن مشغولاً فى مكتبى بمستند رسمى، فكل ما كان يمكن رؤيته على مكتبى هو منفضة سجائر وعلبة سجائر وولاعة.

لا تدّعى شهادتى هذه أنها جولة تاريخية أو دراسة علمية. وقد حاولت فيها عرض الوقائع والمشاهد الأكثر تمييزًا لأفغانستان فى ذلك الوقت، أو تلك التى أثرت على مسار الأحداث فى هذا البلد. وبالطبع لم أتمكن من عكس صورة كل ماحدث اعتمادًا على الذاكرة، فقد تم تفويت الكثير. وبعد الانتهاء من هذه "الكراسة" تذكرت الكثير من المشاهد الجديدة التى لم تتضمنها هذه الشهادة. وأنا أضمن تمامًا صحة الوقائع التى سردتها. ولكن من الممكن أن توجد أخطاء قليلة فى بعض الأرقام، المتعلقة بتواريخ محددة ليس لها أهمية من حيث المبدأ.

المؤلف فى سطور:

ليونيد بجدانوف

- لواء بلجنة أمن الدولة (الكى.جى.بى.)
- خدم فى التجسس الخارجى.
- بدأ حياته العملية عاملاً بمصنع الطائرات رقم ٨٩ بموسكو فى عام ١٩٤٢.
- تطوع فى فبراير عام ١٩٤٣ بمدرسة عمال اللاسلكى ذوى التكليفات الخاصة (الاستخبارية- التجسسية)، التابعة للجنة أمن الدولة بالاتحاد السوفييتى.
- وفى نفس العام، فى عمر ١٦ سنة، نفذ أول عملية كعامل لاسلكى لمجموعة استخبارات.
- درس فى الفترة من عام ١٩٤٤ إلى عام ١٩٤٦ بالمعهد العسكرى بقموميسيرية وزارة الداخلية بمدينة "كاتايسي".
- ثم خدم فى قوات حرس الحدود.
- ثم التحق مرة أخرى بالمعهد العسكرى لوزارة الداخلية، ثم خدم مرة أخرى على الحدود.
- تخرج فى الأكاديمية الحربية- الدبلوماسية فى عام ١٩٥٩، والتحق بالعمل فى الإدارة العامة الأولى بالكى.جى.بى. (التجسس الخارجى).
- سافر إلى الخارج كأحد العاملين بمجموعة الاستخبارات المقيمة، ثم أصبح نائبًا لرئيس مجموعة الاستخبارات المقيمة فى الهند ضمن مجموعة التجسس السياسى.
- ثم أصبح رئيسًا لمجموعة الاستخبارات المقيمة بإندونيسيا، ثم بإيران.

- قامت رئاسة كى.جى.بى. الاتحاد السوفييتى بإرساله فى أغسطس عام ١٩٧٨ إلى جمهورية أفغانستان الديموقراطية، حيث عمل لمدة عامين.
- بعد عودته من أفغانستان، أُرسل فى مهمة إلى جمهورية ألمانيا الديموقراطية، ثم عمل بالإدارة المركزية لحرس الحدود.
- تقاعد فى عام ١٩٩٣.

المترجم فى سطور:

أ.د.على فهمى عبد السلام

- أستاذ جامعى ورئيس قسم هندسة التعدين والفلزات - معهد التبين للدراسات المعدنية.
- من مواليد الإسكندرية عام ١٩٤٧.
- حصل على الدكتوراة فى الهندسة بمعهد موسكو للصلب والسبائك عام ١٩٨٠.
- يجيد اللغات الروسية والفرنسية والإنجليزية.
- عمل كمهندس إنتاج فى العديد من الشركات المصرية وتدرج فى وظائف أعضاء هيئة التدريس بمعهد التبين للدراسات المعدنية حتى حصل على لقب أستاذ جامعى فى يناير عام ١٩٩٢.
- عمل من أكتوبر ١٩٨٠ إلى نوفمبر ١٩٨٣ كمساعد لمدير مركز الوثائق الفنية والجامعية- بعثة التعاون العلمى - سفارة فرنسا بالقاهرة.
- أعير إلى "جامعة يولا التكنولوجية بنيجيريا" كمدرس وباحث بكلية علوم الشمس والأرض والتعدين من نوفمبر ١٩٨٣ إلى سبتمبر ١٩٨٤.
- عمل كمدير لمكتب جلاسكو بالقاهرة من يناير ١٩٩٦ إلى يناير ١٩٩٨ ثم نائب مدير فوسيكو من يناير ١٩٩٨ إلى يولية ١٩٩٨.
- له أكثر من ستين بحثًا علميًا منشورًا فى الدورات والمؤتمرات العالمية.
- مؤسس معمل "الفرن الشمسى" بمعهد التبين للدراسات المعدنية.
- كان مسئولاً لفترة طويلة فى جهة عمله عن التعاون العلمى مع روسيا وفرنسا وبولندا وأوزبكستان وأوكرانيا والجزائر ودول أخرى.

- تولى مهمة الترجمة الفورية من الروسية إلى العربية والعكس فى العديد من المؤتمرات واللقاءات الرسمية أهمها مؤتمر "صناع السلام بشرم الشيخ".
- عضو الأكاديمية العالمية لعلوم البيئة وحماية الإنسان والطبيعة.
- عضو شرف بمجلس المستشارين بالمعهد الأمريكى البيوجرافى.
- رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية لخريجى الجامعات والمعاهد الروسية ودول الكومنولث.
- عضو مجلس إدارة وأمين عام الجمعية المصرية لسباكة المعادن.
- عضو لجنة بحوث الصناعات المعدنية بأكاديمية البحث العلمى.
- عضو بجمعية التنمية الصناعية.
- عضو بجمعية علوم الجوامد.
- عضو بجمعية تآكل الفلزات.
- رئيس تحرير النشرة العلمية لمعهد التبين للدراسات المعدنية.
- رئيس تحرير مجلة "السباكة"
- مشرف على إصدارات "تكنولوجيا السباكة".
- له أكثر من خمسين كتابًا منشورًا بين المؤلفات العلمية وقواميس المصطلحات العلمية والترجمات من الروسية إلى العربية ومن الروسية إلى الإنجليزية ومن الفرنسية إلى العربية. بالإضافة إلى العديد من المقالات.

المراجع فى سطور:

أوليج إيفانوفيتش فومين

- ممثل المركز الروسى للتعاون العلمى والثقافى الدولى التابع لوزارة الخارجية الروسية، والمدير العام للمراكز الثقافية الروسية، ومستشار سفارة روسيا الاتحادية فى ج.م.ع اعتبارًا من عام ٢٠٠٣.
- تخرج فى معهد الدراسات الدولية الحكومى بموسكو فى عام ١٩٦٢ ثم فى معهد اللغات الشرقية عام ١٩٦٦.
- حصل على الدكتوراة فى العلوم التاريخية عام ١٩٧٨ من أكاديمية العلوم الاجتماعية.
- مستشرق، خبير فى التاريخ الحديث للبلدان العربية.
- يتقن اللغة العربية واللغة الفرنسية.
- عمل كمترجم بإدارة السياحة التابعة لمجلس وزراء الاتحاد السوفييتى ثم فى الجمهورية العربية اليمنية فى الفترة من ١٩٦٢ إلى ١٩٦٦.
- عمل فى الوظائف التالية فى الفترة من ١٩٦٦ إلى ٢٠٠٣: مشرف لجنة منظمة الشباب- مسئول عن العلاقات مع البلدان العربية (مدينة موسكو)، ممثل اتحاد جمعيات الصداقة السوفييتية - مدير المركز الثقافى السوفييتى فى الجمهورية العربية السورية - السكرتير الأول لسفارة الاتحاد السوفييتى فى الجمهورية العربية السورية، مستشار قسم الدعاية السياسية الخارجية للّجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفييتى- مسئول الإعلام عن البلدان العربية، مستشار المركز الصحفى، كبير الخبراء للشركة السورية الروسية المتحدة "ليكسيكا"،

ممثل المركز الروسى للتعاون العلمى والثقافى الدولى ومدير المركز الروسى للعلوم والثقافة، والسكرتير الأول لسفارة روسيا الاتحادية فى جمهورية تونس.

- نائب رئيس الجمعية الفلسطينية الأورثوذكسية الإمبراطورية منذ عام ١٩٨٣ حتى الآن.
- نائب رئيس جمعية الصداقة "السوفييتية- السورية" فى أعوام ١٩٧٥-١٩٩١.
- نائب رئيس أكاديمية التراث الروحى الشرقى (مدينة موسكو).
- نائب رئيس اتحاد جمعيات الصداقة الروسية مع البلدان العربية منذ عام ١٩٩٨ حتى الآن.
- عضو اتحاد الصحفيين الروسى.
- عضو اتحاد المترجمين الروسى.
- نُشر له ٦ كتب وكتيبات وأكثر من ٤٠٠ مقالة عن: قضايا حركة التحرر الوطنية العربية، نزاع الشرق الأوسط، نضال الشعب الفلسطينى، العلاقات الروسية العربية.
- ترجم رواية "تغيان" للكاتب محمد إبراهيم على (سورية) وعدد كبير من المقالات الصحفية.
- حصل على الميداليات والشهادات التقديرية التالية:
    - شارة استحقاق "للصداقة بين الشعوب"
    - ميدالية "للعمل الشجاع"
    - ميدالية "مرور ٨٥٠ سنة على تأسيس موسكو"
    - ميدالية الجمهورية الألمانية الديموقراطية "للصداقة بين الشعوب"
    - شارة استحقاق من الجمهورية العربية السورية "للتلاحم الكفاحى"

- شارة استحقاق بمناسبة "مرور ٢٠٠ عام على تأسيس وزارة الخارجية الروسية".
- شارة استحقاق للمركز الروسى للتعاون العلمى والثقافى الدولى "للمساهمة فى توطيد الصداقة".
- شهادات تقديرية من بطريرك/أليكسى الثانى فى الفترة من عام ١٩٩٦ حتى ٢٠٠١ "مباركة للعمل المجتهد من أجل الكنيسة"

التصحيح اللغوى: رفيق محمـــد

الإشـــراف الفنـى: حسـن كـامـل